

محمود قاسم

جائزة نوبل
أضواء وأسرار



شريفة



دار المعارف

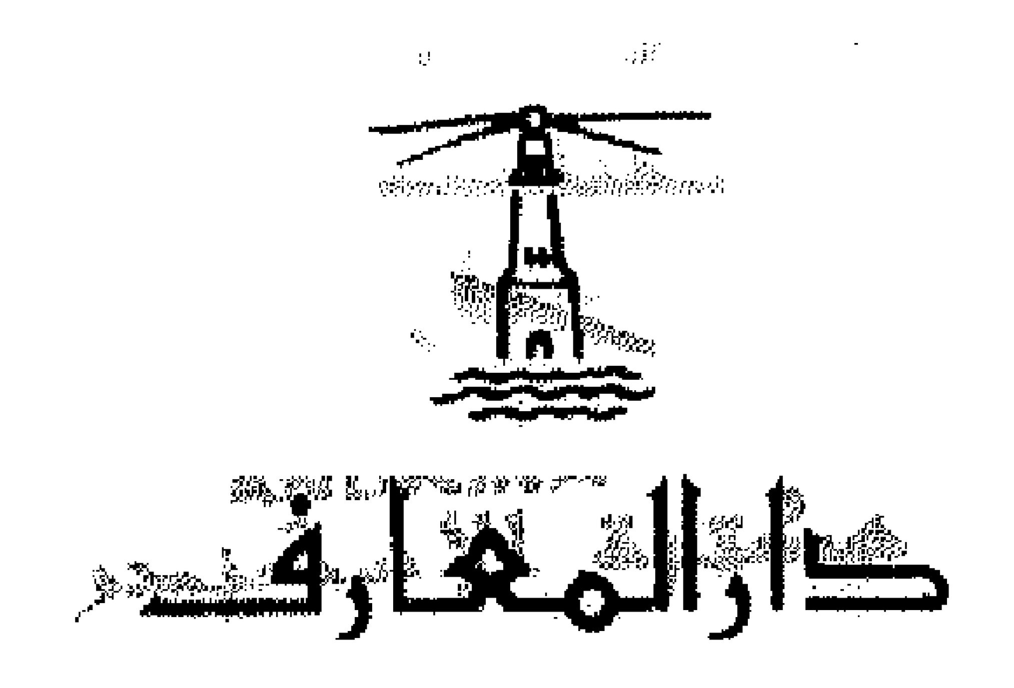
كتاب التنوير

جائزة نوبل

أضواء وأسرار



محمود قاسم



الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .

مقدمة

ظلت جائزة نوبل غريبة في الوطن العربي طوال عقدى السبعينات والثمانينات لعدة أسباب ، منها انحسار الترجمة والاطلاع على الآداب العالمية الحديثة مثلما كان يحدث في العقود السابقة من القرن العشرين ، وقد أدى هذا الانفصال إلى الجهل شبه التام بالإصدارات الأدبية العالمية الحديثة وبالتالى بأسماء مؤلفى هذه الإصدارات .

كما أن من بين هذه الأسباب أيضًا أن أكاديمية استكهولم ، التى تمنح الجائزة سنويا لواحد من الأدباء العالميين ، قد دأبت فى الكثير من المرات على منح الجائزة لكاتب مجهول . ليس فقط فيما يتعلق بعالمنا العربى الذى أصبح معزولاً تمامًا عن الثقافات الحديثة على مختلف مشارفها ، بل تم ذلك أيضا بالنسبة للمثقفين والدول التى تهتم بالتحديث والثقافات المعاصرة . وسوف نرى أنه فى خلال العشرين عامًا الماضية فاز بنوبل فى الأدب أدباء لم يعد أحد يذكر أسماءهم بالمرة .

وقد ساعد هذا الأمر على زيادة التعتيم على واحدة من أهم الجوائز الأدبية العالمية ، بل هى الأهم بالطبع ، وأثر هذا بالتالى على الجوائز المحلية التى تمنح فى الكثير من الدول لأبنائها دون الانتظار من السويد أن تمنحهم أى جائزة .

والغريب أن الجائزة التى تصورت لفترة أنها تعطى أهمية للكاتب حين تُمنح له قد دخلت دائرة الظل ، وثبت أن الكتاب فى الكثير من الأحيان هم الذين يعطون الجائزة قيمتها . وليس العكس ، فعندما تمنح الجائزة لكاتب أقل قيمة ، وأهمية ، أو لعمل إبداعى لا يرقى إلى مستوى جائزة ، فإنه سرعان ما يُنظر إلى هذه الجائزة بعين الارتياب والشك ، وقد حدث هذا مع جائزة نوبل فى بقاع

عديدة من العالم طوال السبعينات والثمانينات ، وزادت حدة هذا الأمر في وطننا العربي خاصة بعد أن طالت المسافة الزمنية التي تجاهلت فيها جائزة نوبل الأدباء العرب .

وحدث شيء ، بل كثير ، من الانفراج والثقة بين القارئ العربي ، وبين جائزة نوبل في عام ١٩٨٨ بعد حصول نجيب محفوظ على الجائزة ، وتحولت أمسية حصول الكاتب العربي الكبير ، وصباح اليوم التالي ، إلى عيد وطني في كل بيت عربي بهذه المناسبة ، وأصبح هذا الحدث بمثابة الخبر الأول في كل محطات التليفزيون والإذاعة ، وعناوين الصحف ، قبل أي حدث سياسي آخر مهما كانت أهميته ، واكتسبت الجائزة أهمية لدى الناس حتى الأميين منهم ، وحتى الذين لم يعرفوا محفوظًا ، أو حتى الذين عرفوه فقط من أفلامه ومن صوره المنشورة في الجرائد .

أحس الناس أن هناك حدثًا غير عادي في الشارع المصري ، وحدثت ظاهرة غريبة على الناس الذين تشغلهم أمور اقتصادية واجتماعية عديدة حيث التفتوا إلى أهمية الإبداع والأدب . لدرجة أن البعض أحس أن للجائزة أيضًا قيمة اقتصادية بالإضافة إلى قيمتها الاجتماعية والأدبية العالمية .

ووسط هذه الاحتفالية التي شهدها الوطن العربي في تلك الأيام ، والتي تمتد حتى الآن بدرجات مختلفة ، ثبت أن صفوة المثقفين في بلادنا لا يتابعون جائزة نوبل بالقدر المناسب ، وأن هذه الجائزة هي نوع من الفاكهة الثقافية التي قد يلتفت إليها البعض مرة كل عام ، ثم ما يلبث المرء أن يلتفت إلى أمور أخرى ، حتى نجيب محفوظ نفسه في تصريحاته الأولى التي أعقبت فوزه بالجائزة أكد أن معرفته بحيثيات الجائزة ومنحها غير متكامل ، فقد تساءل مندهشًا أنه لا يعرف من رشحه لهذه الجائزة ، ولا ما هي الجهة التي رشحته ، وأن أساتذته السابقين أمثال العقاد وطه حسين كانوا أحق بالجائزة ، متصورًا أن الجائزة أشبه بجائزة الدولة التقديرية في مصر يجب على جهات معينة التقدم بطلبات لترشيح من

يستحقون الجائزة ، أو أن الجائزة قد تمنح لغير المبدعين مثل العقاد على سبيل المثال .

ولذا ، فمن الأهمية أن نقدم للقارئ كتابًا عن هذه الجائزة ، وقد كان يمكن أن نسير في ركاب تلك الظاهرة الغريبة التي أعقبت فوز كاتبنا الكبير بالجائزة ، بأن نصدر كتابًا متعجلاً ، أرشيفيا عن الجائزة والأدباء الذين فازوا بها ، حيث أن مجموعة كبيرة من الكتب الأرشيفية ظهرت في هذه المناسبة راح الكثير منها أدراج الرياح ، وآثرنا الانتظار بعض الوقت لتقديم هذا الكتاب .

ومن الصعب إصدار كتاب عن كل الفائزين بجائزة نوبل ، حيث حصل عليها قرابة ثمانية وثمانين كاتبًا ، فلو وفرنا أربع صفحات عن كل أديب منهم بالإضافة إلى فصول أخرى فسوف نحتاج إلى عدد ضخم من الصفحات .

ووجدنا أنه من الأفضل أن نخصص صفحات كتاب عن الأدباء الثلاثة عشر الذين نالوا الجائزة بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ، أي طوال العقد التاسع من القرن العشرين دون أن نتجاهل الأدباء الذين نالوا الجائزة في الأعوام الأخيرة .

في شهر أكتوبر من كل عام تعلن الأكاديمية السويدية باستكهولم اسم الأديب الذي وقع عليه الاختيار ليمنح جائزتها السنوية التي ارتفعت قيمتها إلى ٥٠٠ ألف دولار ، هذا الكاتب في غالب الأحيان إما روائي أو شاعر ، وهذه الجائزة معروفة باسم العالم الفريد نوبل .

والمعروف أنه كي تحمل الجائزة اسم نوبل ، فعليها أن تطابق وصيته التي تركها قبل وفاته ، ولكن بالمقارنة بين وصية العالم الذي وهب أمواله وفوائدها من أجل تشجيع الإبداع الأدبي والفكري والعلمي ، وبين حيثيات الجائزة التي تمنح الآن في خمسة فروع ، فإن هناك تجاوزات عديدة قد حدثت على مدى اثنين وتسعين عامًا التي مُنحت فيها الجائزة حتى الآن ، بعض هذه التجاوزات يمكن عدم تضخيمها والقبول بها ، والبعض الآخر يجب الوقوف عنده ، فقد أوصى نوبل أن تمنح أمواله بعد استثمارها في شكل جوائز تمنح للذين قدموا

أعظم الفوائد للجنس البشرى فى العام السابق ، وذلك تكفيرًا عن ذنب اختراعه للديناميت الذى أراد به أن يكون ذا فائدة للبشرية فاستخدمها الإنسان للدمار .

إلا أن القائمين على أمور الجائزة فى أكاديمية استكهولم يقدمونها عامة لكاتب له تاريخه الأدبى مع التركيز على كتاب بعينه ، وهذا الكاتب يمكن أن يكون مؤثرًا فى وجدان الناس ومشاعرهم ، إلا أن هذا البند يمكن تجاوزه لأن الخروج عليه لم يحدث مشاكل عديدة خاصة بهؤلاء الذين نالوا الجائزة ، وتركت أكاديمية استكهولم ذلك الدور لعشرات الأكاديميات والمؤسسات الثقافية العالمية والمحلية أن تفعل هذا فى بلاد عديدة مثل الولايات المتحدة (بوليتزر) ، وفرنسا (جونكور) ، وإيطاليا (مونديللو) ، وأسبانيا (سرفانتس) ، ومصر (جائزة الدولة التشجيعية) ، وألمانيا (بوخنر) وغيرها من الدول .

لكن ، كما أشرنا ، كانت المفاجأة أن الجائزة قد منحت فى الكثير من الأحيان لأدباء لا يرقى أدبهم قط إلى المستوى العالمى ، الذى حققه فائزون آخرون بها ، فى الوقت الذى تجاهلت فيه أدباء لا جدال حول شموخهم مثل تولستوى ، وهنريك ابسن ، وتوماس هاردى ، وجيمس جويس ، ود . هـ . لورانس ومارسيل بروست ، وخورخه لويس بورخيس ، وجراهام جرين .

ورغم أن من حيثيات الوصية أنه ينبغى ألا ينظر للفائز حسب الجنسية ، أو الديانة ، إلا أنه من الواضح أن الجائزة ظلت خاصة بالإبداع الغربى ، والأوروبى بشكل خاص ، فهى تناصر هذا الفكر وأيدولوجيته ، وتقف إلى جوار من يؤيدونه ، كما أنها تقف إلى جوار المنشقين عن المعسكر الشيوعى سابقًا ، سواء الذين ظلوا يعيشون تحت أرضه ، أو هاجروا إلى بلاد الغرب ، فقد منحت الجائزة عام ١٩٥٨ لرواية « دكتور زيفاجو » . رغم أن بوريس باسترناك مؤلف الرواية كان يستحق هذه الجائزة عن أشعاره وليس عن روايته ، وقد اضطر الكاتب أن يرفض الجائزة بناء على أوامر سلطات بلاده ، أى أن السياسة قد تدخلت بصورة سافرة فى منع استلام باسترناك الجائزة .

نفس هذه الظاهرة تكررت بالنسبة للكتاب المنشقين مثل الكسندر سولينتسين (الاتحاد السوفيتى) ، وشيزلاف ميلوش (بولندا) ، ويوسف برودسكى (الاتحاد السوفيتى) . ثم الشاعر ياروسلاف سيفرت الذى أعلن معارضته لبلاده تشيكوسلوفاكيا ، ولم يغادر وطنه حتى وفاته .

وحتى عام ١٩٨٦ لم تمنح الجائزة خارج العالم الغربى سوى مرات قليلة ، حيث ذهبت إلى طاغور فى الهند عام ١٩١٣ ، وكاوباتا فى اليابان عام ١٩٦٨ ، وقبلها لإسرائيل عام ١٩٦٦ ، باعتبارها دولة آسيوية حين نال الأديب عساف عجنون الجائزة مناصفة مع الألمانية نيللى ساخس . وبالنظر إلى الدول التى فازت بنصيب الأسد فى الجائزة هناك فرنسا (١٢ مرة) ، ثم الولايات المتحدة (٩ مرات) ، وبريطانيا (٨ مرات) ، كما منحت أكثر من مرة للأدباء فى ألمانيا وإيطاليا وأسبانيا ، وحصل عليها أدباء السويد والنرويج (بلاد الفريد نوبل نفسه) سبع مرات .

وابتداء من عام ١٩٨٦ ، نحت الجائزة منحى غريبًا ، فأفريقيا التى تجاهلتها أكثر من ثمانية عقود ونصف تنال الجائزة فى ست سنوات ثلاث مرات تقريبا ، وكان الاختيار يمثل أفريقيا جغرافيا ، فمن الغرب نيجيريا فاز وول سونيكا ، ومن الشمال حيث العالم العربى فاز نجيب محفوظ ، ومن الجنوب فازت نادين جورديمر .

معنى هذا أن الجائزة ظلت مقصورة على شعوب بعينها ، وأن على أدباء الشعوب الذين لم تلتفت إليهم الجائزة حتى الآن أن يكتبوا الأدب على الطريقة التى تعجب أعضاء أكاديمية استكهولم ، فحتى الآن لم يفز بالجائزة أى من الأدباء الصينيين ، ولا من كندا ، وشعوب شرق آسيا .

إذن هناك اعتبارات خاصة بالأكاديمية لم تعلنها حتى الآن ، حيث أن كل ما تفعله أن يظهر المتحدث الرسمى باسمها أمام جمع من الصحفيين ورجال الأعلام ، ويقرأ سطورًا قليلة عن اسم الكاتب الذى فاز بالجائزة ، وسط سرية لم يتمكن أحد حتى الآن أن يخترق جدرانها .

فمن المعروف أن نظام منح الجائزة معقد للغاية، يقوم عاتقه على لجنة متخصصة تتكون في فرع الأدب من خمسة أعضاء يتم تعيينهم من البرلمان السويدى يضاف إليهم بعض المستشارين فى مجالات محددة ، ويبدأ عمل اللجنة فى أول فبراير من كل عام بسرية تامة . وينتهى عملهم فى الأول من أكتوبر بتقارير سرية عن الترشيحات التى قدمت إلى الهيئات التى تمنح الجائزة ، وتظل السرية محاطة بالاسم الفائز حتى آخر لحظة التى يتم فيها إعلانه على الملأ .

والغريب أنه لا يجوز لأديب أن يرشح نفسه لنيل الجائزة ، والنظام الداخلى فى عملية الاختيار بالغ التعقيد ، ومثير للاستغراب مما دفع بالكاتب الأمريكى ارفنج والاس أن ينتقد هذه الأساليب فى رواية ساحرة تحمل اسم « الجائزة » عام ١٩٦٣ .

سمات عامة

لو نظرنا إلى مجموعة الروائيين والشعراء الذين فازوا بجائزة نوبل بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ، سوف نرى أن هناك سمات مشتركة يمكن جمعها فى الصفحات الآتية .. وهى :

* يمثل الأدباء الذين حصلوا على الجائزة مجموعة من الثقافات المحلية العالمية بشكل واضح ، ويتعمد أعضاء أكاديمية استوكهولم اختيار أدباء يمثلون هذه الثقافات تمثيلاً واضحًا وإن كانوا فى أغلب الأحيان لا يمثلون خيرة هذه الثقافات ، أو أفضل الحالات فيها ، فمن بلغاريا هناك الياس كانيتى ، ومن بولندا الشاعر شيزلاف ميلوش ، ومن أمريكا اللاتينية الروائى ماركيث والشاعر باث ، ومن أفريقيا مثلث يمثل أضلاع القارة الثلاثة ، فمن الشمال حيث المنطقة العربية هناك نجيب محفوظ ، ومن غرب القارة سونيكا ، ومن جنوبها نادين جورديمر ، وسوف نرى أنه فى عام ١٩٨٦ منحت الجائزة لأول مرة إلى أفريقيا ، ثم كانت المفاجأة أن تمنح ثلاث مرات لنفس القارة بعد أن تجاهلتها لأكثر من ثمانين مرة ، أما أوروبا التى كانت سيدة دائمًا فى الحصول على نوبل فقد نالت الجائزة عدة مرات ، فمن فرنسا حصل كلود سيمون ، ومن بريطانيا حصل ويليام جولدنج ، ومن أسبانيا حصل خوسيه ثيلا ، أما كانيتى فإنه عندما فاز بالجائزة كان يحمل الجنسية البريطانية ، وعندما حصل عليها كل من البولندى ميلوش ، والروسى برودسكى كانا يحملان الجنسية الأمريكية ، رغم أن حيثيات الجائزة قد أشارت إلى الجذور الثقافية التى يمثلها كل منهما ، أما من المعسكر الشرقى سابقًا فقد حصل عليها الاسمان السابقان باعتبارهما من الأدباء المنشقين ، وحصل عليها الكاتب التشيكى المعارض ياروسلاف سيفرت .

ورغم تعدد هذه الثقافات فمن الواضح أن الجائزة قد تجاهلت آسيا بأكملها طوال هذه السنوات ، كما أن الازدواجية الثقافية واضحة لدى أكثر الذين حصلوا على الجائزة ، فكانيتي بلغارى لكنه يمثل الثقافة الإنجليزية ، وكذلك ميلوش وبرودسكى وسونيكا .

كما أن الجائزة تجاهلت ثقافات أوربية عديدة مثل إيطاليا وألمانيا وشمال أوروبا . وبدا أن هناك تركيزًا ثقيلاً على ثلاثة محاور . أفريقيا . وأمريكا اللاتينية ، وبعضا من أوروبا . ولعل هذا أيضا واضح من أسماء الأدباء الذين يتم إعلان أسمائهم سنويًا كمنتظرين للحصول على الجائزة أو ما يمكن تسميته « النوبليون » .

* رغم هذه التعددية الثقافية التى يمثلها أدباء نوبل فى هذه الفترة ، إلا أن ، أغلبهم يتعامل بلغة إبداعه مباشرة من خلال الإنجليزية ، ومن هؤلاء ميلوش الذى يعمل أستاذًا فى إحدى الجامعات الأمريكية ، وإلياس كانيتى الذى يقيم فى بريطانيا ، ثم ويليام جولدنج البريطانى ، ووول سونيكا النيجيرى ، ويوسف برودسكى الذى هاجر إلى الولايات المتحدة منذ زمن طويل . ثم نادين جورديمر من جنوب أفريقيا وديريك والكوت من ترنيداد ، أى أن أكثر من نصف الأدباء الذين حصلوا على الجائزة – سبعة أدباء – يعبرون مباشرة باللغة الإنجليزية ، ويلى ذلك فى العدد اللغة الأسبانية التى يكتب بها كل من أوكتافيوباث وماركيث وثيلا ، ثم مثل كلا من اللغة الفرنسية والعربية والتشيكية كاتب واحد هم كلود سيمون ونجيب محفوظ وياروسلاف سيفرت ، وكما أشرنا فى النقطة السابقة ، فإن عشرات اللغات فى العالم قد تم تجاهلها من قبل أكاديمية استوكهولم .

* من المعروف عادة أن جائزة نوبل فى الأدب تمنح لفرعين أساسيين فى الإبداع الإنسانى هما الشعر والرواية ، بينما لا تمنح بالمرة فى القصة القصيرة ، وإن كانت قد منحت فى بعض السنوات لفلاسفة مثل برجسون وراسل ، فإنها أيضا لا تمنح للمسرح إلا فى أضيق الحدود . وعندما تمنح لكاتب مسرحى ،

مثلاً ، فإنها تمنحه عن نشاط أدبى آخر ، مثلما حصل بيكيت على الجائزة عن روايته « وات » . ومثلما حصل سونيكا على الجائزة عن ديوانه الشعرى « مكوك فى السرداب » ، ومثلما حدث مع والكوت عن مسرحيته الشعرية « اوميروس » ولذا فإنه فى تاريخ الجائزة ، وخاصة فى الثمانينات ، كان كتاب الرواية والشعراء هم أصحاب نصيب الأسد فى عدد الجوائز .

وعادة فإن الجائزة تمنح لشاعر وروائى سنويًّا بالتبادل ، فإذا مُنح شاعر الجائزة فى عام ، فإنه فى العام التالى تمنح لروائى ، وكثيرا ما يحدث اختلال فى هذا التوازن ، لكن نسبة الاختلال لا ترتفع كثيرًا ، فبين ثلاثة عشر أديبا نال الجائزة بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ هناك ستة شعراء . وسبعة روائيين . وقد نال ثلاثة روائيين الجائزة تباعًا من عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٨٣ ، ثم نالها الشاعر التشيكى سيفرت ، وفى عامى ١٩٨٦ و ١٩٨٧ نالها اثنان من الشعراء . وفى عام ١٩٨٩ نالها الروائى ثيلا ثم الشاعر أوكتافيوباث عام ١٩٩٠ ، والروائية نادين جورديمر عام ١٩٩١ .

* تعتبر جائزة نوبل بمثابة جائزة تقديرية تمنح لكاتب أعطى الكثير خلال حياته وكاد أن يتوقف تقريبًا عن الإبداع ، وهذه الجائزة تختلف كثيرًا عن الجوائز الأخرى فى بقاع عديدة من العالم ، فمن المعروف أنه فى كل دولة جائزة أو أكثر تمنح لمبدع عن رواية صدرت خلال عام منحها ، مثل جونكور فى فرنسا وبووكر فى بريطانيا ، وموند يللو فى إيطاليا ، وسرفانتس فى أسبانيا وبوليتزر فى الولايات المتحدة ، وبوخنر فى ألمانيا ، وجائزة الدولة التشجيعية فى مصر ، وهذه الجائزة تمنح مرة واحدة للكاتب إلا فى ظل ظروف استثنائية صعبة مثل بوليتزر .

وهذا لا يعنى أن هذه الجوائز هى الوحيدة ، فعلى سبيل المثال فإن بفرنسا مالا يقل عن أربعمائة جائزة أدبية سنوية ، لكن أشهرها « جونكور » ، وهكذا فى الدول الأخرى .

أما الجائزة التقديرية ، وهى قليلة جدًّا فى العالم ، فتمنح لكاتب لعطائه الإجمالى ، لكن جائزة نوبل تمنح لكاتب عن هذا العطاء المجمل مع تركيز خاص على عمل بعينه ، فويليام جولدنج منح الجائزة عن رواية « إله الذباب » ونالها ماركيث عن « مائة عام من العزلة » ، وحصل عليها نجيب محفوظ عن رواية « أولاد حارتنا » مع إشارة إلى رواية « زقاق المدق » ، أما كلود سيمون فقد حصل على الجائزة عن رواية « طريق الفلاندرا » ، ونالت جورديمر الجائزة عن رواية « ابنة بيرجر » ، وحصل عليها ثيلا عن روايته « عائلة باسكال دوراته » ، كما حصل عليها سونيكا عن ديوانه الشعرى .

لذا فإن أغلب الذين حصلوا على الجائزة كانوا قد تجاوزوا الخامسة والستين حين الإعلان عن فوزهم بها ، فقد حصل عليها شيزلاف ميلوش وهو فى التاسعة والستين ، كما حصل عليها كانيتى وهو فى السادسة والسبعين ، أما جولدنج فقد حصل عليها وهو فى الثانية والسبعين ، وكان سيفرت أكبر من حصل عليها عام ١٩٨٤ وهو فى الثالثة والثمانين ، أما سيمون فقد نالها وهو فى الثانية والسبعين ، وحصل عليها نجيب محفوظ وهو فى السابعة والسبعين . ونالها باث وهو في الرابعة والسبعين ، وحازت عليها نادين جورديمر وهى فى الثامنة والستين .

إلا أن هناك أربعة استثناءات من هذه القاعدة ، فعندما حصل عليها ماركيث كان قد تجاوز الخمسين بثلاث سنوات ، لكن سونيكا كان فى الثانية والخمسين ، أما يوسف برودسكى فهو أصغر من حصل عليها فى هذه السنوات حيث كان فى السابعة والأربعين من عمره ، ونالها والكوت وهو فى الثانية والستين ورغم ذلك فإنهم نالوا الجائزة عن أعمال إبداعية قديمة نسبيا ، فرواية ماركيث « مائة عام من العزلة » مكتوبة عام ١٩٦٨ ، أما سونيكا فقد بدا عام ١٩٨٦ حين حصل على الجائزة كأنه قد اعتزل الحياة الأدبية قبل سنوات .

* ينظر الكثيرون إلى جائزة نوبل على أساس أنها جائزة تمنح للأدب التقليدى الذى به أقل قدر من التجريب الإبداعى الشكلى ، خاصة فى الرواية ، وفى تاريخ هذه الجائزة هناك حالات استثناء واضحة ، وقفت فيه الجائزة إلى جانب أدباء التجريب مثلما فعلت مع ويليام فوكنر عن روايته « الصخب والعنف » ، ثم مع صموئيل بيكيت أحد أعمدة الرواية الجديدة فى أوروبا . أما فى الثمانينات فقد منحت مرة واحدة لهذا الأدب التجريبى من خلال كلود سيمون .

وأكاديمية استوكهولم بذلك تقف إلى جانب الأشكال الجديدة فى الأدب بجانب وقوفها إلى الإبداع التقليدى الكلاسيكى ، وبالنظر إلى روايات مثل « أولاد حارتنا » و « إله الذباب » و « عائلة باسكال ديوارته » و « ابنة بيرجر » . سنجد أنها أعمال كلاسيكية فى شكلها الأدبى ، وإن كانت نسبة التجريب فى رواية « مائة عام من العزلة » لماركيث أقل بكثير من روايات كلود سيمون .

وفى الشعر كان أغلب إبداع سونيكا وسيفرت وباث تقليديًّا ، إلا أن بعض أشعار برودسكى تغلب عليها صفة التجريب .

والمعروف أن مثل هذا المنحى قد سارت عليه اكاديميات أدبية أخرى مثل جونكور فى فرنسا ، حيث أعطت جوائزها فى بعض الأحيان لأدباء من الطليعيين أمثال مرجريت دوراس وجان رووه .

* لاحظ المتابعون للفائزين بجائزة نوبل فى خلال هذه السنوات ، وقبلها بقليل ، أنها قد منحت لأدباء اصطلح على تسميتهم بالمغمورين على مستوى القراءة العالمية ، وقد فسر البعض هذه الظاهرة فى بعض الأحيان أن أكاديمية استوكهولم ترى أن شهرة الكاتب التى يتمتع بها تعد بديلاً جيدًا عن الجائزة التى من أهم أدوارها إلقاء الأضواء على كاتب له أهميته وتقديمه إلى العالم ، وقد حدث هذا مع إلياس كانيتى وجولدنج وسيفرت وكلود سيمون وبرودسكى وثيلا ونجيب محفوظ ثم نادين جورديمر وديريك والكوت .

فعلى المستوى العالمى ، لم يكن أحد يعرف هذه الأسماء إلا بعد فوزها بالجائزة وعلى سبيل المثال ، فإن نجيب محفوظ كان كاتبًا مجهولاً تمامًا فى أوروبا ، مركز الترجمة فى العالم ، رغم محاولات عديدة لتقديمه من خلال الكتب التى ترجمت إليه . لكن اسمه أصبح مدويًا فى أماكن متفرقة من العالم بعد الجائزة ، وبعد ترجمة أعماله إلى العديد من اللغات على مستوى أكثر اتساعًا .

ورغم ذلك فإن الجائزة لم تفلح أن تلقى الأضواء على بعض الكتاب إلا لفترة قصيرة ، فما لبث الناس أن نسوا شيزلاف ميلوش وكانيتى وثيلا ، رغم أنهم لا يزالوا على قيد الحياة ، أما سيفرت فعندما مات عام ١٩٨٩ لم يذكره أحد بالمرة ، ويعتبر نجيب محفوظ الأسعد حظًا لأن العالم الآن فى حالة اكتشاف لإبداعه الكثير .

* خلقت هذه السمة السابقة ظاهرة أدبية اصطلح على تسميتها بـ «النوبوليون» وهى تعنى الأدباء الذين يتم ترشيحهم سنويًا لنيل الجائزة وتعلن أسماؤهم ، ولكن المفاجأة تتفجر حين يفوز كاتب غير موجود أصلاً فى القائمة .

ويرى القائمون على الجائزة أن الترشيح لنيل الجائزة يعادل نيلها فى الكثير من الأحيان ، وأنه لمن الشرف لكاتب أن يكون فى هذه القائمة ، وعلى سبيل المثال فإن اسم الكاتب الراحل يوسف إدريس قد أدرج بالفعل ضمن قوائم النوبليون لعامين ، وفاز بها نجيب محفوظ الذى لم يدرج فى القائمة ، كذلك فإن أسماء برودسكى وسونيكا وسيفرت لم تدرج ، بينما أن أشهر النوبليين الذين فازوا بالجائزة نادين جوزديمر حيث ظلت تنتظر لأكثر من أحد عشر عامًا ، كذلك أوكتافيوباث ، وكلود سيمون ، وجولدنج وماركيث .

والغريب أن أكثر الذين فى قائمة المنتظرين قد ماتوا ، مثل الأرجنتينى بورخيس . والبريطانى جراهام جرين ، أما البعض الآخر فلا يزال فى حالة انتظار مثل الصينى العجوز با — كين بالإضافة إلى كتاب آخرين منهم ف . س . نايبول ، وجونتر جراس . وآخرين .

* هناك سمتان ملحوظتان فى بعض الأدباء الذين حصلوا على جائزة نوبل فى الأدب ، الأولى أن الجائزة قد منحت لأدباء من الكتلة الشرقية عرفوا بأنهم منشقون على النظام الشيوعى – السابق ، فى الاتحاد السوفيتى وأيضا فى الدول التى كانت تابعة له قبل أن تتفكك الكتلة الشيوعية فى نهاية عام ١٩٩١ ، وهؤلاء المنشقون قد اختاروا أن يعيشوا فى الولايات المتحدة ويحملون جنسيتها ، رغم أنهم حين حصلوا على الجائزة ذكر فى الحيثيات أنهم يمثلون وطنهم الذين انشقوا على سياسته وهجروا أرضه ، هؤلاء هم البولندى ميلوش والروسى برودسكى ، ثم كانيتى الذى يعيش فى بريطانيا ، والشاعر المعارض سيفرت ، وطوال هذه السنوات لم يمنح كاتب من الكتلة الشرقية ينتمى إلى سياستها ، وكأن الجائزة بذلك تقف لمناصرة المنشقين ، وتعلن مناهضتها للشيوعية ، ورغم انقضاء النظام الشيوعى ونهايته ، إلا أن الجائزة تصرفت دائمًا كأنها مناهضة للشيوعية فى المقام الأول .

وفى نفس الوقت منحت الجائزة فى العقدين الأخيرين لمجموعة كبيرة من الأدباء اليهود . وهى التى تجاهلت اليهود تمامًا منذ إنشائها حتى عام ١٩٦٦ ، حيث حصل عليها اثنان من اليهود هما الإسرائيلى عجنون والألمانية نيللى ساخس ، وفى السبعينات حصل عليها فى سنوات متقاربة كل من صول بيللو ، وإسحاق باسفتش سنجر ، وفى الثمانينات حصل عليها ثلاثة من اليهود هم إلياس كانيتى ، ويوسف برودسكى ، ونادين جورديمر ، أما خوسيه ثيلا فهو رئيس جمعية الصداقة الأسبانية الإسرائيلية فى بلاده .

إذن ، من هاتين النقطتين ، لا يمكن أن نفصل السياسة عن الإبداع الأدبى سواء لدى مواقف الكاتب الذى يحصل على الجائزة ، وأيضًا لدى أعضاء أكاديمية استكهولم أنفسهم . فرغم أن الأدباء الفائزين قد حصلوا على الجائزة عن أعمال إبداعية ليست ذات صلة مباشرة بالسياسة أو بالأيدولوجيات ، لكن يبقى دائمًا وجه الكاتب واسمه أمام الناس يمثل موقفًا من المجتمع ، وقضايا العالم ، وعلى

سبيل المثال فإن نادين جورديمر قد برزت منذ عام ١٩٥٨ كروائية بيضاء تكتب لمناهضة قوانين التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا ، ومن المعروف أن الكاتبة قد تعرضت لضغوط سياسية واجتماعية من الحكومة الرسمية البيضاء فى بلادها ، فصودرت أعمالها ، ومنعت من السفر ، وكان أبطال رواياتها دائمًا من المناضلين اليساريين الذين يناهضون التفرقة العنصرية ، وهم بالطبع من البيض .

أما أوكتافيوباث فقد اهتمت الصحف ، صباح فوزه بالجائزة ، بأنه الكاتب الذى استقال من منصبه كسفير لبلاده المكسيك احتجاجًا على التدخل العسكرى للاتحاد السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا عام ١٩٦٨ ، وهو موقف شخصى من الكاتب لم يكن يعبر عن الموقف الرسمى فى المكسيك ، كذلك فإن لباث المؤلفات العديدة فى السياسة .

ولا يمكن أن نعمم كلامنا عن علاقة السياسة بجائزة نوبل بشكل مباشر ، فالأديب الفرنسى كلود سيمون ليست له مواقف واضحة من السياسة والأيدولوجيا ، بمعنى أنه لم يعبر عنها كتابة ، سواء فى إبداعه أو تصريحاته ، أو مقالاته ، كما أن نجيب محفوظ لم يرتبط مباشرة بالسياسة وإن كانت أعماله لا تخلو من أحداث اجتماعية وسياسية شهدتها بلاده ، فكان شاهدًا عليها فى الكثير من رواياته ، لكن نجيب محفوظ لم يعلن أنه يتبنى موقفًا سياسيًا انتهجه أحد أبطاله ، وإن كانت له مواقفه التى يعبر عنها أحيانا فى أحاديثه وبعض كتاباته النثرية .

هذه ، إذن بعض السمات العامة التى يمكن أن نجمعها فيما يتعلق بالأدباء الثلاثة عشر الذين حصلوا على جائزة نوبل فى الأدب بين عامى ١٩٨٠ و١٩٩٢ ، وهى سمات يجب أن نذكرها قبل أى دراسة عن جائزة نوبل بشكل عام فى تلك الفترة ، أو عن أى من الأدباء الذين حصلوا على هذه الجائزة ، أو حتى المرشحين لها ولم ينالوها بعد ، أو لعلهم لن ينالوها .

الشعراء

من بين الشعراء الستة الذين حصلوا على جائزة نوبل من عام ١٩٨٠ وحتى عام ١٩٩٢ هناك ثلاثة منهم ينتمون إلى الكتلة الشرقية - سابقًا - مولدًا وثقافة ، وبين هؤلاء الثلاثة ، وجميعهم معارضون للنظام الشيوعى ، هناك اثنان اختارا أن يهاجرا من بلادهما وأن يعيشا فى الولايات المتحدة ويحملان جنسيتها . وقد عرف هذان الكاتبان بأنهما منشقان على النظم السياسية ، فى بلادهما ، أما الشاعر الثالث ، ياروسلاف سيفيرت ، فهو معارض لسياسة بلاده ، ولكنه لم ينشق خارج حدود تشيكوسلوفاكيا .

ورغم أنه من بين حيثيات منح الجائزة عدم الحكم على الفائز من ناحية انتمائه السياسى ، إلا أن الجائزة قد منحت دائما للمنشقين دون غيرهم من أبناء بلادهم ، خاصة بعد أن اشتدت الحرب الباردة بين الشرق والغرب فى السبعينيات والثمانينيات ، فبعد الكسندر سولينتسين ، حاز نفس الجائزة فى الثمانينات الشاعر البولندى المنشق شيزلاف ميلوش ، ثم الروائى البلغارى المنشق إلياس كانيتى ، والشاعر التشيكى ياروسلاف سيفرت ، ثم الشاعر الروسى المنشق يوسف برودسكى .

والمقصود بمعنى منشق هنا أنه يعيش فى الغرب ، فبينما اختار كانيتى بريطانيا ، فإن بقية الأسماء اختارت الولايات المتحدة ، وقد ظلت وسائل الاعلام تتعامل معهم من خلال وجهى العملة ، وذلك حسب الوجه الذى تحب أن تتعامل معه ، فميلوش يعمل مدرسًا للأدب البولندى فى الجامعات الأمريكية ، ويعمل برودسكى مدرسًا للأدب الروسى فى نفس الجامعات .

وعندما حصل ميلوش على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٠ تعاملت معه الصحافة الأوربية على أنه شاعر بولندى رغم أنه كان فى تلك الفترة يحمل الجنسية الأمريكية .

وميلوش من مواليد ليتوانيا فى عام ١٩١١ ، كانت ليتوانيا فى تلك الفترة جزءا من بولندا التى تقع بالتالى تحت سيطرة روسيا ، وقد عاش ميلوش طفولته ، بعد ذلك فى ليتوانيا المستقلة . حيث أنها عرفت الاستقلال لأول مرة فى التاريخ بين عامى ١٩١٨ و١٩٤٠ . أى عقب نهاية الحرب العالمية الأولى وبعد إعلان الحرب العالمية الثانية ، وقد درس شيزلاف فى مدرسة سيجموند – أوجست ، ثم درس القانون فى جامعة فيلنو عاصمة ليتوانيا والتى ضمتها قوات الحلفاء بعد ذلك إلى بولندا .

فى عام ١٩٣١ انضم ميلوش إلى حركة الأدب الطليعى وأصبح واحدًا من كتاب مجلة « الشعلة » ، وهى إحدى المجلات الشهيرة فى بولندا ، وما ان اندلعت الحرب العالمية الثانية حتى أصبح شاعر المقاومة ، فنشر مجموعة من القصائد ضد النازية تحمل عنوان « الأغنية الخفية » ، ولكن ما ان انتهت ، واصبحت بولندا تحت لواء الكتلة الشيوعية حتى وجد نفسه فيه ، بل ويكتب من أجل هذا النظام الجديد ديوانه « التحية » . ثم أصبح رجلاً من رجال هذا النظام فعمل ملحقًا ثقافيا لبولندا فى كل من واشنطن وباريس بين عامى ١٩٤٦ و١٩٥٠ ، وفى عام ١٩٥١ بدأت الخلافات بينه وبين بلاده فهاجر إلى باريس ، وراح يشارك فى تأسيس مجلة مناهضة للشيوعية تحمل عنوان « ثقافة » ، وفى باريس أصبح من أوائل المنشقين الذين احتضنتهم المدينة فى بداية الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، فنشر فى عام ١٩٥٣ مجموعة من المقالات فى كتاب يحمل عنوان « الفكر المخلوب » كتب مقدمته الفيلسوف كارل ياسبرز ، ثم نشر رواية تحمل اسم « استلاب السلطة » مُنح من أجلها جائزة الأدب الأوربى فى نفس العام .



شیزلاف میلوش ۱۹۸۰

وقد تنوع نشاط ميلوش بين الشعر والرواية ، ففى عام ١٩٥٥ نشر ديوانه « ضوء النهار » ثم في العام التالى نشر روايته « على شواطئ عيسى » ، وفى عام ١٩٦٠ رحل إلى الولايات المتحدة ليقوم بدراسة الأدب السلافى في جامعة بركلى بكاليفورنيا ، وفى أمريكا قل نشاطه الإبداعى بشكل ملحوظ ، فطوال عشرين عامًا لم ينشر سوى القليل من الكتب . منها مقالات تحمل عنوان « أوروبا الأخرى » بمثابة سيرة ذاتية للكاتب ، ثم مجموعة مقالات أخرى عام ١٩٧٧ تحمل عنوان « أرض الروض » ، ثم جمع قصائده المتناثرة في عام ١٩٨٠ تحت عنوان « ابن أوروبا » ، وفى عام ١٩٨٧ نشر مقالات أخرى تحمل عنوان « إمبراطور الأرض » .

حصل ميلوش على جائزة نوبل بصفته أمريكى ، فى عام ١٩٨٠ ، كان الكاتب قد حصل على الجنسية منذ عشر سنوات ، وكان قد غادر بلاده قبل ذلك بثلاثين عامًا .

ولأن أغلب الكتاب المنشقين يكتبون عن بلادهم الذين هاجروا منها ، فإن ميلوش قد فعل ذلك بالطبع بدافع الحنين الجارف إلى هذه البلاد التى تركوها ولم يعودوا إليها أبدًا ، كى يعيشوا فيها ، حتى بعد انتهاء الشيوعية ، ولكن لأن القارئ في الغرب ، والنظام الغربى نفسه ، قد وضعهم فى هذا الإطار دون غيره ، لذا فهو لا يخرج منه قط وليس عليه أن يؤدى دورًا غيره .. لذا فإن ميلوش يؤكد في مقدمة كتابه « إمبراطور الأرض » أنه « يكتب عن بولندا ، وليس عن شيء آخر غير بولندا » ، وهو عندما يريد الكتابة عن وطن آخر فهو يختار أن يجعل هذا الوطن خياليًا . غير موجود على الخريطة مثلما فعل فى كتابه « أرض السرو » .

وقد حصل ميلوش عن جائزة نوبل كشاعر رغم رواياته المنشورة ، وهو فى كتابه « ميلوش بقلمه » يرى أنه : « مسكون بمختلف الشياطين ، ومختلف الأشخاص الذين يقلقون راحتى » .

وفى جريدة لوموند – ١٥ مايو ١٩٨٧ – تقول نيكول زاندا : ان من يقرأ شعر ميلوش ولو مترجمًا لا يخطىء الإحساس بأنه بمثابة صدى بعيد للأصل البولندى فيه ، فاللغة البولندية تفسح لشعر غير مقفى لكنه ذو بنية إيقاعية متينة ، لذا نقرأ ميلوش وكأنه يسلم نفسه فى الشعر لإيقاع تنفسه وخفقان قلبه ، إنه يقول عن شعره فى « ميلوش بقلمه » بأنه تغريمة قبل كل شىء ، ولأنه على ، على درجة من الحساسية تجاه الإيقاع لذا فإنه لا يستطيع أن يكتب بلغة سوى لغته .

وفى نفس الجريدة – ٢٤ مايو ١٩٨٥ – كتب جيرار كونيو أنه : « حسب الكاتب فإن الحنين هو جزء ضائع ، وهو سبب كل الحالات النفسية التى أصابته عبر إبداعه ، فهو دائمًا مهموم بحالة من الصفاء تؤرقها المشاعر الخاصة ، والصمت الذى تحوطه به الطبيعة » .

« من أنا .. و« من كنت » . كم أحفر بين هذين السؤالين مساحة شعرية متوسطة أزرع فيها فلسفتى ، أنا شاعر ولست فيلسوفًا ، كم أعبد الطبيعة كينبوع للسعادة والدهشة وأرفضها لآليتها التى لا ترحم » .

ويرى ميلوش أن الحدث « الشعرى » يتغير حسب كمية الواقع الذى يعانق وعى الشاعر ، وما يحوطنا هنا ، والآن هو أكثر ضمانًا ، ويمكن ألا يكون موجودًا ، والمرء دائمًا يصنع شعره بعد أن يرى نفسه فوق الأطلال .

ولأن ميلوش قد نال الجائزة كشاعر ، فيهمنا هنا أن نترجم عن الفرنسية بعضًا من أشهر قصائده اخترنا منها الترجمة الكاملة لقصيدة « طفل أوروبا » .

نحن الذين نرغب فى رقة النهار
ونحب أزهار الأشجار فى شهر مايو
أفضل من هؤلاء الذين فسدوا

نحن الذين نتذوق الطعام الغريب
ونعرف تماما حلاوة الحب
أفضل من هؤلاء الذين فوق الأرض

نحن الذين جئنا من السعير خلف الأسلاك الشائكة
تئن عليها الرياح الحزينة العاتية
عبرنا المعارك مجروحين يملؤنا الألم
لقد ساعدنا التقدم والعلم

نحن نرسل الآخرين إلى الأماكن الواسعة
نهتف بصيحات عالية من أجل بقية المعركة
ما نلبث أن نتراجع عندما نفشل

لو أخترنا أن نموت بأنفسنا أو أن نميت
سوف نختار موتها ، ونفكر ببرود : أسرعوا .

لقد أغلقنا أبواب غرف الغاز . وسرقنا الخبز
عارفين أن الغد أسوأ من البارحة .

مثل كل البشر ، اكتشفنا الخير والشر
ولم يخترق علمنا شيء فى الدنيا .

ينبئنا أننا أفضل منهم
هؤلاء الضعفاء ، السذج . الذين أهملوا حياتهم .

ومن قصيدة أخرى نقدم :

أطلق لحيتى الكثة وعلى عينىّ المنغلقتين
فإن أهدابى تتفتح على من يعرفون الثمن
أشياء بادية . صامتة .

لقد وجد الإنسان قلبه متسعا للكلمات
هربت من وطنى ومنزلى وأعبائى
ليس بحب المال ولا بأمل المغامرة
لا . أحس أننى غريب فوق السفن
يبدو وجهى كأنه لتاجر ، لجندى ، لمحام

لا أميز نفسى فى الحشود ، وأكرم نفسى
وفى حفل المراسيم . آكل ما يأكله الآخرون
ويكفى أن نقول ذلك بأنفسنا .

يهمنا أن نشير فى خاتمة حديثنا عن شيزلاف ميلوش أنه قد زار بولندا فى عام ١٩٨١ عقب فوزه بجائزة نوبل ، ثم قام بزيارة ثانية فى عام ١٩٨٩ ، وحول هذه الزيارة أجرت معه مجلة « لونوفيل أوبسرفاتور » فى ١٦ نوفمبر ١٩٨٩ حديثاً عن علاقته بكاتب بولندى يدعى الكسندر فات . قال فيه : إنه عند زيارته لبولندا وجد بلده تختلف : « لو فتحنا التليفزيون ، فلن نصدق أعيننا . هناك شيء غير واقعى وبالغ الغرابة بالنسبة لى ، فأنا أجد نفسى هنا وقد أصبح أصدقائى أعضاء فى الحكومة ، إنه رائع ، أليس كذلك ؟ كم أعرف ذكاءهم ونواياهم الطيبة ولكن هل سينقذون بولندا ؟ فى الحقيقة ، فإن التغييرات لم تغير البلد لدرجة النجاح .

وعن الشعر فى العصر الحديث قال ميلوش فى نفس الحديث ، نحن لا يمكن أن نكتب مثل بوشكين ، ولا يمكن أن نؤلف موسيقى مثل موتسارت ، وهذا خسارة ، لأننا لسنا أفضل من أجدادنا ، ولذا فإننى لا أعرف ماذا كانوا يملكون من طليعية بولندية كانت تحركهم ، لقد تُرجمتْ أعمال البولنديين دومًا كما ترجموا الأدباء الإنجليز والأمريكيين والفرنسيين وكل المفكرين الروس قد تعلموا البولندية كى يكتشفوا ما يكتبونه للغرب .

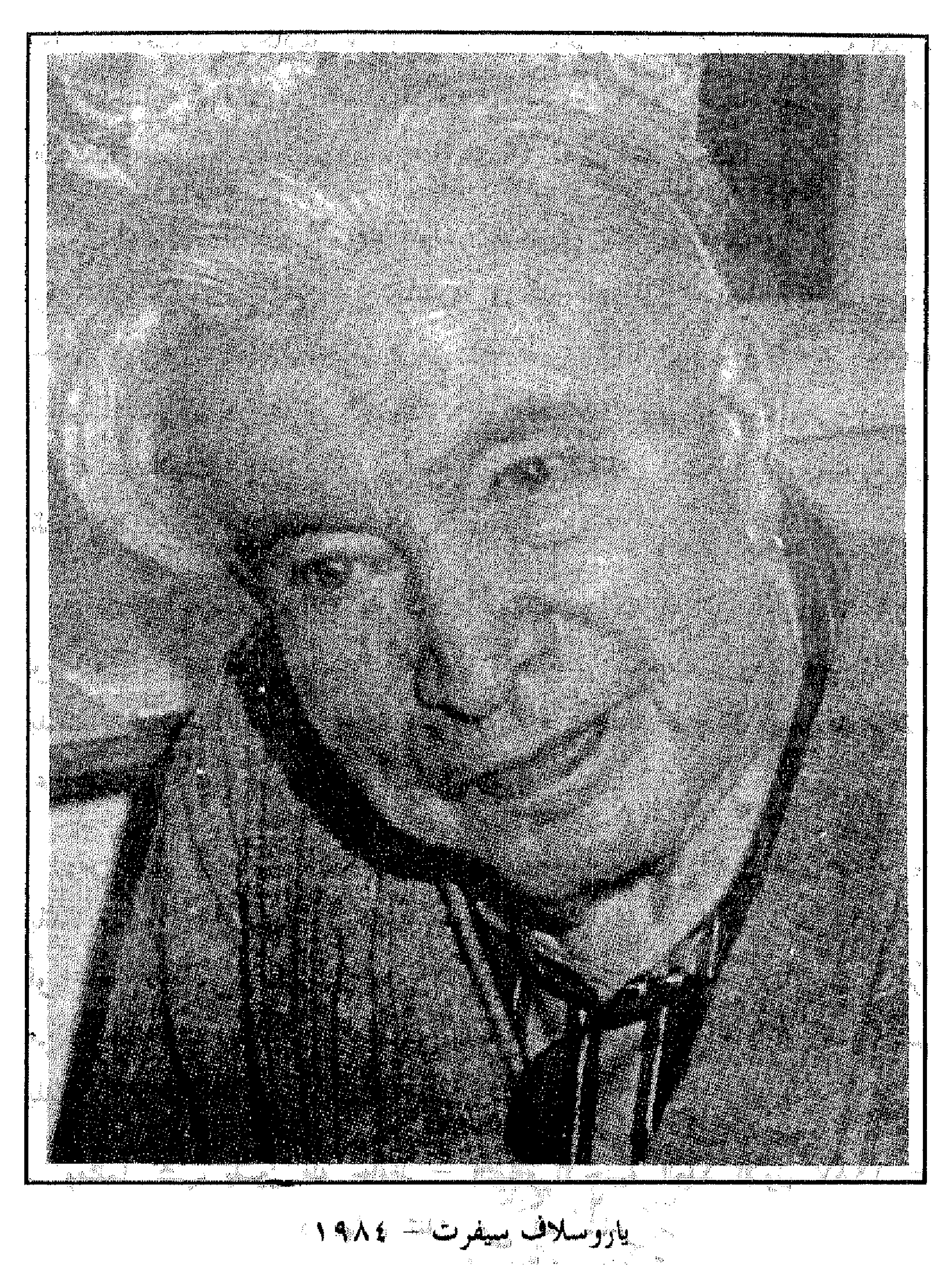
ياروسلاف سيفرت

حين حصل ياروسلاف سيفرت على جائزة نوبل عام ١٩٨٤ ، كان فى الثالثة والثمانين من عمره ، وهو بذلك أكبر من حصلوا على الجائزة سنًا فى الثمانينات ، فهو من مواليد ٢٣ سبتمبر عام ١٩٠١ فى مقاطعة عمالية تابعة لمدينة براج ، وقد ظهرت موهبة الشاعر فى مرحلة مبكرة لدرجة أنه أصدر ديوانه الأول فى عام ١٩٢٠ تحت عنوان « مدينة باكية » ، وكان آنذاك أحد مؤسسى حركة الفريق الطليعى (ديجيتسيل) ، وقد أهدى هذا الديوان إلى الطبقة العاملة ، حيث ظل أمنًا لها يعبر عن تجارب شبابه بكتابة تعليمية اجتماعية تستوحى الفن العفوى والشعر الشعبى ، وتتأثر بالفن الثورى السوفيتى وبالماركسية .

ويقول الناقد العراقى محمد الجزائرى فى مجلة « فنون » : حين سافر إلى فرنسا اتصل بحركة الحداثة آنذاك (حركة دادا والسرياليين) ، ثم حين عاد إلى بلاده ارتبط بـ« بالشعريين » وكانوا سياسيًا راديكاليين إلا أنهم – فنيًا – دعاة الحرية فى الخيال ، والفن – بالنسبة لهم – كلعب فى ذاته ، إنهم رافضون ذات المهمة الأخلاقية ، السياسية ، وقد صدرت مجموعة الشاعر « على موجات الأثير » فى عام ١٩٢٥ لتكون خير دليل على تمرده الأول . الذى دفعه للسفر إلى الاتحاد السوفيتى فى نفس العام ، ليمتحن نفسه وقناعاته ، إزاء ثورة أكتوبر والصرامة المبدئية ، لكن رحلته تلك جعلته أشد انتقادًا وأكثر انفلاتًا ، فهل يحتفظ الرفيق ياروسلاف سيفرت بشيوعيته أم بعضويته فى الحزب ؟

وكان القرار المتوقع : أن طرد من الحزب التشيكى الشيوعى فى عام ١٩٢٩ .

وفى الثلاثينات أصدر سيفرت أعمالاً كلاسيكية المنحى متقاربًا فيها من لهجة مألوفة فى الأغنية ، وهى كنتاج بين الذروة فى الشعر التشيكى آنذاك : « تفاحة صدرك » ١٩٣٣ و « يدافيتوس » ١٩٣٦ . و « وداعا للربيع » عام ١٩٣٧ .



یاروسلاف سیفرت – ۱۹۸۴

وسيفرت الذى نشر حوالى ثلاثين كتابًا شعريًا بينها كتبه التى أشرنا إليها إلى جانب « مظلة من بيكاديللى » ، و « نصب الطاعون التذكارى » . وسيرته الذاتية « كل جمال العالم » برز خلال الاحتلال النازى لبلاده بوصفه معبرًا عن الأمة التشيكية المقهورة ثم انزوى بعد عام ١٩٤٨ حين أُبعد مجددًا .

ولم يعد إليه اعتباره إلا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفيتى ، وفى تلك الأثناء لم ينقطع عن جمهوره ، لكنه ظهر فى الساحة الثقافية بعد أن خلف « إدوار جولد شتوكر » فى أغسطس ١٩٦٨ رئيسًا لاتحاد الكتاب التشيك ، وكان من أوائل المنشقين وغير المتطابقين مع النظام ، ومن مؤيدى حركة دوبتشيك ، ومن أوائل الموقعين على بيان المثقفين المنشقين المعروف بميثاق الـ « ٧٧ » .

توقف إنتاج سيفرت لفترة من الوقت بسبب مشاكله مع السلطة عام ١٩٥٩ ، وظلت كتبه ممنوعة من النشر والتداول لمدة عشر سنوات ، وفى عام ١٩٧٩ بدأت تشيكوسلوفاكيا فى إعادة نشر أعماله من جديد ، وكان أيضا قد توقف عن الإنتاج الأدبى بسبب مرض طويل ألم به .

ومن المهم أن نشير أن سيفرت قد بدأ مجددًا لم يبتعد عن تقاليده الشعرية باندفاعه حادة أو استهانة ، كما أنه انتهى إلى تقليدية محترمة بعيدة عن التخلف أو المحافظة ، اللذين يقللان عادة من شأن التقليد ، يظل فى الاعتبار الأخير شاعرًا من فطاحل الشعر التقليدى المعاصرين والذين هم عادة قمم شعرية لا يخلو منهم بلد من بلدان العالم .

ومثلما كتب ياسين طه حافظ – الثقافة الأجنبية العدد الأول ١٩٨٧ – فإن لسيفرت ميزة يتفرد بها ، تلك هى أنه شاعر مرح قريب من التراث الشعبى ، ويتمتع بطفولة عذبة تتخلل أكثر أشعاره حزنًا ، تتكدر أحيانًا كدرًا

مفزعًا متحمسًا بدموعه فى القصيدة وتنطلق فرحة أحيانًا . فتسمعه يضحك من وراء السطور .

وعقب فوزه بجائزة نوبل أجرت مجلة تايم الأمريكية حوارًا مع الشاعر فى ١٧ ديسمبر ١٩٨٤ رد فيه حول سؤال عن عدم قابلية الأمريكيين لقراءة شعره قائلا : « شعرى من السهل فهمه ، إنه مقالات شعرية ، فى بداية عملى بالشعر كان يحتوى على العديد من السمات الغنائية ، والآن هو شعر فى ميزانه وقافيته » ويقول الشاعر : « إنه لم يتعلم شيئًا من السياسة ، وأن ما يهمه فقط هو الشعر فعلاقتى مع الشعر باردة . خاصة بعد وفاة ماساريك ، لقد أجبرتنى رؤى قوية ، وأصبحت أمتلك رؤى عميقة ، أنا رجل حساس ، وقابل للتعبير عن سلوك الشعب وأجده فى داخلى كمتحدث » .

ويهمنا هنا أن نرصد بعضًا من إبداع ياروسلاف سيفرت الشعرى مترجمًا عن مجلة « الثقافة الأجنبية – العدد الأول – ١٩٨٧ » والذى ترجمه ياسين طه حافظ :

سيرة .
كانت أمى .
إذا أرادت الكلام عن نفسها ،

تقول :
حياتى حزينة وهادئة .
دائمًا أسير على أصابع قدمىّ .
وإذا ما غضبت قليلا
وضغطت بقدمىّ على الأرض
ضجنى رنين أكواب والدتى

على خزانة الأطباق
فأضحك

قيل لى لحظة مولدى
دخلت فراشة مرفرفة عبر النافذة
واستقرت على سرير أمى
لكن فى اللحظة نفسها نبح كلب
فى باحة البيت
ظنت ذلك والدتى
علامة نحس

حياتى أنا طبعًا
لم تكن آمنة كحياتها
ولكن لو تفرست فيها اليوم
بأسى

وكيف كانت أطر صور فارغة
وكل ما كنت أراه حائطا متربًا ،
لأدركت أن حياتى الآن جميلة جدًّا

هنالك لحظات كثيرة لا أنساها
لحظات مثل زهرات متألقة
بكل الألوان والأشكال
حينما كانت الأمسيات مفعمة بالشذى
وبعناقيد العنب الأرجوانية

بحماسة قرأت الشعر
وأحببت الموسيقى
وتنقلت مندهشًا أبدًا
من جمال إلى جمال
ولكننى ، حين رأيت لأول مرة
صورة امرأة عارية
بدأت أؤمن بالمعجزات

حياتى توقفت بهدوء
كانت قصيرة جدًّا
بالنسبة لسعة أشواقى
التى ما كانت لها حدود
قبل أن أعرف حياتى
دنت إليها نهايتها

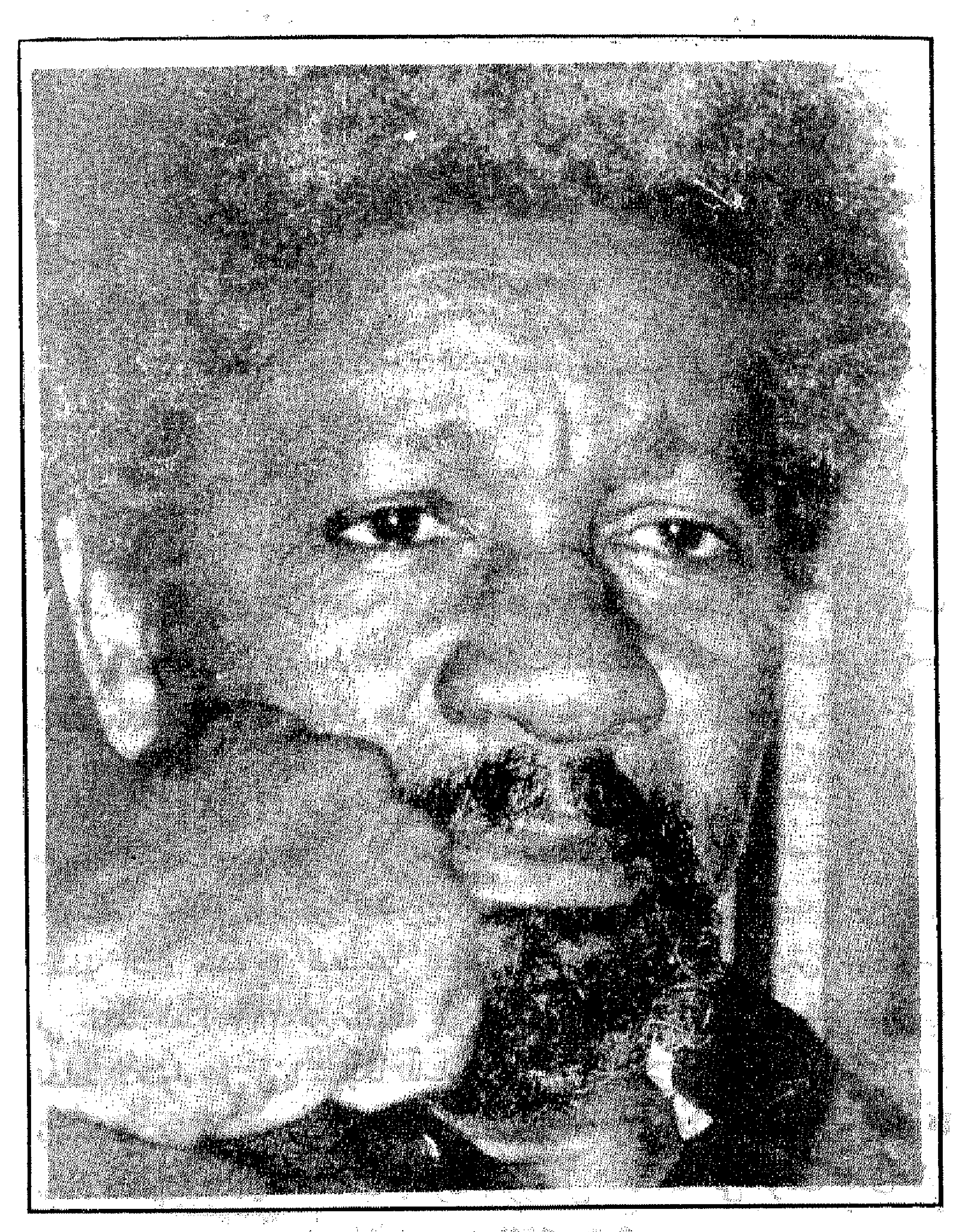
سيأتى الموت ويرفس باب غرفتى
ويدخل
ويفزع اللحظة المرعبة
سأقطع نفسى
وأنسى أن أتنفس مرة أخرى .

الجدير بالذكر أن ياروسلاف سيفرت هو أول من رحل من الكتاب الذين فازوا بجائزة نوبل بين عامى ١٩٨٠ و١٩٩٢ ، بل هو الوحيد الذى رحل فى نهاية ديسمبر ١٩٩٢ .

رغم شهرة الكاتب النيجيرى وول سونيكا ككاتب مسرحى فى المقام الأول ، ورغم رواياته التى ساندت شهرته ، إلا أنه حصل على جائزة نوبل كشاعر ، فمن المعروف أن أكثر كتاب المسرح الذين حصلوا على الجائزة قد منحوا عن أنشطتهم الإبداعية الأخرى ، مثل صموئيل بيكيت التى حازها كروائى .

ومع ذلك ، فلا يمكن أن نرصد سونيكا كشاعر فقط ، بل علينا أن نرصده ككاتب قد تعددت الأنشطة الإبداعية التى يمارسها ، فسونيكا ، واسمه الكامل أكينو أند أولول سونيكا مولود فى ١٣ يوليو ١٩٣٤ فى « إبيوكوتا » بالإقليم الغربى النيجيرى ، لأبوين من قبائل « اليوروبا » لأب ينتسب إلى « الإيجيبو » وأم تنحدر من « الإيجيا » ، وقد تلقى تعليمه الابتدائى بمدرسة « سان بيتر » بين عامى ١٩٣٨ و١٩٤٣ ، ثم التحق بمدرسة النحو ، كما التحق بالكلية الحكومية فى « أبيدان » « عاصمة نيجيريا الغربية » ، ويقول د . إبراهيم الشوش فى مجلة الحرس الوطنى – ديسمبر ١٩٨٦ – إن سونيكا « ورث عن قبيلته تراثًا ضخمًا من الأحاجى والأساطير القبيلية انعكس على كتاباته ، فقد منحه ذخيرة ضخمة لا تنفد من الأخيلة والرموز ، وأكثر من ذلك منحه شعورًا بالثقة فى انتمائه ، وهى ثقة يفتقر إليها كثير من الكتاب السود ، وهذا يفسر إشاراته الحادة فى نقده للشاعر ليوبولد سنجور رائد حركة « الزنوجة الأدبية » : إن الزنجى لا يحتاج لأن يحمل زنوجته على كتفيه ويعلن عنها فى كل مكان » .

وفى كلية « أبيدان » بدأت موهبته فى الظهور فكان يكتب القصيدة والقصة القصيرة إلى إذاعة لاجوس فقامت ببثها ، وبعد أن انتهى من دراسته بكلية أبيدان عام ١٩٥٤ رحل إلى بريطانيا والتحق بجامعة « ليدز » ، وقد أهله هذا الأمر إلى الالتحاق بمسرح البلاط الملكى عام ١٩٥٧ حيث قام بالتمثيل فى أولى مسرحياته تحت عنوان « المخترع » ، وقد كان هذا المسرح



وول سوينكا - ١٩٨٦

فى تلك الآونة طليعيًا ، وفيه شهد سونيكا ولادة المسرح البريطانى المعاصر على أيدى كل من صموئيل بيكيت ، وجون اسبورن وأروين ورسكر وهما من رواد مسرح الغضب .

عاد وول سونيكا إلى نيجيريا عام ١٩٦٠ من خلال منحة دراسية من مؤسسة روكفلر للبحث فى التراث المسرحى الأفريقى ، وكانت البلاد تعد نفسها للاحتفال بالاستقلال عن بريطانيا ، فكتب خصيصًا لهذه الاحتفالات مسرحيته الأولى « رقصة الغابات » ، وهى تناقش أفكار مجموعة متباينة من الأجيال يشتركون فى الاحتفال بالاستقلال : الأجداد الذين صنعوا الاستقلال ، ثم الأحفاد الذين سيقطفون الثمار ، واثناء الاحتفال يولد طفل يرفض عقب نزوله أن ينتسب إلى الماضى كلية ، ولكنه لا يرفض - فيما بعد - كل هذا الماضى ، بل يرى فيه بصيصًا من القبول والأمل .

وقد أشار الكاتب فى هذه المسرحية أن للأفارقة جوانب قوتهم ، وجوانب ضعفهم ، ويجب ألا يتجاهلوا قوتهم كما يجب ألا ينسوا ضعفهم ، لذا فهو يتخذ موقفًا محددًا من قضايا التراث ومن قضايا الواقع الأفريقى .

وقد فازت هذه المسرحية بجائزة مسابقة الأوبزرفر ، وعنها يقول ، بعد أن فازت بجائزة أخرى هى « الاستقلال » : « فى مسرحية « رقصة الغابات » حاولت استخدام عدد من الطقوس الدينية ، هناك طقوس حاولت استخدامها لتفسير أشياء بعيدة كل البعد عن المنظور التقليدى » ويرى جوريس سيلينيكس فى مقدمة العدد ٢١٧ من سلسلة من المسرح العالمى الكويتية أن هذه المسرحية تسلط الأضواء على رؤيا سونيكا المأساوية حول مصائر بنى الإنسان وآماله الطموحة فى انبثاق عهد جديد يأتى به استقلال نيجيريا ، وفى هذا استطاع سونيكا أن يوطد دعائم استقلاليته ككاتب يشارك بدوره فى بناء أمته فى الوقت الذى لابد فيه من الاحتفاظ بحقه فى التعبير عن معتقداته وآرائه بحرية حتى وإن أثار ذلك حفيظة الجهات الحكومية الرسمية .

وفى عام ١٩٦٠ أيضًا أنشأ سونيكا فرقة مسرحية قدمت مسرحيتها الأولى تحت اسم « الأقنعة » ، وكان ذلك بداية لنشاط مكثف شهده الكاتب طوال الستينات ، حيث تقلد العديد من المناصب الثقافية الهامة ، وقام بتنويع إبداعه ، فعمل فى الإذاعة كمخرج ، وأصدر دواوينه الشعرية فى لندن وأخرج المسرحيات التى كتبها فى نيجيريا ، ومن هذه المناصب أنه عمل مدرسًا بقسم اللغة الإنجليزية بجامعة « أبيدان » ، وفى أكتوبر ١٩٦٣ عين رئيسًا للقسم الإنجليزى فى جامعة لاجوس ، وفى العام التالى استقال من منصبه ليكوّن جماعة للمسرح .

فى تلك الفترة قدم عددًا من المسرحيات من بينها « الطريق » عام ١٩٦٥ ، و « حصاد كانجى » عام ١٩٦٦ ، ثم « الأسد والجوهرة » .

وفى مجال الشعر نشر سونيكا مجموعة دواوين من أبرزها « مكوك فى السرداب » ، وهو الديوان الذى نال عنه جائزة نوبل ، وقد جاء فى البيان الذى أصدرته أكاديمية أستوكهولم أن شعر هذا الديوان هو « قمة النقاء الذهنى والاتصال البشرى والتمازج الطبيعى بين الغضب والسماحة ، ويتم هذا التمازج بنفس السلاسة التى يهجن بها سونيكا اللغة الإنجليزية بلهجة اليوروبا » ، ثم هناك ديوان « أوتار » الذى كتب مقدمته ليوبولد سنجور ، أما فى مجال الرواية فقد نشر « المفسرون » عام ١٩٦٨ ، و « سنوات الفوضى » عام ١٩٨٣ ، كما نشرت مذكراته تحت عنوان « ذكريات الطفولة » ١٩٨١ ، و« هذا الرجل ميت » .

وفى عام ١٩٦٥ دخل سونيكا السجن لأنه أعلن أن الانتخابات كانت مزورة ، ثم حبس مرة أخرى عام ١٩٦٧ لتعاونه مع الثوار فى بيافرا أثناء الحرب الأهلية ، وأودع سجن مدينة لاجوس وكان الحبس بمثابة الهام لتقديم روايته الأولى « المفسرون » ، وفى عام ١٩٦٩ صدر الأمر بالإفراج عن وول سونيكا بمناسبة عيد الاستقلال ، فتسلم عمله كمدير لمعهد الدراما بجامعة أبيدان ، ثم سافر إلى لندن وغانا ليعيش بعيدًا عن وطنه ستة أعوام ، ثم قام فى أوروبا وعمل ببعض جامعاتها ، وسافر إلى الولايات المتحدة ليعد مجموعة من الدراسات حول

فن المسرح عام ١٩٧٦ ثم عمل مدرسًا للأدب المقارن فى جامعة « إيف » بنيجيريا ، وفى عام ١٩٨٥ عين رئيسًا للمعهد الدولى للمسرح الذى تقوم منظمة اليونسكو بالإشراف عليه .

يقول د . محمد الشوش فى مجلة الحرس الوطنى – ديسمبر ١٩٨٦ – أن سونيكا قد ظل « مشدودًا بكل وجدانه إلى قضايا أفريقيا ، مناضلاً لا يقتصر نضاله على محاربة القهر الذى تمارسه حكومة جنوب أفريقيا العنصرية ضد السود ، وإنما يمتد وبصورة أعنف إلى كل ألوان الفساد والأعمال القهرية التى يمارسها السياسيون الأفريقيون أنفسهم ، ونضال سونيكا لا يعرف المهادنة ومع ذلك فهو يكره أن يصنف فى عداد السياسيين ، فهو يعتبر نفسه أديبًا وكاتبًا فى المقام الأول وليس سياسيًّا ، كما يعتبر أن مواقفه الوطنية ونضاله ضد الفساد والدكتاتورية إنما تنبع من التزامه الوطنى ككاتب وليس كسياسى محترف » .

ويهتم سونيكا – كما جاء على لسان د . جوريس سيلينكيس – بالالتفات إلى مصادر الكتابة الأفريقية بدلاً من محاكاة نماذج وضعها أسياد غرباء ، وهو يصر أن تكون هذه الكتابة لها علاقاتها ومعناها إزاء الحقائق المتمثلة فى عالمنا المعاصر ، و« إن على الكتابة الأفريقية أن تمهد الطريق نحو إنسانية مشتركة ، لذلك فهو يوصف دائمًا بالمغالاة فى حبه للإنجليز ، وكرافض للرومانسية البلاغية القائمة على تعظيم العنصر الزنجى ، وهى الحركة التى بدأها محبو فرنسا فى الثلاثينات من كتاب جزر الهند الغربية وغربى أفريقيا الذين كان من أشهرهم كل من إيميه سيزار وليمون ديماس وليوبولد سنجور » .

وفى أعمال سونيكا الإبداعية هناك دائما مشكلة الانتماء والاختيار ، كما أن مسرحياته تبرز مسألة إيمان قبائل اليوروبا فى الأسلاف والأجداد ، وأيضًا مسألة الصراع بين القيم الجديدة والقديمة ، كما أن هناك مسألة الاختيار بين كل ما هو حضرى وريفى ، وفى مسرحيات الكاتب . نجد سونيكا يستخدم الأقنعة والطبول والشعائر الأفريقية ، فهو يقول أن من معتقدات اليوروبا :

« تتسم الحياة – انظر من المسرح العالمى العدد ٢١٧ – إلى ثلاث فترات زمنية متداخلة ، ما قبل الحياة والحياة وما بعد الحياة أو تلك التجربة التى يمر بها الذين لم يولدوا بعد والأحياء . والأجداد على التوالى » .

ويقول سونيكا عن دوره ككاتب مسرحى : « أعتقد أن واجبى الأساسى هو أن أقدم مسرحًا مختارًا ، لى التزام واحد هو التزام قِبَلْ المتفرجين ، إنهم لن يتركوا المسرح وهم يشعرون بالملل ، ليس مطلوبًا منى أن أثير العقول أو أن أوجه أو أعلم عكس برخت الذى أنا معجب به لأن ما يعجبنى فى بريخت هو نوع مسرحه ، وحيويته ، إنه يقدم مسرحًا ممتعًا للمتفرجين » .

وعن مسرح سونيكا يقول سيلينسكس : ان مسرحية « مجانين واختصاصيون » مثل جيد على مسرحيات سونيكا التى يمتد أثرها من الموضوعات المحلية والأحاديث الجارية إلى الموضوعات العالمية والإنسانية الخالدة . أما مسرحية « الموت وفارس الملك » .. فهى أكثر مسرحيات سونيكا طموحًا ولعلها أكثرها نجاحًا فى محاولة خلق مأساوية يوروبية ، وهى مسرحية زاخرة بالمعانى والجمال الشعرى ، طيعة لكل أساليب التفسير والتأويل ولا يمكن تضييق الخناق عليها ووضعها ضمن الأدب الذى يطلق عليه اسم « صراع الثقافات » ، كما حاول بض المخرجين التليفزيونيين أن يفعلوا » .

وعن عالم سونيكا الروائى ، يهمنا أن نقدم نموذج رواية « المفسرون » التي تدور حول مجموعة صغيرة من الشباب النيجيرى المثقف الذى يعمل بالترجمة ، يفسر كل منهم أعمال الآخرين . ويحاول أيضا تفسير أحداث المجتمع الذى يعيش فيه كما يشاء ، تقوم فيما بينهم علاقة قوية حتى فى أوقات اللهو ، وتظل هذه العلاقة قوية بعد أن يتخرجوا من الجامعة ، ورغم أن لقاءاتهم تقل إلى حد كبير إلا أنهم يتقابلون مرة فى كل عام يشربون ويتبادلون النكات ويحكى كل منهم تجربته الأخيرة .. فيكتشف زملاؤه ، إلى أى حد أصابهم التغيير ، فالتغيير الذى يحدث هنا للشباب هو نفس التغيير الذى يحدث

لنيجيريا ، ويقول عبد العزيز صادق فى مجلة أكتوبر — ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦ — انه « يمكن أن نقول : إن « المفسرون » هجائية ذات أشواك حادة ، موجهة ضد سقم مجتمع المدنية النيجيرية ، أو المدنية الأفريقية ، ويحتفظ سونيكا —كعادته — بسخريته اللاذعة للنيل من مظاهر التصنع فى السلوك التى تتكلفها طبقة البرجوازية الجديدة فى نيجيريا » .

وأبطال « المفسرون » الذين يمثلون وطنهم ما بعد الاستقلال يعملون بمجتمع جديد عادوا من الخارج حالمين بالمعرفة ، ولكن مأساتهم أنهم لا يعون الحقيقة الشرسة وهى أن الجلود البيضاء لا زالت تتلاعب بأقدار الزنوج فى افريقيا .

« وهذه المجموعة الحالمة يلقى أعضاؤها الفشل الذريع فى تحقيق حلمهم ، وذلك أن الفساد الذى ينخر فى المجتمع بأسره أقوى من إرادتهم . ثم إن المشاكل الخاصة التى تعتصرهم تفلح فى الوقوف حاجزًا شاهقًا ، يحول بينهم وبين الشعب الذى سعوا إلى تنويره » .

ولسونيكا رواية أخرى هامة هى « سنوات الفوضى » كتب عنها كامل يوسف حسين — مجلة الأقلام أغسطس ١٩٨٧ — قائلاً إن الفساد يصل إلى « قمته الطبيعية فى درجة قصوى من العنف تسود المجتمع . كما يصوره سونيكا . يصنعها تحالف العسكر ورجال الأعمال ، هنا يرتفع إبداع الكاتب النيجيرى إلى قمته ، فنرى أنفسنا بإزاء نسيج روائى عجيب ، ينال الحصاد الجماعى فيه أعمار البشر قبل أن يحين الأوان . « المؤسف » إن الحكام الجدد فلاحون مزيفون يزرعون الموت . موتًا داخليًا يتسلل فى الروح ، كنبتة سامة تنتشر فى أحشاء الأرض ، وهم يعملون على قتل مراكز أعصاب الشعب بأكمله حتى يقدمون بفخر بلادهم الهادئة كصورة مثالية للسلام » .

أما عن شعر سونيكا فقد كتبت جريدة لوموند الفرنسية — ٧ أكتوبر ١٩٨٦ — أنه دليل محدد لمتابعة هذا الكاتب المناضل فى الرحلة التى قام بها ، مجتازًا

كل المخاطر الخاصة حتى أطراف الخوف ، بإيقاع غربى ملىء بالوسوسة عند سونيكا ، فالرحيل عند الكاتب متعة ، ولكنه أيضًا مؤلم ، فهو المقدرة على الذهاب بعيدًا ، لذا يجب أن تتم التضحية فى دائرة أبدية من الموت والميلاد » .

وقد كتب سونيكا أكثر قصائده وهو فى السجن ، وخاصة ديوانه « مكوك فى السرداب » الذى نال عنه جائزة نوبل . فى قصيدة بعنوان « الوَد » يقول :

ست عشرة خطوة فى ثلاث وعشرين
هى كل الذى يربطه بالناس والحياة
رياضة يمارسها فى كل يوم
حتى لا تتدحرج خطاه نحو الجنون

وفى هذا الديوان تجاوز الشاعر حدود السجن ، الذى حبس داخل جدرانه إلى حدود بلاده ، فهو مثلاً ينادى أدباء العالم لينقذوا الإنسان من غبائه ، إنه فى ظل مرارة السجن . لا يهمه إلا الصدق والحقيقة ، لا يهمه إلا اتصال الإنسان ليبقى أبدًا مخلصًا لكل ما هو نقى ، ولا يهمه إلا تضحيات الإنسان لنبض الحقيقة ، وليبقى الصدق مشعلاً يضىء الطريق لكل الأجيال القادمة – راجع مجلة أكتوبر فى ٢٦ أكتوبر ١٩٨٦ – إنه يترجم كل هذه المشاعر فى قصيدته « زهور لبلدى » ، التى يبدؤها بدعوة ضد العنف وضد الحرب ، إنه يبدو كما لو كان يحيا فى بلد بعيد عن نيجيريا ، ويسأله أهل ذلك البلد الغريب : أين ذهبت زهوركم ؟ ويحس أن أسئلة الغرباء يتردد صداها فى وطنه نيجيريا . حيث ينبت الموت مكان الزهور التى اختفت . يقول :

رأيت .. أربع طائرات من صلب
هل تظن .. أن أذرعتها المفتوحة
مفتوحة .. تنثر الزهور الجبلية ؟

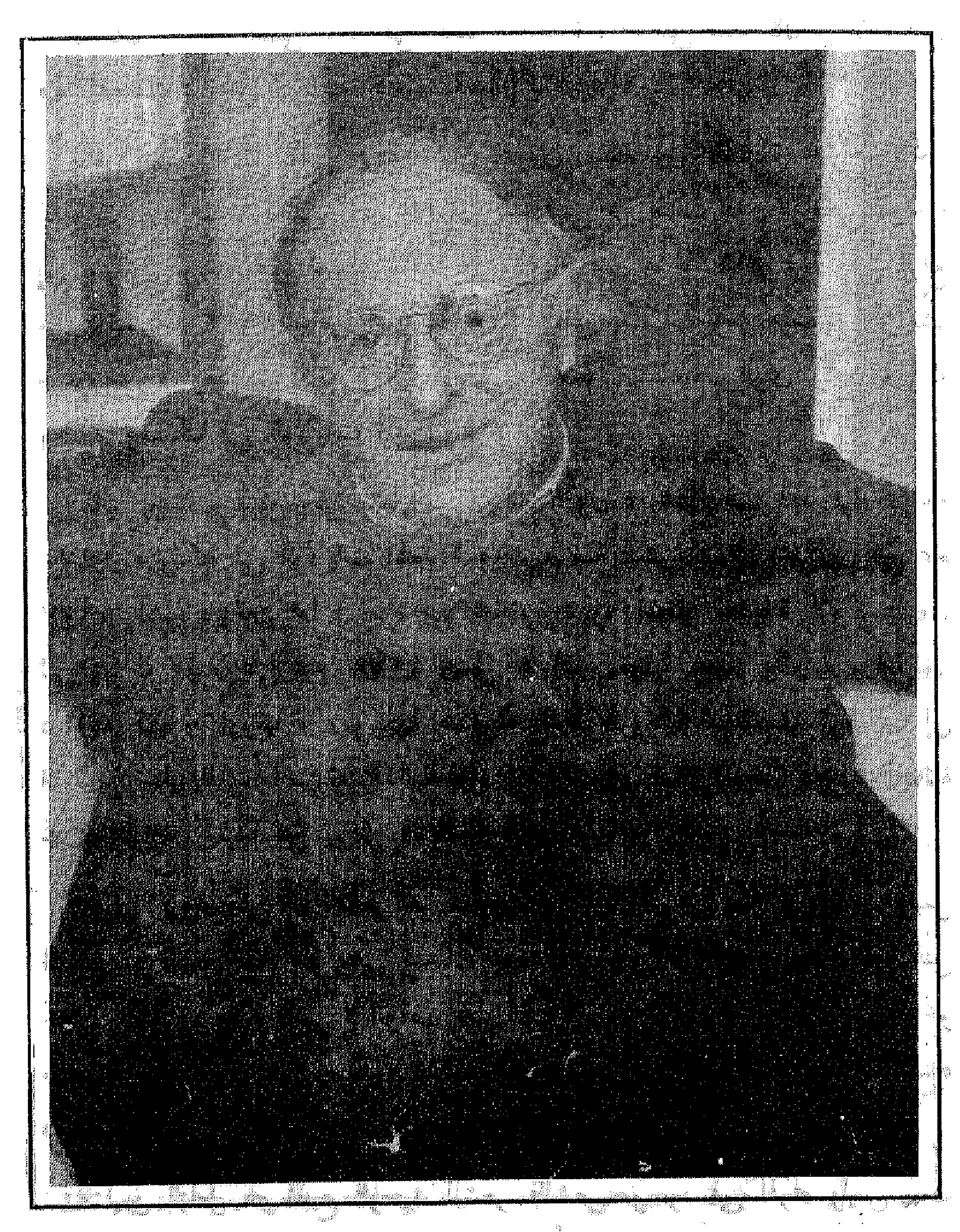
يوسف برودسكى

عندما حصل يوسف برودسكى على جائزة نوبل فى الأدب كشاعر عام ١٩٨٧ تضاربت الآراء كثيرًا من حوله ، ليس فقط لأنه يهودى والجائزة بدت شبه متخصصة لليهود فى السبعينات والثمانينات ، ولأنه ، ليس فقط ، منشق والجائزة منحت للمنشقين من كتاب الكتلة الشرقية ، ولم تمنح لمن يكتب لمناصرة أيدولوجية هذه البلاد ، ولكن البعض رأى أن برودسكى أصغر من أن يحصل على الجائزة ، كما أن شعره لا يرقى إلى مستوى الجائزة ، بينما رأى البعض الآخر أنه شاعر مبدع متميز يستحق أن يحصل فعلاً على الجائزة ، وأنه ليست هناك علاقة أبدًا بين النبوغ والسن .

ويوسف برودسكى مولود فى مدينة لينتجراد (سان بطرسبرج) فى الرابع من مايو عام ١٩٤٠ لوالدين فقيرين هما الكسندر وماريا برودسكى ، كان أبوه يعمل فى البحرية السوفيتية . أما أمه فقد تولت تعليمه وتلقينه الدروس وكل ما يجب أن يتعلمه الابن من أبيه وأمه على السواء ، فتبعًا لطبيعة عمل الأب ، فإنه كان يغيب كثيرًا عن المنزل ، لذا « فقد كانت أمى هى أول من علمنى أن هناك أدبا وسياسية ، ثم تعلمنا الكثير من الأشياء فى المدرسة ، عرفنا أن هناك زعيما اسمه لينين من مجلات الحائط قبل أن ندخل الفصول » .

وما لبث أن ترك يوسف المدرسة ، فقد وجد أن ما تعلمه فى المدرسة يكفى ، وكان عليه أن يعرف أشياء أخرى عن دوستويفسكى ، ثم تعرف على الشاعرة اليهودية آنا أخماتوفا ، وراحت تشجعه على كتابة الشعر ، ولأن عليه أن يعيش من عمل يرتزق منه ، فقد عمل مصورًا ، ثم بحارًا ومساعد باحث جيولوجى .

فى عام ١٩٦٣ نشر برودسكى قصيدة نظرت إليها السلطات كعمل خليع ، كما تعامل معها بعض الشعراء على أنها ضد النظام ، فقبضت عليه الشرطة وأرسلوا به إلى مستشفى الأمراض العقلية ، ثم أطلق سراحه ، إلا أن رجال الاستخبارات السوفيتية قاموا بالقبض عليه فى عام ١٩٦٤ بتهمة أنه « متطفل » وقضى فى معسكرات الاعتقال خمس سنوات فى مزرعة قريبة من البحر .



یوسف برودسکی – ۱۹۸۷

« كان عليّ أن أقضي يومي في كسر الحجارة ، أما ليلي فقد كان لى أن أكتب فيه القصائد ، وأقرأ الآداب الأمريكية والإنجليزية » .

وفى عام ١٩٧١ تلقى برودسكى دعوتين منفصلتين بالهجرة خارج الاتحاد السوفيتى . « عندما سألنى وزير الداخلية السوفيتى عن سبب عدم موافقتى للهجرة إلى إسرائيل أجبته بأننى لست منشقًا على النظام قدر ما أنا شاعر » ، وفى الرابع من يونيه عام ١٩٧٢ سافر إلى فيينا حيث التقى بكارل رومز مؤسس دار نشر « أرويس » ومدرس الأدب الروسى فى جامعة ميتشجان الذى راح يدبر له وظيفة ومسكنًا فى الولايات المتحدة .

كان يوسف برودسكى قد نشر ديوانه الأول « محطة فى الصحراء » عام ١٩٧٠ ، ولكنه فى الولايات المتحدة وجد فرصة لنشر أعمال أخرى ، فى عام ١٩٧٧ نشر ديوانين هما « جزء من محاضرة » و« أشعار جديدة لاوكستا » ، ثم نشر له ديوان فى عام ١٩٧٨ يحمل عنوان « نهاية عصر رائع » ، أما آخر دواوينه فهو « أورانيا » ، وكلها مكتوبة باللغة الروسية ثم تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية ، أما سيرته الذاتية فقد نشرها عام ١٩٨٨ بعد فوزه بالجائزة تحت عنوان « بعيدًا عن بيزاش » باللغة الإنجليزية .

ويرى برودسكى أن الشعر هو نتاج للغة ، واللغة هى سلاح الشعر وليس العكس ، فاللغة أقدم منا وهى تتبعنا.، إنها كائن حى بحركتها ، انها اللغة التى تحكى الشعر ، ولذا فإننى لا أتوقف قط أن أكرر أن واجب الكاتب الأول نحو مجتمعه هو أن يكتب جيدًا ، وعلم الجمال هو أم الفنون ، وهذا ما قصده دوستويفسكى عندما أعلن أن الجمال ينقذ العلم .

« ليس التأمل هو المنبع الوحيد للشعر فالشعر موجود فى الهواء وليس تحت الأقدام والشعر ترجمة للوقائع الخيالية بلغة أرضية ، وما تراه فى الأرض ليس العشب والزهور ، ولكن الأمور التى تحد من وجودها توجد بين الأشياء ، وهى تتبع قانونًا علويًا ، كان باسترناك شاعرًا عظيمًا بالتفصيل ، كان يسمو نحو مثل

أعلى ، وعظمة الشاعر النموذجية ليست فى كونه بشر عند باسترناك ولكن عندما يتحول إلى ملاك ، وفى رأيى أن الشعر أمر آخر تمامًا » .

وقد واجهت الصحف برودسكى دومًا بأسئلتها التى ترى أنه قد بدأ كشاعر نصف موهوب ، لكن هناك تغيرات حدثت فى حياته جعلته موهوبًا بالفعل : « هذا يرجع للتجربة والخبرة فقد بدأت حياتى الحقيقية وأنا فى الخامسة عشر كان كل شىء ينيرنى » وكم غيرت مكان العمل لأننى أردت أن أعرف الكثير عن الناس وعن الدنيا » .

يرى برودسكى أن الشعر نوع من النشاط الإنسانى مثله مثل أى عمل آخر يمارسه الناس ويحصلون من أجله على أجر معلوم ، فالشعر مفيد للناس ، ولذا فهو يكتب الشعر وهو فى سن صغيرة .

ولم يثر برودسكى الأقاويل حوله فقط كشاعر وعن قيمته الإبداعية ، بل إن البعض قد ردد أن الشاعر قد استفاد كثيرًا من مسألة اعتقاله كى يكسب الكثير من التعاطف من قبل وسائل الإعلام الغربى ، فأى معسكر اعتقال هذا ، ذلك الذى يتعلم فيه السجين اللغة الإنجليزية ، ويترجم الكتب ، والحقيقة أن برودسكى لم يكن فى معسكر اعتقال حقيقى مثل ذلك التى نفى إليه الكثير من المنشقين فى الاتحاد السوفيتى فى سيبيريا وخاصة الكسندر سولينتسين ، بل كان محكومًا عليه أن يلزم مسكنه ، وأن يعمل أحيانًا فى المزرعة ، والغريب أن هذا العمل كان على هوى الشاعر الذى كان يعشق الطبيعة « كنت أشعر بالرضاء أننى أستيقظ فى ساعة مبكرة من الفجر كل يوم ، وكنت أحب انتظار شروق الشمس فوق الحقول ، وكنت أحب أيضًا ، فكرة أننى لست وحدى الذى يرى هذه الشمس ، وأن هناك الملايين من البسطاء فى البلاد يفعلون ما أفعل ، لم أعتبر أبدًا أن هذا عقاب ، قبل هذا كنت صبيًا فى مدينة ، لم أكن أشعر بالعرفان لشىء فى تلك الآونة ، أما الآن ومن أعماقى فإننى أشعر بذلك ، وعندما أفكر فى هذه الأمور فإننى يجب أولاً أن أنسى أن هذا هو حال الزراعة السوفيتية ، وبسبب العقاب المتباين ، فإن أحدًا لم يكن يفكر أن يفعل شيئًا لأيام عديدة ، وقد ظللت هكذا فى المنزل ، أعمل وأعمل » .

كما أن برودسكى قد أثار حوله التساؤل عن هويته كشاعر روسى ، فعندما حصل على جائزة نوبل فى عام ١٩٨٧ كان قد ترك بلاده قبل ذلك بخمسة عشر عامًا كان قد أنسلخ خلالها من الثقافة الروسية وكتب الكثير من أعماله بالإنجليزية ، وقد حصل على الجنسية الأمريكية ، وقد رد برودسكى على هذا الاتهام قائلاً : « أنا ككيان إنسانى لست سوى نتاج لروسيا والثقافة الروسية ، بالتأكيد رغم أننى لم أكن راضيًا بما فيه الكفاية عن ظروف الثقافة الروسية » .

كما دافع برودسكى عن نفسه بأنه لم يكن أبدًا يحس أنه شاعر يهودى ، بل هو شاعر فى المقام الأول ، وقد أجاب أنه لم يتلق أبدًا علومًا يهودية رسمية ، « أعرف فقط أننى أكتب بالروسية طوال حياتى ، وأنا هكذا روسى مائة بالمائة ، وأعرف أننا يجب ألا نحدد وجهة نظرنا كيهود ، يجب أولاً أن نعرف الشرف والإخلاص ، والخير ، وهكذا » .

وقد اخترنا أن نترجم عن الفرنسية اثنتين من قصائد برودسكى كنماذج من شعره ، الأول تحمل عنوان « جزيرة سيراكزوه » كتبها عام ١٩٦٧ حول ليكوميد ملك سيراكوزه ، الملك الأسطورى الذى وضع تقاليد الموت ، وهرب إلى ذاته بعد أن تم القبض عليه فى أثينا ، لقد تخيل أن لوكوميد قد قرض هذه القصيدة وهو يموت .

غادرت المدينة بحكم القدر
غادرت المتاهات ، وهجرت الطواحين
العفنة ، وراحت أريان تفوح .

بين ذراعى باكوس
حول النصر الجميل
رغم تأليه البطل
دائما يندس الموعد
عندما يمر لأعلى ، ذلك الفن
فنجز فرائسنا ، فى كل مكان

وننسحب للأبد إلى أى مكان
وتضيع فرص العودة
الموت هو الموت ويجب أن نقر بذلك
فيا أيها الميت ، عليك النضال ضد الوحوش
وكل من يزعمون أنهم خالدون
فلا تتصفح وجوههم
فهم ماثلون فوق الحاضر
ويمنحنا الله مكافأته
ويبعدنا عن الحشد السعيد
ويحتوينا فى سرية ، ونرحل
نحو العقد الجميل . نحو الأبد
فإذا قدر للإنسان أن يعود
إلى مكان جريمته ، فلن يعرف
عليه العودة إلى حيث ارتكب الخطيئة
لكن القدر مكتوب .
والشعور بالعار عميق
قد توافقا تمامًا .
لم يعد أمامنا سوى الليل
والحيوان العفن والجموع المكدسة .

البيوت والنيران والفراغ المعتم
ويندس أريان وباكوس
لزامًا عليهما أن يعودا يومًا
إلى الدار ، إلى البيت . إلى الملتقى
فمنزلى فوق درب هذه المدينة

وليعلم الله أنني لا أمتلك سوى
وجودى المنشطر ، وتبدو المدينة
لساكنيها . وكأنها تبدأ فى منتصف
العقد ، كى تتهيأ لعنتنا
وتبدأ سيرتنا الأولى .

أما القصيدة الثانية فإن عنوانها « طبيعة صامتة » وقد اخترنا منها مقاطع :

الناس والأشياء يتزاحمون
العيون يمكن أن يجرحها ويوجعها
الناس والأشياء سواء
الأفضل أن تعيش فى الظلام
أجلس فوق مصطبة خشبية
أشاهد المارة
وفى بعض الأحيان أسرة بأكملها
لقد ضقت ذرعًا بالضوء
هذا شهر الشتاء
إنه أول شهور التقويم
سأبدأ الحديث
عندما أضيق ذرعًا بالظلام
أزف الوقت ، سأبدأ
لا يهم بماذا أبدأ
فم فاغر ، الأفضل أن أتحدث
برغم أننى أستطيع ايضًا أن ألوذ
بالصمت .



أوكسفورد — ١٩٩٠

عندما حصل الشاعر المكسيكى أوكتافيوباث على جائزة نوبل فى عام ١٩٩٠ لم يثر أى دهشة مثل الدهشة التى أثارها فوز الكثيرين من قبل ، فباث شاعر متميز ، سبق له أن فاز بجوائز أدبية عالمية عديدة ، وكان من المنتظرين دوما فى قائمة النوبليين ، لذا أحدث فوزه إرتياحًا لدى الكثير من الذين يتابعون سنويًا الفائزين بجائزة نوبل ، وقيل وقتها إن الجائزة قد وضعت فى نصابها . فها هو كاتب مشهور يحصل عليها خاصة أن البعض قد أشار أن أكاديمية استوكهولم تعتبر شهرة الكاتب العالمية بديلاً عن الجائزة فى الكثير من الأحيان .

المفاجأة الوحيدة التى ارتبطت بهذا الفوز هو اللغة التى يمثلها باث ، فقبل عام من فوزه كان كاتب أسبانى هو ثيلا قد فاز بالجائزة ، ولأن فى العالم عشرات اللغات التى يمكن أن يفوز بها كاتب بالجائزة خاصة الصينية والألمانية والإيطالية ، فإن الجائزة قد آثرت أن تمنح لكاتب يكتب بالأسبانية باعتباره من المكسيك أى أن الجائزة عادت ثانية إلى أمريكا اللاتينية التى برزت فى عالم الأدب بشكل واضح فى العقدين الأخيرين .

وقد منح باث الجائزة — كما جاء فى بيان الأكاديمية — باعتباره كاتبًا باللغة الأسبانية ذا منظور دولى واسع ، « إن شعره ومقالاته تنبع من اتحاد صعب ، ولكنه مثمر بين الثقافات مثل ثقافة الهنود الحمر فى زمن ما قبل كولومبس ، والفاتحين الأسبان والحداثة الغربية ، فشعره هو الكتابة بالكلمات وعن الكلمات ، وقد خصصت الأكاديمية ديوانه « متاهة العزلة » من بين بقية أعماله كى تمنحه الجائزة .

ولد أوكتافيوباث فى المكسيك عام ١٩١٤ ، كان العالم الغربى فى تلك الآونة يتمزق . وقد كان جده لأبيه موظفًا عامًا وروائيًا ، وواحدًا من أبرز

الكتاب فى بلاده ، وقد عرف عنه دفاعه عن الهنود الحمر سكان المكسيك الأصليين .

ولذا فإن أوكتافيو قد عرف بيتا يهتم بالثقافة ، ففى المنزل مكتبة كبيرة يتعامل معها الآخرون كأنها قطعة من السحر ، فهى مليئة بالمرايا والستائر ، والدخول إليها أشبه بدخول معبد ، وهذه المكتبة تمثل ثقافتين الأولى أسبانية ، والثانية هندية .

كان والد أوكتافيو محاميًا كبيرًا وثوريًا ، وهو أحد رجال الثورى المكسيكى إميليانوزاباتا حيث كان يدافع معه عن حقوق الفقراء ، لكن الأب مات ذات يوم فى حادث قطار .

ووجد أوكتافيو نفسه فى رعاية عمته التى راحت تتولى تعليمه ، وكانت تؤمن بأن عليه أن يقرأ ثقافات متنوعة ، كما أصّلت فيه الالتزام بالمبادئ والتقاليد الراسخة التى تنتهجها الأسرة .

وفى سنه المبكرة التهم أوكتافيو كتب هذه المكتبة الضخمة وبدا شغوفًا بالمعرفة ، والتحق بكلية الآداب فى مكسيكو ثم مالبث أن قاطع الدراسة عام ١٩٣٦ ، وآثر أن يدرس فى تعليم نفسه ثم عمل مدرسًا للمدارس الثانوية ، وراح يكتشف أن أساس الحياة هى ثلاثة أشياء : المرأة ، الطبيعة والكلمة ، فعقد صلة قوية مع الأشياء الثلاثة .

وفى نفس العام ، اندلعت الحرب الأهلية الأسبانية . فسافر أوكتافيو إلى هناك ، والتقى بالعديد من الشعراء الذين جاءوا من أمريكا اللاتينية لهذه المناسبة ومنهم بابلونيرودا ، وفاليخو دالبرتى ، ثم مع المخرج السينمائى الأسبانى لوى بونويل . حيث أعلنوا جميعًا فى وثيقة رسمية احتجاجهم على الحرب الأهلية .

وكانت الحرب الأهلية السبب الأول فى إشعال جذوة الشعر لدى أوكتافيوباث . فصدر ديوانه الأول « جذور الإنسان » ، وكان قد سبقت له محاولات لم تلفت له الأنظار ، وبدأ الشاعر كأن الجذوة انطلقت فى داخله ولم تنطفئ ، فراح يصدر فى كل عام تقريبًا ديوانًا جديدًا منها « أصوات من أسبانيا » عام ١٩٣٨ ، و« على ضفة العالم » ١٩٤٢ ، و« متاهة العزلة » ١٩٥٠ ثم « بذور الأنشودة » عام ١٩٥٤ ، و« ماء ورياح » عام ١٩٥٩ ، و« السمندر » ١٩٦٢ ، و« الريح الكاملة » ١٩٦٦ ، و« أشعار المكان » ١٩٧١ ، و« العودة » ١٩٧٦ ، وفى عام ١٩٧٩ أصدر ثلاثة دواوين بأكملها ، ثم كان ديوانه الأخير « خميلة موغلة » عام ١٩٨٣ .

وأوكتوفيوباث من أغزر كتاب عصره إبداعًا ، ليس فقط فى الشعر ، بل هو معروف ككاتب مقال سياسى ، وقد صدرت له كتب عديدة فى هذا الصدد ، منها « المكسيك الأخرى » و« زمن الغيوم » و« القرد النحوى » .

ومن المعروف أن أوكتافيوباث قد عمل فى السلك الدبلوماسى ما مكنه من السفر والإقامة فى بلدان عديدة منها الولايات المتحدة وفرنسا ، وعمل سفيرًا لبلاده فى الهند عام ١٩٦٢ ، ولكنه قاطع السلك الدبلوماسى فى عام ١٩٦٨ عندما أعلن احتجاجه على التدخل السوفيتى فى تشيكوسلوفاكيا وكان هذا رأيه الشخصى وليس الرأى الرسمى .

كانت رحلة أوكتافيوباث إلى أوروبا — كما أشرنا — فى عام ١٩٣٧ بمثابة الجذوة التى أشعلت فيه شرارة الإبداع ، وفى تلك الرحلة التقى بالكثيرين من رموز السريالية فى تلك الآونة ومنهم أندرية بريتون ولوى بونويل فاعتبر نفسه واحدًا منه ، وبدأ يكتب على طريقتهم ، وحول هذه العلاقة يتكلم عن بريتون فى حديث طويل أجرته معه مجلة « الأكسبريس » فى ٢٨ يونيه ١٩٩١ قائلا :

« إن أى إنسان ، الإنسان الكامل ، يجب أن يتم إغراؤه ليجد الروابط بين المتخصصين . من الصعب على المرء أن يعيش فى المجتمع المعاصر بكل اتساعه ، وتعقيداته ، إذن فكيف يتصرف ؟ ليس لدىّ الحل ، ولكن لدىّ القناعات إنه يجب أن نفعل ذلك ، لا أرى كيف يمكن أن نرى الفن الحديث دون أى معايير كبيرة سائدة مثلما فى العلوم فعندما نفتقد هذه المعايير أحيانًا ، فإننا نفاجأ بمزيج من الاضطراب واختلاط المفاهيم .

وعن الشعر الذى حصل من أجله باث على جائزة نوبل فإنه يرى أن مهمة الشاعر هى تحويل الشعور إلى إدراك ، ولذا فإن على القصيدة أن تكون خلاقة وليست وصفية ، وإنه من المهم أن يصف الشاعر ذاته وتجربته الخاصة فى أدبه ، فكتابة القصيدة تعنى خلق شخصية الفرد .. أن يكون أبا ، أن يكون ذاته المحررة وليست تلك الشخصية التى يقودها فرد آخر ، وإذا كانت القصيدة مرآة فإنها لا يجب أن تكون مرآة العالم الموجود ، بل يجب أن تكون مرآة سرية لعالم غير مرئى تقلبه كى يصبح مرئيًا على الرغم من قصر مدة بقائه ، وعلى الشاعر أن يحاول ببطولة السيطرة على الدوامة على الرغم من إدراكه عمقها .

« ولذا فإن الشاعر يلجأ إلى الطبيعة ومكوناتها وخاصة إلى المرأة ، وهو يؤمن « أن الطبيعة هى أجمل القصائد ، أريد أن أقول إننى لا أستخدم الكلمات الأكثر شفافية فحسب . ففى أحيان كثيرة أستخدم الكلمات الأكثر ضراوة .. لا أستطيع الخضوع لأية ضوابط أو عبارات ميتة . وأحب كثيرًا الكلمات التى تشبه البرق .. إنها تحطم الليل فى لحظة ما . لكنها تفجر الضوء » . ويؤمن الشاعر أوكتافيو أن الطبيعة مهما بدت ثابتة فإنها تتغير ، وأن الكثير من مكونات هذه الطبيعة يموت حتمًا ، فالموت موجود فى كل مكان ، الذين يزرعون قصب السكر والذين يطلقون الصواريخ العابرة للقارات ، جميعهم شركاء فى المعاناة والأنين ، ويقول فى حديث نشرته جريدة العرب — ٥ يونيه ١٩٨٧ — أن الأدب يمكن

أن يشكل تلك الحالة التى يلجأ إليها عندما نشعر بأننا نتعرض للموت الكامل ، أجل الأدب هو موقف ضد الموت ، وأنا أقصد تحديدًا ذلك الموت الذى يأتى من غير مكانه الصحيح » .

وقد تحدث باث ، فى عدد مارس ١٩٨٩ ، من صحيفة « ماجزان ليترير » ان « الشعر العربى قد لعب دورًا كبيرًا فى تكوينه . من بين قراءاتى فى سنوات المراهقة . أننى تأثرت كثيرًا بكتيب يضم مختارات من الشعر العربى الأندلسى ، وما زلت أتذكر صورًا رائعة كان يضمها هذا الكتيب ، وكتب الخطابات شدتنى هى الأخرى . بوسعى القول : « إن الأدب العربى كان مصدر إلهام لفترة معينة » .

ويؤمن أوكتافيو أن الشاعر ليس من يتكلم فحسب ، بل من يصغى أيضًا . وأود أنا نفسى أن أضع علامة استفهام أمام الحالة التى نجد أنفسنا فيها أمام فراغ ، أمام غياب تام للمشاريع . على أية حال دورى لا يقتضى أن أضع مشاريع ، فالشعراء لم يفعلوا ذلك قط وإنهم يسعون للتعبير عن الواقع كلامًا . بيد أنهم ليسوا بآلهة فى حال من الأحوال ، وهذا من حسن الحظ ، أما فيما يتعلق بى فأنا أرفض « أن أكون حكيمًا لشىء مهما يكن » .

وعن لغة الشاعر يقول أوكتافيوباث لصحيفة « كانزان » الأدبية فى حديث أجرى معه فى عام ١٩٧٧ إن العالم هو نسيج من اللغة رغم أن اللغة هى إلهام من الله ، فالكلمات هى المعبر الأول عن الزمن الذى نعيش فيه ، ولذا ، فإنه عندما أصبحت لغة الكاتب بعيدة عن لغة الناس فإن الأدب قد كف عن أن يشغل مكانًا متميزًا فى حياة الناس ، لذا فإن مهمة الأدب كانت فى الخمسينات والستينات أكثر فعالية مما هو عليه الآن » .

ويرى الناقد د . ب . جالجر فى كتاب « أدب أمريكا اللاتينية » أنه لذلك فإن شعر أوكتافيوباث يعتبر محاولة لبعث الحياة فى الروح الميتة .. أو فى الحجارة ، تلك الحجارة الصمّاء . وعلى هذا الأساس فإن شعر باث محاولة لقلب صميم الحجارة وتحويلها إلى ضياء » .

وفى الحديث الذى أجرته معه مجلة نيوزويك – ١٢ أكتوبر ١٩٩٠ – يقول باث : « إنه يفخر لأنه نال جائزة نوبل كشاعر ، وليس ككاتب مقال لأن الشعر بالنسبة لى أهم شىء ، هو النبع ، والأصل لكل أنشطتى الأدبية أن أكون شاعرًا ، فأنا لم أفكر قط فى بداية حياتى أن أكون كاتبًا أكثر فأكثر ، وأنا أكتب المقالات كنوع من الشعر ، وهذه عادة من الشعراء الذين يتغنون فقط ، لكن البعض الآخر من الشعراء – خاصة الشعراء المحدثين ، عدا ويتمان – يحاولون أن يحاكوا الشعراء الآخرين ، كى نفهم منهم أنهم يكتبون الشعر . وقد تعلمت أن على الشاعر أن يكون له عقل ، وأيضًا يكون له شعر بؤرى .

« وشيئًا فشيئًا فإن هذه الأهمية فى الشعر للكتابة فى أمور القضاء ، وللتفكير ، وللتحويل قد بدأت فى التغير إلى نوع آخر من الظاهرية ، فأنا مكسيكى ، وقد اكتشفت أننى مكسيكى عندما كنت فى الولايات المتحدة أثناء شبابى ، أثناء الحرب ، فبدأنا لا نتكلم الإنجليزية ، ورحنا نتضارب مع الأطفال الآخرين ، وعندما عدت إلى المكسيك ، كنت أقوم بنفس المعارك لنفس الأسباب ، كنت فى الرابعة عشر من عمرى ، ولم أستطع أن أفهم ذلك ، علمتنى هذه التجربة كيف يكون المرء غريبًا فى وطنه ، ولذا بدأت أسأل نفسى من أنا ولماذا أنا مكسيكى ؟ وهكذا بدأت فى كتابة أول كتبى النثرية » .

وقد اقتطفنا من قصيدة « صحراء » التى ترجمها طلعت شاهين فى جريدة الحياة (١٢ أكتوبر ١٩٩٠) ما يلى :

أسطورة
أزمنة من النار والهواء
مراهقة من الماء
من الأخضر إلى الأصفر
من الأصفر إلى الأحمر
من الحلم إلى السهر
من التمنى إلى الفعل
لم تكن هناك إلا خطوة تتقدمها أنت
بلا جهد
والحشرات جواهرجية
والدفء ينام على طرف البحيرة
المطر صفصاف محلول الشعر
شجرة تنمو على كتف
الشجرة كانت تغنى ، تضحك وتتنبأ
تكهناتها تملأ الفضاء بأجنحتها
كانت هناك معجزات صغيرة تسمى طيور
الكل كان كل شىء .
كل شىء كان الكل
كانت هناك كلمة عظيمة لا مقابل لها

كلمة كالشمس .
تحطمت في يوم ما إلى شظايا صغيرة جدًّا
إنها كلمات اللغة التي نتحدثها
شظايا لم تلتئم أبدًا
مرايا محطمة
ينظر فيها العالم مهزومًا

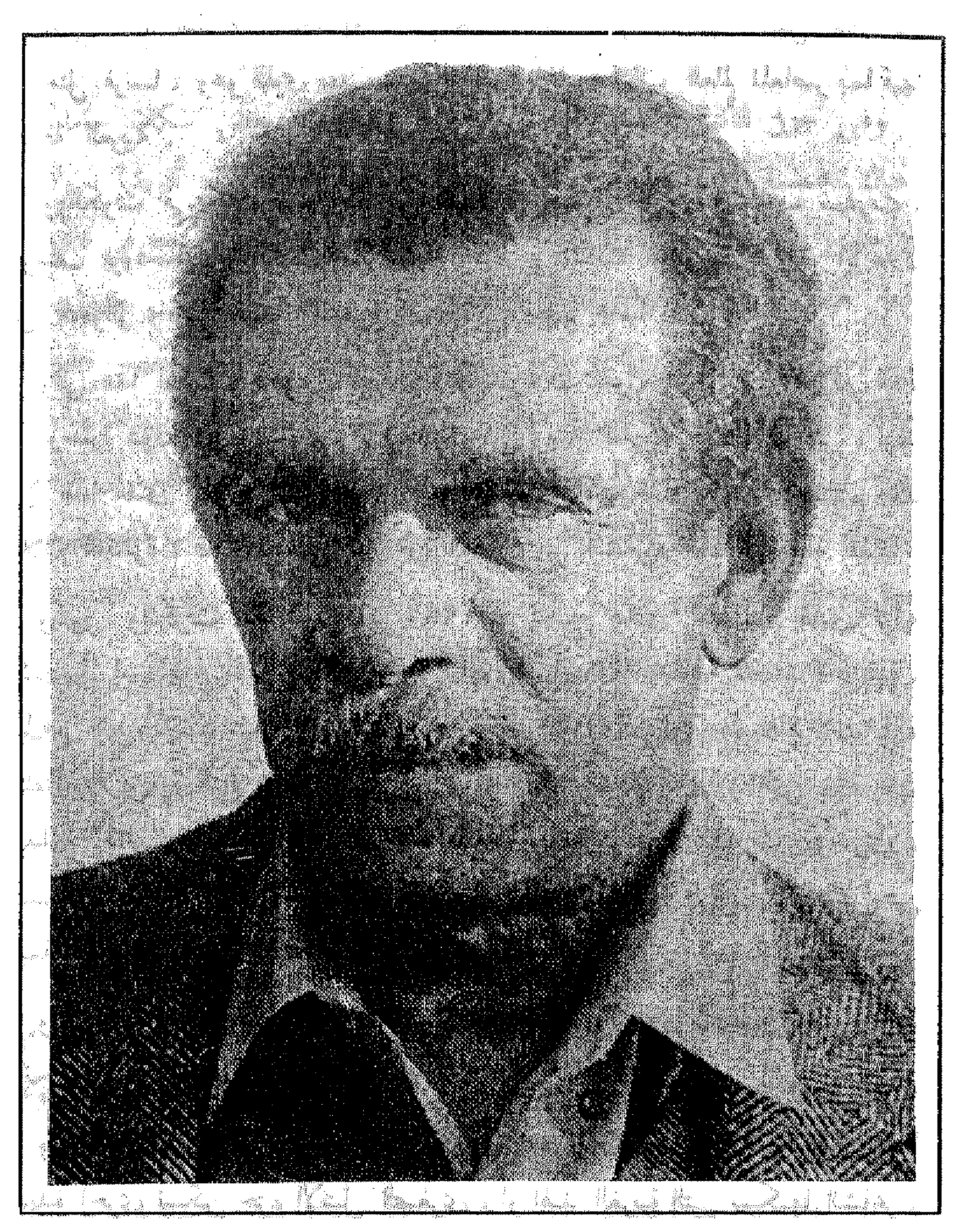
* * *

امرأة من حركة النهر
امرأة من شفافية إشارات الماء
صبية من الماء
نقرأ ما ذهب ولن يعود
بعض الماء حيث تشرب العيون
حيث ترتوي الشفاة بجرعة واحدة
الشجر
السحاب
البرق
أنا والصبية
الربيع والصبية
من ساقه الحارة يتراقص
العضل المتردد .

حينما حصل الشاعر الترنيدادى ديريك والكوت على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٩٢ ارتسمت الدهشة من جديد لحصول شاعر مجهول ، من منطقة نائية فى العالم على الجائزة . ولا يعنى هذا بالمرة أن والكوت شاعر غير متميز ، أو أن المناطق النائية والبعيدة جغرافيا عن أوروبا ، لا يمكن أن تفرز مبدعًا جيدًا ، بل إن ما رددته بعض الصحف البريطانية صباح إعلان اسم الفائز بالجائزة وخاصة جريدة هيرالد تريبيون ، يؤكد أن فوز والكوت بالجائزة فى هذا الوقت بالذات هو نوع من التكريم ، والاحتفالية بمناسبة مرور خمسة قرون على اكتشاف القارتين الأمريكتيين ، فمنذ قرابة خمسمائة عام وصل كريستوفر كولمبس إلى منطقة قريبة من بحر الكاريبى ، وفى الثانى عشر من أكتوبر ١٩٩٢ ، على سبيل المثال فى مسألة الاحتفاليات ، عرض فيلم روائى ضخم فى جميع دور العرض العالمية عن كولمبس بهذه المناسبة .

وإذا كانت الأنظار قد راحت فى تلك الآونة إلى الروائى الترنيدادى « ف . س . نايبول » الذى يعيش فى المملكة المتحدة منذ نيف وثلاثين عاما ، كروائى منتظر أن يحصل على الجائزة ، فإن عام ١٩٩٢ كان هو عام الشعراء فى جائزة نوبل ، التى تمنح بالتبادل بين روائى وشاعر ، لذا راحت الجائزة إلى والكوت ربما لتضيع إلى الأبد من نايبول ، أو ربما ليحصل عليها فى السنوات القادمة كروائى بريطانى الجنسية .

كما طرح فوز والكوت بالجائزة أيضًا مسألة اختفاء الأسماء العظيمة والموهوبة فى فن الشعر ، فنى مجال الرواية ، على سبيل المثال ، فإن هناك الكثيرين الذين ينتظرون دورهم ، بل إن هناك الكثيرين من الذين يستحقون الجائزة ، يرحلون دون أن ينالوا شرف الحصول عليها . فوالكوت على مستوى العالم شاعر مجهول ، لم يترجم خارج منطقة اللغة التى يكتب بها ، ونقصد هنا أنه باعتباره من جزر الهند الغربية ، فهو يتكلم ويكتب باللغة الإنجليزية ، وهذه البلاد التابعة للكومنولث



ديريك والكوت - ١٩٩٢

البريطانى تتبع الثقافة الإنجليزية ، ووالكوت غير معروف على سبيل المثال فى بلد مثل فرنسا ، وهو الذى يهتم دومًا بترجمة أغلب آداب العالم المعاصر بما فيها الثقافة العربية .

ووالكوت فى ذلك أشبه بكل من شيزلاف ميلوش ، وياروسلاف سيفرت ، ويوسف برودسكى الذين كانوا بمثابة نكرة وكائنات مجهولة صباح الإعلان عن الجوائز ، فإذا حلت الظهيرة أصبح كل منهم عالميًّا .

وفى هذا المضمار فإن من الجدير بالإشارة أن نقول : إن أبرز شعراء العالم قد رحلوا دون أن يحصلوا على الجائزة مثل رينيه شار ، وجاك بريفير ، وقد يبين هذا مدى الحرج الذى يجد فيه أعضاء أكاديمية أستكهولم أنفسهم عند إعلان الجائزة ، فالأسماء التى تستحق الجائزة من الشعراء العالميين قليلة للغاية .

وبفوز والكوت بالجائزة عام ١٩٩٢ ، يتضح مدى الاهتمام الذى توليه أكاديمية إستكهولم للثقافات البعيدة عن أوروبا ، وبصفة خاصة الثقافة الأفريقية ، فها هو رابع كاتب ينتمى إلى الثقافة الأفريقية يفوز بالجائزة منذ عام ١٩٨٦ ، والثقافة الأفريقية التى ينتمى إليها الشاعر هنا هى ثقافة الجذور التى جاء منها أجداد الكاتب ، وقد امتزجت هذه الثقافة بالعديد من الثقافات الأخرى ، فأصبحت مزيجًا جديدًا ، يسمى فى بعض منه بثقافة الكريول Creol وهى كلمة تعنى المزج بين الثقافة الأوربية وثقافات أخرى .

ورغم ذلك فإن هذه الثقافات البعيدة ، ومنها بالطبع الأفريقية تنطق باللغة الإنجليزية عند سونيكا ، ونادين جورديمر ، ووالكوت .

وهناك سمة فى الأدب الذى يمثله والكوت ، فهو ثقافة أقلية ، وسط أقليات عديدة أخرى تسكن جزء الانتيل الصغرى ، أو الهند الغربية التى يسكنها الشاعر ، حيث تعيش هناك فئات اجتماعية عديدة جاءت من أماكن متفرقة من العالم ، وفى الغالب فإن إبداع والكوت يعبر عن الأقلية التى يمثلها قبل أن يعبر بشكل عام عن الثقافة فى الهند الغربية ، ولكن اللغة التى يتكلم بها الكاتب تعبر عن

ثقافة المستعمر القديم الذى يربط مستعمراته السابقة فى اتحاد واحد هو الكومنولث .

وفى جزز الأنتيل الصغرى يعيش أفارقة وهنود ، وبعض سكان جامايكا ، وهناك خمسة وعشرون مليونًا من البشر جاءوا من الهند عبر أفريقيا ، ولأنهم بلا جذور ، فإن الهجرة والانتقال سمة غالبة لديهم ، وتبدو واضحة فى آدابهم ، ولعل هذه السمة موجودة بشكل واضح فى روايات ف . س . نايبول أكثر من شعر ومسرحيات والكوت ، فنحن دائمًا أمام أشخاص لديهم جذورهم الهشة ، ورغبتهم الأبدية فى الرحيل ، وعلى سبيل المثال فإن نايبول قد هاجرت أسرته إلى موزمبيق ، ثم إلى ترينداد ، ورحل بعد ذلك وهو طالب إلى المملكة المتحدة ، أما والكوت فقد اختار الإقامة نصف السنة فى الولايات المتحدة حيث يعمل بجامعة بوسطن .

ووالكوت مثل أغلب الشعراء فى هذا العصر ، ومثل بعض الذين سبقوه فى الفوز بجائزة نوبل ، ليس وفيا للشعر تمام الوفاء ، بل إن شهرته ككاتب مسرحى تفوق شهرته كشاعر ، وإذا كنا قد رأينا وول سونيكا قد نال الجائزة كشاعر ، وما أقل شعره ، فإن نفس الأمر ، بالضبط ، يتكرر بالنسبة لوالكوت ، فإبداعه فى المسرح ، وخاصة المسرح الشعرى أكثر من إبداعه فى مجال كتابة القصائد ، وسوف نجد أنه حتى عام ١٩٦٢ ، فإنه لم ينشر سوى مجموعة من القصائد المتناثرة فى كتب ، حيث أن ديوانه الأول « ٢٥ قصيدة » قد نشر وهو فى الثامنة عشرة ، أما ديوانه الثانى المنشور عام ١٩٦٢ ، فقد جمع فيه مجموعة القصائد التى كتبها بين عامىّ ١٩٤٨ و ١٩٦٠ .

ولد الأخوان التوأمان ديريك ، ورودريك والكوت فى الثالث والعشرين من يناير عام ١٩٣٠ فى جزيرة سنتا لوتشيا ، لأم سمراء قادمة مع أسرتها من قارة أفريقيا والأب أبيض من جزر الهند الغربية (جامايكا) ، وقد كان الأب

يعمل رسامًا ومسرحيًا ، أما الأم فكانت تهتم بالمسرح ، وقد نشرت عدة نصوص مسرحية لاقت إقبالاً فاترًا من العاملين فى الوسط المسرحى فى جزر الهند الغربية .

وقد تلقى ديريك تعليمه فى جامعة جامايكا ، وعقب انتهاء الدراسة عاد إلى ترينداد ، وهناك استكمل حياته الأدبية ، ففى عام ١٩٤٨ نشر ديوانه الأول على نفقته الخاصة تحت عنوان « ٢٥ قصيدة » . وكان آنذاك فى الثامنة عشر من عمره .

وتبعًا لتشجيع أخيه رودريك انتقل الشاب إلى الاهتمام بالمسرح ، وفى عام ١٩٥٠ نشر مسرحيته الأولى « هنرى كرستوف » ، وكما جاء فى جريدة الشرق الأوسط فى ٩ أكتوبر ١٩٩٢ ، إن الشقيقيين : « كانا يعملان على خشبة مسرح نقابة سانتا لوتشيا للثقافة والفنون . وكانت مسرحية والكوت الأولى تحكى وباسلوب شعرى سيرة القائد الهايتى هنرى كرستوف التى قدمت على مسرح النقابة ، كما أن المسرحية قدمت بعد عامين فى لندن ، وعلى أثر الاستجابة المدهشة للجمهور عاجل وانجز عمليه المسرحيين : « عرض الأحداث » والمسرحية الشعرية « هنرى درينر » .

« ومن مسرحياته الأخرى لهذه الفترة « تى — جان واخوته » ١٩٥٨ ، « وستة تحت المطر » ١٩٥٩ . والمسرحية الأخيرة هى و « بحر الديفون » قدمتا فى نفس العام فى لندن على قاعة مسرح رويال كورت ، أما نتاجاته الشعرية فهى صادرة بالتوازى مع نتاجاته المسرحية ، وجدت لها صدى واسعًا فى إنجلترا ، وبالأخص مجموعته الموسومة بـ « أمسية خضراء قصائد ١٩٤٨ — ١٩٦٠ (١٩٦٢) » . وانتزع اعتراف الأوساط الثقافية فى أنه الشاعر الأول لجزر الهند الغربية ، والذى دفعه لاحقا لإصدار مجلده الشعرى الضخم المتضمن « المنبوذ » قصائد ١٩٦٥ ، و « الدوامة » قصائد عام ١٩٦٩ .

وقد ظل والكوت مؤرقا بين المسرح والشعر ، لذا وضع معادلته الصعبة حين صاغ بعض مسرحياته فى إطار شعرى ، مثلما فعل فى « هنرى دريتر » عام ١٩٥٦ ، ثم « القلعة الساحرة » عام ١٩٧٠ . و « الرجل الموسوس » عام ١٩٧٤ . و « مملكة التفاح المتألقة » عام ١٩٧٨ ، و « آه يا بابليون » عام ١٩٧٨ ، وفى ١٩٨٤ نشر والكوت أعماله الكاملة . ثم جاءت رائعته الكبرى « أوميروس » عام ١٩٩٠ .

تقول جريدة لوموند فى ٩ أكتوبر ١٩٩٢ : إن إبداع والكوت مثل الأرض التى عاش فوقها ، فكلاهما أشبه بأرخبيل متعدد الثقافات واللغات والحضارات ، إنه أشبه بقطع الموزاييك ، ولا شك أن مثل هذه الثقافة كانت تؤرق الأوربيين كثيرًا فى بداية عصر النهضة ، حيث سعت كل دولة إلى صنع ثقافتها الخاصة ، ولعل كل طائفة وأقلية فى جزر الهند الغربية تعيش الآن على أمل أن تكون لها هويتها الثقافية المحددة .

ظل والكوت مقيمًا فى بلاده بصفة دائمة كمواطن حتى عام ١٩٨٤ ، حين قامت إحدى دور النشر البريطانية بطبع أعماله الكاملة ، وهنا عرضت عليه جامعة هارفارد الأمريكية أن يقوم بالتدريس لطلبتها ، ولم يتردد الكاتب أن ينتقل إلى الولايات المتحدة ، وهناك التقى بالشاعر الروسى يوسف برودسكى ، الذى يقوم بتدريس الأدب فى نفس الجامعة . وعقدت صداقة قوية بين الرجلين لدرجة دفعت برودسكى أن يكتب يومًا ، أن والكوت هو « أحسن شاعر ينطق باللغة الإنجليزية فى هذه الأيام » .

جاء فى حيثيات منح والكوت جائزة نوبل « أن شعره ذو إشراق عظيم تعززه رؤية تاريخية ، هى محصلة التزام متعدد الثقافات » ، ولا شك أن هذا التعدد قد أفاد الكاتب ، كما سبقت الإشارة ، فهو رجل ليس أسيرًا لعصر دون غيره ، ولا لمكان دون آخر ، فهو على سبيل المثال ، يعشق الميثولوجيا اليونانية القديمة ، ولكنه يرى هذه الميثولوجيا برؤيته الذاتية ، حتى أسماء أبطال الأساطير فإنه يكتبها

كما تجيء لغته ، ولذا فإن لغته الشعرية تجمع بين الإنجليزية الكلاسيكية والمعاصرة ، وبين لغات الكريول ، واللغة الفرنسية ، وقد بدا هذا واضحًا فى مسرحيته الشعرية « أوميروس » التى نظمها بلغات متعددة .

وهذه المسرحية بمثابة رحلة يقوم بها شخصان من ترينداد فى طريق العودة إلى الوطن الأم ، إلى أفريقيا ، إنهما بذلك أشبه باودسيوس الذى عليه أن يعود إلى بلاده بعد أن انتهت حرب طرواده ، وبدلا من بحر إيجه عند هوميروس . فإننا فوق بحر الكاريبى عند والكوت .

والراوية فى هذه المسرحية يدعى أوميريس ، لاحظ تغيير الحروف عن اسم هوميروس — وهو ينشد على سبيل المثال :

أغنى من أجل أشيل . ومن أجل ابن أفولاب .
الذى لم ينزل أبدًا بالمصعد
والذى لا يملك جواز سفر ، منذ أن عرفت الافق مكانًا لها .

وتتكون المسرحية من أربعة وستين مقطعًا ، وهناك مسوخ عصرية مثل المسوخ التى قابلت اودسيوس أثناء عودته من طرواده ، وكما أشرنا فإن هذا النوع من النصوص من الصعب ترجمته ، وعلى سبيل المثال . فإن البيتين الأوليين من المقطع الذى نترجمه هنا مكتوبان باللغة الفرنسية ، أما الباقى فباللغة الإنجليزية :

سعيد مثل أوليس
أو الكابتن موكارد
بينما هو يبحر فوق المياه
ها هى بنيليوبى المارتينية
ترقص فوق مقعد من أخشاب الغابة .

ومن المعروف أن هذه المسرحية قد فازت بجائزة ، أدب الكومنولث ، المعروفة تحت اسم « و . هـ . سميث » .. عام ١٩٩١ ، وطالما أننا نقدم والكوت كشاعر ،

فمن المهم أن نقدم بعضًا من نماذج شعره ، فهذه قصيدة منشورة فى جريدة « الحياة » فى ١٤ أكتوبر ١٩٩٢ يقول فيها :

أجوب ، ببطء موكب الجنازة
شوارع ميتة فى أول
ميناء ويموت فدى السياحة :
فريدر يكستر التى طرقتها الشمس أتذكر الحياة التى لم يفسدها الحلم الأمريكى
لكنى عاجز ، أنا ابن الجزيرة الساذج ،
عن تحسين تبادل إمبراطوريتنا الحديثة المتحدثة
للكاميرات والساعات والعطور والبراندى
لقاء تلك الحياة الطيبة عديمة القيمة
التى أخلت مكانها للجريمة فى شوارع ابتليت بالشمس وعصفت
باقواسها الحجرية وساحاتها هيستريا
الشائعات ، ملكية مشتركة تغرق
فى الفراغ ، تراكم الغبار على ضفاتها
التى تؤتها ذبابة مرصعة تئز فوقها
تدور الروليت الصدئة
وتبدأ التجارة النشطة كل صباح
لتعكر المياه الخضراء حول الرصيف الداخل فى البحر
وتتجه إلى حيث بنوك الفضة

وفى جريدة الشرق الأوسط — ٩ أكتوبر ١٩٩٢ — نشرت قصيدة تحت عنوان : « أغنية لشجرة الأرز »

هكذا ، فى مشرق يوم ، قطعناهم إلى زوارق صغيرة
وابتسامات ودودة للسياح ، من يحاولون التقاط أرواحهم بكاميراتهم
مرة ستجلب الرياح الأنباء
أوراقها بدأت ترتعش ، أشجار الغار
لحظة يهوى فاس ضوء الشمس على أشجار الأرز يأتون
لأن بمقدورهم رؤية الفأس فى أعيننا
الريح ترفع نبات السرخس ، صوته يشبه البحر الذى يطعمنا طول حياتنا .

مر صيادوا السمك سألوا والسرخس أحنى رأسه مجيبًا (نعم) الأشجار
يجب أن تموت وكذلك القبضات تتجمد على ستراتنا .

كان وجود المرتفعات باردًا وتنفسنا يشكل ريشًا فوق قبعته مثل الضباب .

تعبر الصعاب ، وحين تعود ، تمنحنا الشجاعة لتتحول إلى قتله
رفعت الناس وتوسلت للقوة فى يدى
لكى تجرح شجرة الأرز الأولى
ولكنى تجرعت كأسا أخرى . ثم تقدمنا .

كانت تلك جولة فى عالم الشعراء الستة الذين نالوا جائزة نوبل منذ بداية الثمانينات ، وكما رأينا فإنهم جميعًا من ثقافات مختلفة ، وحضارات متعددة ، ولكن الكلمة هى سلاح كل منهم فى التعبير عن ضميره وضمير أمته وثقافته .

الروائيون

أغلب الروائيين الذين حصلوا على جائزة نوبل فى الأدب بين عامى ١٩٨٠ و ١٩٩٢ ، قامت شهرتهم على الإبداع الروائى وحده ، وفى المقام الأول ، قبل أى أنشطة إبداعية أخرى ، ورغم أن أغلب كتاب الرواية فى عصرنا يمارسون أنواعًا أخرى من الكتابة النثرية إلى جانب الرواية ، إلا أن النشاط الغالب على كل من نجيب محفوظ ، وماركيث ، وجولدنج ، ونادين جورديمر ، وكلود سيمون هو الرواية فى المقام الأول .

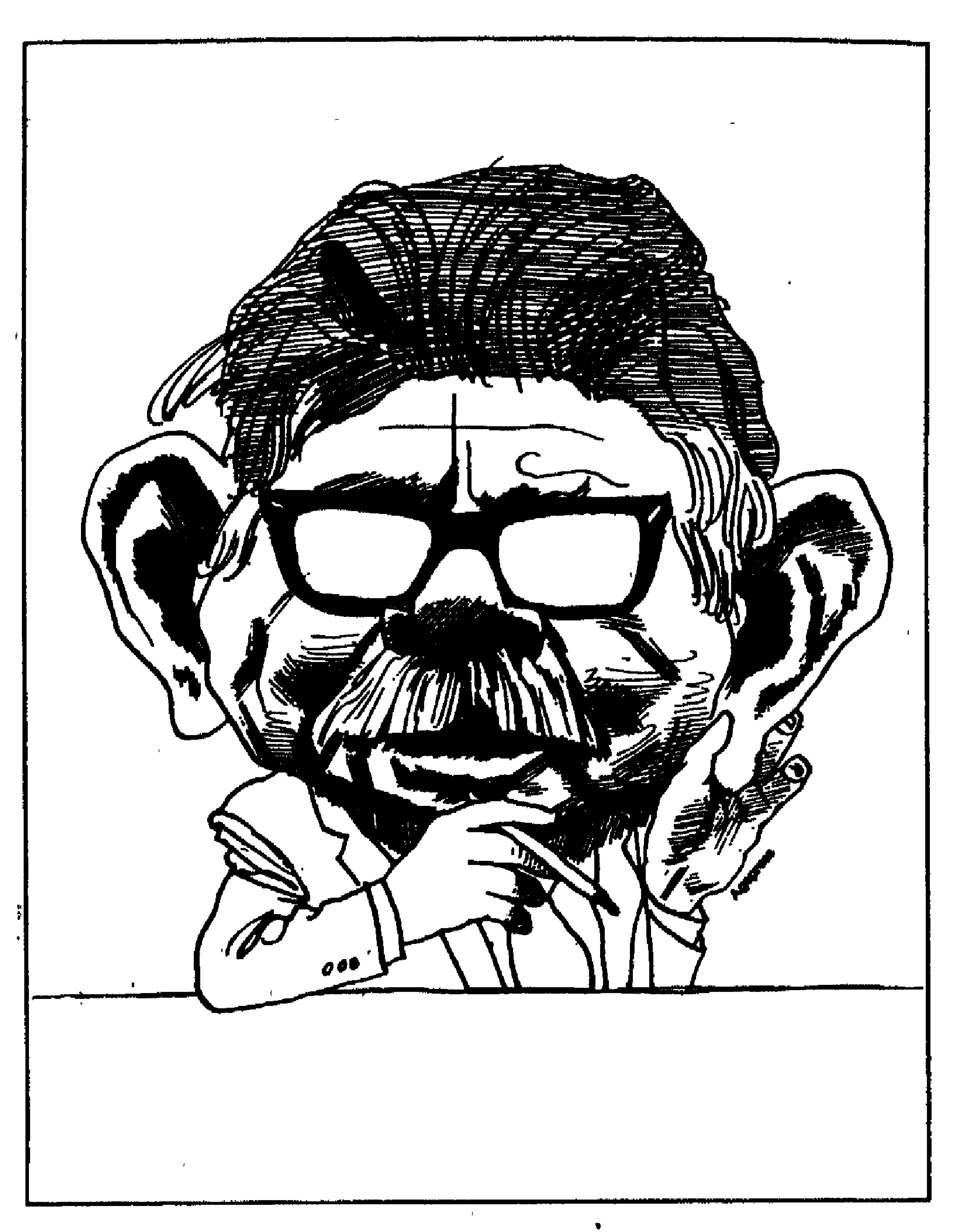
ويكاد إلياس كانيتى يستثنى من هذه القاعدة ، فرواياته أقل من كتبه النثرية الأخرى ، حيث يعتبر النقاد ، على سبيل المثال ، أن كتابه عن كافكا ، يعد نموذجًا للنثر النقدى البالغ الرقى والجدية ، كما أن كانيتى كتب كثيرًا فى أدب الرحلات ، ومقالات فلسفية وأبحاث أدبية إلى جانب إبداعه الروائى ، وكانيتى مثل أغلب الروائيين اليهود فى العصر الحديث مهموم فى المقام الأول ، بسيرته الذاتية ، فراح ينشرها فى روايات عديدة ، وهذه السمة موجودة لدى كتاب يهود بشكل واضح ، مثل فيليب روث ، واسحاق سنجر ، وكثيرين غيرهما ، ولذا فمن السهل جدًا أن نتتبع سيرة حياة الكاتب من خلال رواياته ، فهو مولود فى بلغاريا فى الخامس من يوليو عام ١٩٠٥ ، فى مدينة روستشوك ، من أسرة سفاردية يهودية ، تتكلم اللغة الأسبانية منذ القرن الخامس عشر ، وأجداد هذه الأسرة سبق أن هربت من إسطنبول بتركيا فى القرن ١٥ .

وقد وجد إلياس نفسه فى مدينة لندن وهو فى سن السادسة ، حيث تعلم اللغتين الإنجليزيةوالفرنسية ، وبعد عامين توجهت الأسرة إلى النمسا حيث درس

اللغة الألمانية التى استخدمها أبواه فى حياتهما اليومية كلغة تعبير أولى ، ثم رحلت الأسرة مرة أخرى ، ووجد إلياس نفسه مع أخويه : نسيم ، وجورج فى زيورخ بسويسرا ، وفى الفترة بين عامى ١٩١٦ و ١٩٢١ دخل مدرسة الليسيه ، ثم أرسلته أمه إلى فرانكفورت لتكملة تعليمه فى الجامعة ، وانتقل بين مدن عديدة درس فيها الكيمياء ، ومع ذلك وجد نفسه يقترب من الأدب والسياسة ، فاشترك فى مظاهرات الطلبة عام ١٩٢٧ فى فيينا ، ثم اختار الاستقرار فى برلين حيث إلتقى بأدباء من طراز بابل ، وبريخت ، وقبل أن يعود مرة أخرى إلى فيينا ، كانت قد تخمرت فى ذهنه سلسلة من الروايات ، فبدأ يكتب روايته الأولى « الكوميديا الإنسانية المجنونة » عام ١٩٣٠ ، ثم راح يقرأ شوامخ الأدب مثل « الأوديسا » و « الأحمر والأسود » .. ونشر مسرحيته الأولى « سيارة الجن » عام ١٩٣٣ .

ولم يشأ كانيتى أن يترك فيينا التى راحت تشهد تصاعد الحركة النازية فى الثلاثينات ، وفى عام ١٩٣٨ نشر رواية « ليلة البللور » ، ثم رحل إلى باريس ، وصل إلى لندن فى يناير ١٩٣٩ ، حيث بدأ العمل وتفرغ للأدب ، وخلال سنوات الإبداع سافر إلى أماكن عديدة استلهم منها أحداث رواياته ، ومن بين تلك الأماكن مراكش وإيطاليا واليونان ، وكانت لغة الكتابة المفضلة عنده هى الألمانية والإنجليزية ، ورغم كتاباته المتعددة إلا أن النقاد يعتبرون أن سيرته الذاتية التى بدأ فى نشرها ابتداء منذ عام ١٩٧٧ ونشر جزءا منها فى عام ١٩٩٠ هى أفضل أعماله .

جاء فى حيثيات منح كانيتى جائزة نوبل عام ١٩٨١ : « لثرائه الروحى وكثافة تعبيره التى جعلت من كانيتى واحدًا من الكتاب الأكثر وجدانية فى عصرنا ، رجل يتسم الوصف لديه بصلابة ، يدفع للتفكير فى كبار رجال الإنسانية مثل « لابروبير » ، و « ليتستبرج » .



إلياس كانيتي – ١٩٨١

أما أهم أعمال كانيتى الأخرى فهناك « الكم والقدرة » عام ١٩٥٨ ، و « المحاكمة الأخرى » ، و « أرض الإنسان » ، و « قصة شباب » ، و « دروب مراكش » عام ١٩٨٠ ، و « قصة حياة » ، و « وعى الكلمات » ، ثم كتابه الأخير « قلب الساعاتى السرى » .

وكما أشرنا فإن أغلب أعمال إلياس كانيتى بمثابة سيرة ذاتية متجمعة فى صفحات متفرقة بين الكتب ، فى كتابة «قصة شباب» يتحدث عن العلاقة بين أبويه قائلاً : كان أبى موسيقيا يعشق البيانو ، أما أمى فكانت تغنى على ألحان شوبيرت التى يعزفها ، كم كنت محظوظا أن أولد بين أبوين شابين عاشقين » .

وإذا كان الأب قد مات وإلياس لا يزال طفلاً ، فإن الكاتب مدين للكثير إلى أمه التى كانت تهوى الآداب والفنون ، فهى التى زرعت فيه أولى بذور الكتابة ، وجعلت قلبه ينبض بالحب لأول مرة . وفى أول علاقة له بالإبداع بدأ يجد أسلوبه يجمع بين أسلوب سرفانتس وشخصيته الشهيرة دون كيشوت ، كما تأثر بكتابات كافكا الذى يعتبره أحد الأدباء الذين عبروا بشكل جيد عن عصرهم ، وقد كان هذا الإعجاب سببًا فى أن يقدم دراسة أدبية رائعة عن رواية « المحاكمة » .

وفى نفس الكتاب يقول كانيتى : « أقمت عدة سنوات فى سرير أبى ، كان شيء خطير أن أترك أمى وحدها ، لا أعرف كيف أمكننى أن أؤدى دور الملاك الحارس ، كانت كثيرة البكاء ، وكم سمعتها وهى تبكى ، لم تكن تتكلم ، وكم بدت هذه المشاهد صامتة ، أروح أضمها إلىّ بقوة كأنها تود أن تقفز من النافذة ، لم يكن يمكنها أن تفعل ذلك لأنها ستجرنى معها ، ومن داخل قوتها ، كنت أحس بجسدها ينتفض ، والتوتر يملؤها ، وتضع رأسها على كتفى وتنتحب » .

كما تحدث كانيتى عن مدرسته فى مدينة مانشستر ، وعن علاقته بعلم الجغرافيا ، وكيف كان يراه مادة ثقيلة الظل للغاية .

فى كتابه « الكم والقوة » تناول كانيتى رؤيا العالم الأنثربولوجى جيمس فريزر فى كتابه : « الغصن الذهبى » ، حيث بدأ يمزج علم الاجتماع بالانثربولوجيا والتاريخ فى إطار دراسة مقارنة للأديان ، وذلك من خلال التركيز على الأمراض المتعددة التى أصابت الأمراء الذين حكموا أوروبا ردحًا طويلاً من الزمن .

وفى كتاب لكانيتى يحمل عنوان « إقليم ميونخ » باللغة الألمانية – « أرض الإنسان » حسب ترجمته الفرنسية – يروى الكاتب فصولاً أخرى من حياته الخاصة : « أى خطيئة ارتكبتها الحيوانات ؟ ولماذا حكم على الحيوانات بالموت ؟ ويرى الكاتب أن الحيوانات أصدقاء للبشر فيروح يناجيهم : « أيها الأصدقاء القساة الميتون ، انتم تناضلون وتتقاتلون وتتجمعون ، وتهربون مجتمعين ، أو فرادى تحسون أنكم مطاردون ، وتتركون وراءكم حياة خادعة وحيوانات لقيطة » .

وهذا الكتاب يتضمن اليوميات التى دونها كانيتى بين عامى ١٩٤٢ و١٩٧٢ ، ويقول : إنها تنتمى لرجل كان يظل يقرأ حتى يحس أن رموش عينيه قد أنهكها التعب ، وأن الكتب بدأت تتحرك أمامه ، والكتاب بمثابة كتابات متناقضة ومتباينة تعكس أفكار الكاتب السياسية والاجتماعية والفلسفية التى مر بها طوال ثلاثين عامًا ، فنجد ظاهرة عن الموت ، وأخرى عن الحيوانات ، كما أشرنا ، أو عن كاتب مثل كافكا « فى داخل كل وجود ، يمكن أن نكتشف الموتى الذين خلفهم الأحياء » .

وهناك كتاب آخر من بين كتب السيرة الذاتية لحياة إلياس كانيتى ، نشره أخيرًا تحت عنوان « ألعاب الاعتبار ، قصة حياة ١٩٣١– ١٩٣٧ » ، يتناول حياته من وجهة نظر أخرى خلال ست سنوات ، كان خلالها كانيتى فى العشرينات من العمر ، انتهى لتوه من كتابه « الإعدام حرقا » ويبحث عن ناشر . إنه روايته التى حصل من أجلها على جائزة نوبل ، وهى التى جذبت إليه الأنظار .

ويعتبر كتاب « ألعاب الاعتبار » بمثابة شهادة على مدينة فيينا فى تلك السنوات ، كانت المدينة تعتبر فى تلك الآونة بمثابة عاصمة ثقافية لأوروبا ، ففى المقاهى الأدبية كان يلتقى رجال من طراز ستيفان زفايج وهرمان بروخ ، وتوماس منّ ، وروبرت موزيل . والشاعرة ألما مالر زوجة الموسيقار المعروف مالر ، ومن المعروف أن كل هذه الأسماء من اليهود عدا توماس من : « يجب أن نقدم إلى هذه المدينة حيث كان الازدحام يسود المقاهى ، وتتضحم الحوارات بين المريدين » ، ويقول كانيتى « إن الناس كانوا يتكلمون عن كل شىء ، كان ذلك عصرًا أنتج أشياء كثيرة . وكنا نحس أن هناك كارثة قادمة فى الجو » .

وقد اخترنا هنا أن نترجم فقرة من هذا الكتاب عن طبعته الفرنسية ، حيث قال عن الروائى روبرت موزيل : « كان ، كما يبدو عليه ، يعيش كى يهاجم ويدافع ، نجح بدوره أن يحميه ، يمكن أن نقارنه بمحارب ، كان هناك شىء يعزله عن العالم ، يهرب من النصوص المؤثرة ، وتبدو له كل الضرورات معلقة ، وهناك حوله يحس بأن هناك حدودًا بين الأشياء ، تبدو طبيعته أسرية ، فأصبحت لحمًا ودمًا لروحه ، كان كاتبًا مصنوعًا لعمله ، يرفض أن يكون جزءًا من حديث أقل أهمية ، وإذا وجد نفسه بين الثرثارين الذين تزدحم بهم مقاهى فيينا ، فإنه ينسحب ويظل صامتًا لا يحس أنه فى منزله وأنه يتصرف على سجيته إلا إذا كان وسط علماء » .

كما تحدث كانيتى عن الأدب كارل كراوس الذى كان يعتبره بمثابة أبيه الروحى ، فهو رجل المقاومة : « لقد تحمل الحرب الأهلية فى شوارع فيينا » ، كما اختار أن يفرد صفحات أخرى طويلة عن ألما مالر ، ويكتب عن هرمان بروخ الروائى الألمانى قائلاً : « كان يسمعنى أتكلم . ويفكر ويظل صامتًا ، راح يترك الأشياء تنضج فى داخلى ... فى ذلك العصر كان يمكنه أن يدمر فى ساعة ما كنت أعتبره هدف حياتى » ، ويقول كانيتى أيضا : (قال لى يومًا بكل رقة :

لقد فتحت بابًا .وعليك أن تدخل منه ، لا ترتكن على أى فكرة سوى على نوع الأشياء التى تتناسب معك وحدك » .

أما آخر كتاب لكانيتى فهو « قلب الساعاتى السرى » فيعود فيه للحديث عن سنوات طفولته المبكرة مرة أخرى ، فقد أعلنت الحرب العالمية الأولى وكانيتى فى التاسعة من عمره ، ووجد الصغير نفسه بين هويات عديدة ينتمى إليها ، الثقافة النمساوية ، والألمانية والإنجليزية ، كان إلياس أصغر إخوته يهوى ترنيم الأغنيات باللغة الإنجليزية ، كان يحس أنه أوروبى وليس مواطنًا لدولة دون أخرى ، ولذا فإنه فى حالة تناقض حين رأى أوروبا تحارب بعضها ، فى عام ١٩١٧ رأى بعض الجرحى الألمان فاهتز وجدانه ، كما راح يغنى على شاطئ بحيرة ليمان السويسرية .

كان كانيتى يعيش حالة من التحول والصيرورة ، وقد وصلت مذكرات الكاتب فى هذا الجزء حتى عام ١٩٢٧ ، وهو العام الذى وصل فيه هتلر إلى مقعد الحكم ، وكما لاحظنا فإن كانيتى يقوم بانتقاء لحظات معينة من ماضيه ، هذه اللحظات على هواه وحده ، كما أنه يقوم بانتقاء أشخاص بعينهم للحديث عنهم ، وكما كتب كلود روا فى مجلة « لونوفيل أوبسرفاتور » — ١٢ أكتوبر ١٩٨٩— ، فإننا عندما نقرأ الأجزاء الثلاثة من حياة كانيتى ، فإننا نحس أن كتبه قد ولدت مما حدث له ، وليس فقط من حصاد المكتبات ، فكانيتى حكمة حساسة ، وثقافة فى خدمة الحياة ، وموهبة مميزة ، إنه قادر أن يكشف نفسه للآخرين » .

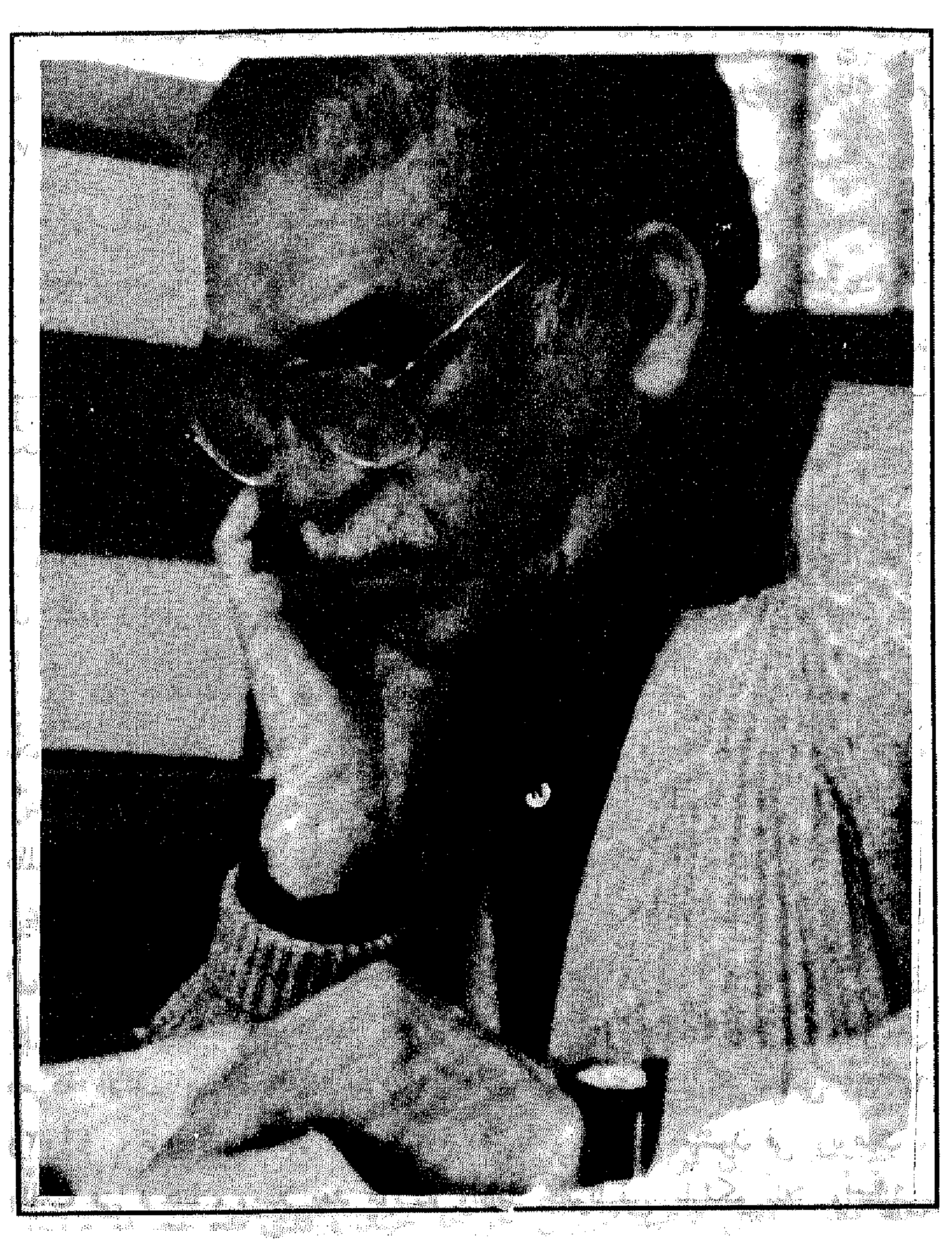
الجدير بالذكر أن جائزة نوبل لم تكن أول جائزة حصل عليها الكاتب فى حياته ، فقد حصل على أعلى جائزة فى الأدب الألمانى عام ١٩٧٢ — جائزة بسوشنر — ثم حصل على جائزة ألمانية أخرى عام ١٩٧٥ هى جائزة الأدبية نيللى ساخس ، وبعد ذلك بعامين حصل على جائزة جوتفريد كيللر .

ليس صحيحًا بالمرة أن جائزة نوبل ، قد رفعت قدرها حين منحت لأسماء بعض الكتاب المغمورين ، والأقل قيمة من كتاب كثيرين عديدين كان عليهم أن يحصلوا عليها ، فقد انخفضت قيمة الجائزة وشعبيتها فى السبعينات عندما منحت لأدباء سرعان ما راحوا فى طى النسيان .

ولأكثر من ثمان سنوات فإن أكثر الأدباء الذين حصلوا عليها ، بدوا كأنهم بعثوا من القبور ، ولا أحد يذكر أسماءهم الآن بالمرة ، ولنذكر على سبيل المثال الأدباء الذين حصلوا عليها بالترتيب بين عامى ١٩٧٣ و١٩٨١ ، وهم الأسترالى باتريك وايت ، والسويديان ايفند جونسون وهارى مارتينسون و(١٩٧٤) ، ثم الإيطالى أوجينيو مونتالى ، والأمريكى صول بيللو ، والأسبانى فنسنته الكسندر ، وإسحاق باسفتش سنجر الأمريكى ، ثم اليونانى اودسيوس أليتس ، والبولندى ميلوش ، والبريطانى كانيتى .

إذن ، فعندما جاءت الجائزة لماركيث حدث لها انتعاش ، وأحس الناس أن الجائزة قد راحت لمن يستحقها منذ هاينريش بُلْ عام ١٩٧٢ ، وحدثت ظاهرة لم تهدأ لسنوات طويلة ، منها أن فوز ماركيث بالجائزة قد أيقظ النيام فى أكاديمية استوكهولم بالفعل ، كما نبه العالم إلى أهمية الرواية بشكل عام فى أمريكا اللاتينية ، باعتبار أن أفضل الروايات المكتوبة فى السنوات الأخيرة قد جاءت من هناك ، وساعد هذا على إلقاء الضوء على مجموعة كبيرة من أدباء أمريكا اللاتينية وعلى أجيال بكاملها دبت فيها الصحوة ، ورغم أن أمريكا اللاتينية قد سبق أن نالت الجائزة أكثر من مرة ، إلا أن فوز ماركيث قد أحدث ثورة خاصة فى عالم الرواية .

عندما حصل ماركيث على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٨٢ ، كان يعيش خارج بلاده منذ سبعة عشر عامًا ، ولم يشأ الكاتب مثل الكثيرين من أبناء أمريكا اللاتينية أن يتجه إلى أوروبا ، ليقيم هناك ، فقد فعل ذلك أدباء



جابرييل جارثيا ماركيث - ١٩٨٢

كثيرون تصادموا مباشرة مع السلطات السياسية فى بلادهم ، ومنهم على سبيل المثال خوليو كورتثار الذى عاش فى باريس منذ عام ١٩٦١ وحتى وفاته عام ١٩٨٧ .

ولعل الدراسة التى أجرتها مجلة « لونوفيل أوبسرفاتور » — ١٩ مايو ١٩٨٠ — تعطينا صورة حول علاقة النظم السياسية بالأدب فى أمريكا اللاتينية ، فمنذ سنوات طويلة والديكتاتور هو الذى يسود ، ورأيه هو المسيطر ، وهذا الديكتاتور ليس فقط حاكما مستبدًا ، بل هو يعيش لنزواته الخاصة ، ويتعامل مع الأدب بكل حساسية ، فهو يراه ينشر الأفكار التى لا تتناسب مع سياسته فى الحكم ، لدرجة دفعت بعض السلطات العسكرية إلى منع كتب مثل « ذات الرداء الأحمر » و « الأحمر والأسود » و « فرسان المنزل الأحمر » و « الزنبقة الحمراء » ، لمجرد أن كلمة « أحمر » فى عناوينها رغم أنها بعيدة تمامًا عن كل أيديولوجيات .

فى مثل هذه الأجواء نشأ جابرييل جارثيا ماركيث الذى ولد فى مدينة أركاتا بكولومبيا فى عام ١٩٢٨ ، من أبوين تحابا وتزوجا رغما عن إرادة الأهل ، ويتحدث جابرييل عن أبيه اليجيو جارثيا : « كان عامل تلغراف فى أركاتا ، فى ذلك الزمن الذى غزت فيه أشجار الموز ساحل المحيط الأطلنطى لكولومبيا ، ويحلم الناس أن يصنعوا ثروة من الذهب الأخضر ، هناك تسمع كل اللغات ، فى هذه البلاد يعمل الرجال صباحًا ويرقصون فى المساء ، وهناك تعرف أبى على أمى لويزا سانتايجا ، ابنة الكولونيل ماركيث إيجوران الذى أصيب فى معركة الألف يوم ، تلك الحرب الأهلية التى استمرت بين عامى ١٨٩٩ و١٩٠٢ ، تزوجا رغمًا عن أنوف أجدادى الذين كانوا يعيشون فى ربوهات ، ولدت فى أركاتا ، رحلا بعد الولادة وأقاما حانوتا فى يارانكو يللا وأعطيانى لجدىّ كى يقوما بتربيتى » .

وفى أحاديثه يقول ماركيث إن الموت كان يطارد أفراد أسرته دائما وأنه عاش مع أجداده ثمانى سنوات أشبه بيتيم ، لا يعرف أين أبواه اللذين تكلم عنهما

فى أولى رواياته المنشورة عام ١٩٥٥ بعنوان « غرباء الموت » ، والذى يتكلم فيها عن أمه قائلاً : « عادت ذات يوم ، سمعت صفير القطار الذى يقلها ، رأيتها كانت جميلة ، ترتدى قبعة من القش ورداء فاخرًا ، أعجبتنى كثيرًا ، لكن لم أحبها بمثل القدر الذى أحب به جدى ، عانقتنى ، لن أنسى عطرها » .

وشب الطفل وأصبح غلامًا فى الثالث عشر ، أتقن الرسم ، لكنه كان يحصل على أقل الدرجات فى حصص الإملاء ، ثم راح يسافر فوق سفينة خارج كولومبيا فى رحلات تستغرق من ثمانية أيام إلى ستة عشر يومًا ، وعندما ترسو السفينة يتجمع الطلبة يغنون ويرقصون ، وبعد الظهيرة يجرون مثل الجياد ، ويقفون على المحطات يبيعون البطاطس والآيس كريم ، وهى الأجواء التى صورها ماركيث فى روايته « خريف البطريرك » .

وفى عام ١٩٤٦ أنهى ماركيث دراسته الثانوية ، والتحق بكلية الحقوق بمدينة بوجوتا : « كنت أفضل دراسة الهندسة الميكانيكية ، لا يهم لكننى اخترت المهنة التى تجعلنى حرًّا بعد الظهر ، وتسمح لى أن أكسب حياتى ، وفى الجامعة تعرفت على كاميلو نورس أحد الثوار فى البلاد » .

وفى عام ١٩٤٧ كتب ماركيث أولى أقاصيصه بعنوان « جاءت كتابتها على سبيل التحدى ، كى أرد بها على الكاتب الروائى أدواردز ثالاميا بوردا الذى أكد أن أبناء الجيل الجديد لا يحملون أى موهبة ، وقد اعترف بوردا بخطئه فى كتاب نشره بعد ذلك بخمس سنوات » .

عاد جابرييل إلى أبويه فى عام ١٩٤٨ ، بعد أن أغلقت الجامعة أبوابها لفترة طويلة بسبب مقتل الزعيم الليبرالى خورخه خيتان ، الذى فتح مصرعه صفحة من العنف الدامى فى البلاد ، وظل جابرييل فى صحبة أبويه إلى أن عاد عام ١٩٥٠ إلى أركاتا مع أمه ، كى يبيعا منزل العائلة وبدأ يمارس العمل الصحفى ، ثم بدأ يكتب أولى رواياته « غرباء الموز » التى تحدث عنها فيما بعد قائلاً : « روائى

يعيش دائمًا فى ظروف متشابهة ، يعمل فى الصباح ، وفى المساء يتجه إلى حيث أماكن التسلية ، كانت عاهرات المدينة يتحاورن مع هذا الرجل عندما يعود إلى منزله القريب من البحر ، وهو يحمل معه كتب كافكا وجويس وهيمنجواى وفرجينيا وولف » .

فى عام ١٩٥٥ أرسلته صحيفة « سبكتادور » إلى جينيف كى يحضر مؤتمر الأربعة الكبار ، ثم إلى روما وباريس وبعض المدن الأوربية ، لم يكن الشاب يعرف أية لغة غير الأسبانية ، وبعد أن عاد إلى بلاده أغلقت الصحيفة أبوابها ، فوجد نفسه فى فراغ ممل دفعه إلى كتابة روايته « ليس لدى الكولونيل من يكاتبه » ، الذى يقول عنها : « استلهمتها من قصة جدى الذى قضى شيخوخته منتظرًا معاشه كجندى ، قالت له جدتى : « المعاش الذى ستأخذه يخص أبناءك » ، ولم يصل المعاش قط ، ألهمتنى هذه الحكاية موضوع الرواية ، وإبان فترات الطعام ، كنت أخرج وريقة أو اثنتين فوق المائدة حيث أتناول طعامى فى محل بركن الشارع ، كان لدىّ الوقت كى أرسل التحذيرات إلى أصدقائى ، وأن أعيش بدورى مغامرة جدى ، كل صباح أصعد إلى منزلى أربع درجات فأربع درجات ، أصعد وأنا أضيف صفحة إلى روايتى ، لا توجد رسائل بالنسبة لى ، كنت أروى بهذا المعيار ، كنت أفهم أن الرسالة لا تصل قط وأن الأصدقاء لا يردون ، ومن هنا استقيت عنوان روايتى » .

فى نفس العام طبعت رواية « غرباء الموز » ثلاثين ألف نسخة مما دفع بالكاتب أن يقدم رواية ثالثة هى « ساعة نحس » ، والتى يروى عن ظروف تأليفها بأنه استلهمها من الإعلانات المنتشرة فى الشوارع ، وفى عام ١٩٥٧ حضر مهرجان الشباب بموسكو ، وحصلت هذه الرواية على جائزة الأدب الكولومبى وقيمتها ثلاثة آلاف دولار ، وفى عام ١٩٦٢ قدم مجموعة قصصية جديدة بعنوان « جنازات الجدة » .

يقول ماركيث عن روايته « مائة عام من العزلة » : « كتبت روايتى فى المكسيك بين عامى ١٩٦٥ و ١٩٦٨ ، زمن صعب لأننا لم نكن نمتلك نقودًا ، ولهذا كنت أكتب بسرعة القطار ، وعندما كنت أرى أن روايتى تجرى ولا يوقفها أحد ، كنت أقول لزوجتى مرسيدس : « سوف تشتغلين بأعمال البيت » ، كنت أشعر أننى الرجل الأكثر اجتماعية وحرارة فى كل العالم ، ورغم هذا بقيت ثمانية عشر شهرًا محبوسًا فى غرفتى ، أو بالأحرى لم أخرج سوى مرة ، أبلغتنى زوجتى أننا بلغنا حالة التقشف ، وذهبت بسيارتى كى آتى بنقود تكفى ثلاثة أشهر .

« وبدأت أستكمل كتابة الرواية ، أكملت نصف النص عندما استدعي المالك مرسيدس ، يجب أن تدفعوا لى ثلاثة أشهر ، طرقت مرسيدس بيدها على صدرها وقالت : « كم يلزمك من وقت كى تنهى هذا الكتاب » « ستة أشهر » ، وأنهى الرواية كى يسدد ديونه ، هذه الرواية التى جعلت منه كاتبًا ثريًا ، فقد أرسل النسخة إلى الناشر بالأرجنتين الذى قام بوزنها كأنه يزن قطعة من اللحم ، وبيع من الرواية ثمانية آلاف نسخة فى بيونس إيريس فى ثلاثة أيام ، وطبع منها حتى الآن ، ثلاثة ملايين نسخة فقط من الطبعة الأسبانية ، ومن المعروف أنها ترجمت إلى أكثر من عشرين لغة منها مرتين باللغة العربية ، وحول هذا النجاح يتحدث : « قيل لى إن كتابى له نفوذ غريب ، فعندما تقرؤه تشعر بالرغبة فى الحديث عنه ، قدمته إلى أصدقائى كى يخبرونى برأيهم ، وهؤلاء الذين يشترونه ، أعطيتهم إياه وأنا أتكلم ، بعد أن ذاعت شهرته أهديته إلى إحدى صديقاتى التى تقارب الخمسين بمناسبة رأس السنة قائلاً : « هذا أفضل عام فى حياتى . وحدثتها عن « مائة عام من العزلة » .

« ما رأيك فى الشهرة ؟

« إنها رائعة للغاية . لكنها أيضًا لها متاعبها ، على سبيل المثال ، فقد جاءنى هاتف يسألنى : سيدى نحن فى هدنة ولكن ليس من أجلك » هذا شىء رائع ، فالصعوبات التى نعانى منها فى حياتنا تجعلنا نحكى كثيرًا عن قصص الحركة ، فى الواقع فإن شاغلى الأكبر والوحيد هو الكتابة ، فأنا أنهمك من التاسعة صباحًا حتى الثانية بعد الظهر ، وبقية وقتى أقضيه مع أصدقائى وأولادى .

وقد دفعه هذا النجاح إلى العمل المتواصل . فقدم روايات أخرى من أهمها « وقائع موت معلن عنه » ، وعقب فوزه بجائزة نوبل نشر روايتين هما « الحب فى زمن الكوليرا » و « الجنرال فى متاهته » .

تدور أغلب أحداث رواياته فى نفس المكان « ماكاندو » . ففى رواية « غرباء الموز » نرى ثلاثة أشخاص يحضرون جنازة تخص الأسرة : كولونيل سابق يعيش حياته الخاصة ، وابنته إيزابيلا التى تبناها قبل عشر سنوات ، والكولونيل رجل توقره القرية كلها : « فى أول مرة رأيت فيها جثة كان اليوم أربعاء ، شعرت أننى فى يوم مزيف . لماذا لا أذهب إلى المدرسة » ، فى القرية هناك طبيب وطاحونة ، وهناك صيدلية ومستشفى ، وهناك شابة أشبه بأمى » ثم يتحدث ماركيث حول أمه وأبيه اللذين تركا ابنهما ورحلا إلى مدينة أخرى يمارسان التجارة ويكسبان النقود .

وفى « مائة عام من العزلة » تدور الأحداث أيضًا فى ماكاندو . هناك تعيش عائلة بيويندا التى أسست هذا المكان مع عائلات أخرى ، ولكل شخص من هذه العائلة عالمه الخاص . بأحلامه وأساطيره وملاهيه ومآسيه ووقائعه وعلاقاته ، وله بدايته ، وله أيضا نهايته ، لقد بدأت المدينة من العدم ، وسرعان ما تحولت إلى واحة عجيبة فى تلك الغابة الأقرب إلى حديقة . بلدة بدائية بعيدة عن العالم ،

وبها الطيور التى تغنى حيث لا يوجد الموت والجريمة والقضاء ، والزوار الوحيدون هم قبائل الغجر ، الذين يدهشون المواطنين بأعمالهم السحرية وأسنانهم الصناعية والجليد والسجاد الطائر ، وكانت الحرب الأهلية التى بدأت مع بداية السكة الحديدية الأشبه من خلال مزرعة كبيرة تملكها الولايات المتحدة التى قضت على عزلة المدينة وفتحت أبوابها للتوسع والرواج .

ومرت ستة أجيال من قبائل الويندا ، الذين كتب عليهم الحب الخيالى والتعصب يولدون ويموتون بأسلوب عنيف ، وتصبح الأسرة فى محنة ، فمزارع الموز قد قضى عليها بخمس سنوات من المطر المتصل ، وفى النهاية يحدث إعصار لا يمكن تفسيره يهدم المدينة والأسرة ، ونحن فى هذه الرواية نرى شخصيات عديدة منها خوسيه اركاديو مؤسس الأسرة الذى يعمل بكل ما لديه من حيوية ، وهو مشغول بعلوم الكيمياء ، ويحلم بتحويل الرصاص إلى ذهب . كما يحاول أن يستخدم آلة كى يعثر على اللاعب المجهول فى البيانولا ، وأحد أبناء هذا الرجل يصبح قائدًا ثوريًا ، ولكنه فقد كل رجاله كى يكسب الحرب .

ومن هذه الشخصيات أيضا نرى أورليانو الذى يدخل مع كل المهاجرين الجدد فى مناقشات تبتلع أوقاتهم ، ونساء هؤلاء الأشخاص قد يتّسِمْنَ بالجمود . لكنهنّ متدينات ويحبّبْن أسراهن . ويناضلن كى يجعلن رجالهن عقلاء ، الأم الأولى هى أرسولا التى بلغت من العمر مائة عام ، كانت على ثقة بنفسها لدرجة أن أحدا لم يلحظ أنها عمياء ، ويقول ماركيث عن علاقته بهذه المرأة أثناء كتابة الرواية : « عندما وصلت إلى نصف روايتى ، كنت قد وصلت إلى الموقف الذى يجب أن تموت فيه أرسولا وسط الحرب الأهلية ، وعندما ماتت أحسست بروايتى تنهار ، وكى أتجنب هذه الكارثة قررت أن أعيد إليها الحياة ، وأن تقف الرواية عند لحظة موتها فقط ، فإن اختفاء أرسولا كفيل أن يحطم كل شىء » .

ويهمنا هنا أن نشير إلى الصورة المشرفة التى صورها ماركيث فى رواياته عن العرب خاصة فى روايته « وقائع موت معلن عنه » المنشورة فى عام ١٩٨١ ، حيث أن الأسرة التى تحدث عنها ذات جذور وأسماء عربية : « إنهم قوم طيبون ، يعيشون فى سلام ويحترمهم أبناء القرية » ، فسنتياجو نصار هو ابن أسرة عربية هاجرت إلى أمريكا اللاتينية وأقاموا فيها وأصبحوا من أبنائها ، ويصفه الكاتب بأنه « صاحب أهداب عربية وله شعر مجعد ورثه عن أبيه » ، أسرة عربية صغيرة عميدها إبراهيم نصار الذى جاء إلى كولومبيا « مع مجموعة من العرب بعد نهاية الحرب الأهلية » ، وهذا النصار ، كما جاء على لسان دبينا فلور خادمته ، رجل « لن يولد مثله بعد الآن » ، وقد بنى إبراهيم بيته الصغير المطل على البحيرة على الطراز العربى كى يسمع هدير الأمواج ، وقد مات قبل أن يقتل ابنه وهو فى الحادية والعشرين عامًا بثلاث سنوات ، وحول حدث القتل المعلن عنه يصوغ الكاتب روايته عن صديق صباه ، إنها رواية لتكريم صديق مات غدرًا ، حين زعمت عروس فى المدينة أن سنتياجو فض بكارتها ، ولكنَّ العروس كاذبة . ومات سنتياحو بشكل مجافى . وراح الكاتب يفتش طوال ربع قرن عن ملابسات الجريمة وأسبابها ، فعاد إلى دفاتر التحقيق لإثبات براءة نصار ولسرد تفاصيل هذا الحدث الذى كان يعرفه أبناء القرية مسبقا فأغلقوا أعينهم عليه .

سنتياجو نصار عند ماركيث شاب ملىء بالحياة والحيوية والعطاء ، تحبه بنات القرية « كان يحتفظ بخفة روحه ، وقد أكد الجميع أنه كان يبدو أقل تكلفة ، حين يكون فى منتهى الأناقة » ، هو الابن الوحيد لثمرة زواج عرفى لم يعرف لحظة سعادة واحدة ، لكنه كان يبدو سعيدًا مع أبيه حتى آخر لحظة فى حياته ، « وقد تعلم من أبيه منذ أن كان طفلاً « القدرة على استخدام الألعاب النارية وحب الجياد ، وشموخ الطيور التى تحلق فى أعلى السماء ، وتعلم منه أيضًا

قيمة الفنون الجميلة وحنكة كبار السن ، كانا يتحدثان اللغة العربية فيما بينهما ، لكن هذا لا يحدث أمام بلاثيدا ليتيرو حتى لا تشعر أنها معزولة عنهما » ، وكما جاء في تقرير الطبيب الشرعى ، فإن الأب أمادور قد قال : « إن سنتياجو نصار كان يتمتع بذكاء حاد وعزيمة قوية » .

ويقول الراوية عن سنتياجو نصار فى مكان آخر من الرواية : « كان أكثر سموًا من أن يفكر فى فتاة كهذه ، كان رجلاًقوى الحس ، يسير وحده مثل أبيه ولا يمشى بخيلاءه مثل هؤلاء الفتيات العذارى ، ولم يحدث أن كانت بينه وبين فتاة علاقة تقليدية سوى علاقته بفلورا ميجيل خطيبته .

من المعروف أن ماركيث قد استمد وقائع كل رواياته من أحداث حقيقية عاشها أو شاهدها بنفسه ، أو شاهدها التاريخ فبعد حديثه عن جده للكولونيل ، استلهم تاريخ حياة أسرته فى « مائة عام من العزلة » ، ثم عن الشاعر روبن داريو ، قدم « خريف البطريرك » ، وعن سنتياجو نصار قدم روايته التى أشرنا إليها ، وهكذا فعل فى روايته « الحب فى زمن الكوليرا » فنحن أمام قصة حب تجمع بين رجل وامرأة ، لقد عمر هذا الحب طويلاً بين خيريما دى سانت أمور (والاسم نفسه دلالة واضحة) الذى ينهى رحلته مع الحياة والحبيبة فى السبعين من عمره فى حين يبدأ فلورينتنو آريثا ، رحلته المماثلة فى نفس السن ، هذه الرحلة كانت سببا لأن يواصل الحياة لأكثر من نصف قرن ، ففى الثانية والعشرين من عمره فقد أريثا حبيبته فرمينا التى تتزوج من طبيب ثرى ، مما يدفعه إلى أن يصبح ثريًا هو الآخر كى يصبح جديرًا بها ، دون أن يراعى اعتبارًا لزوجها ، لأنه يقرر مع نفسه وكأن الأمر بيده بأن زوجها سوف يموت ، وهكذا يمضى لتحقيق هدف حياته ليبلغه بعد واحد وخمسين عامًا وتسعة أشهر وأربعة أيام .

أما خيريما فقد أحب الحياة بعاطفة غامضة فقد قرر الانتحار وهو فى السبعين بعد أن ماتت حبيبته التى رافقته ما يقرب من عشرين عامًا بولاء ورقة ، ساعدته

على تجاوز الاحتضار بنفس الحب الذى ساعدهما للتعرف على كل أسباب السعادة ، ولذا فعندما ماتت وتركته وحيدًا أحس أنه ليس فى الدنيا ما يستحق أن يستكمل مسيرته من أجلها .

ويصور ماركيث رحلة الرجلين خاصة أريثا ، فمنذ أن كان فى الثانية والعشرين حصل على مراده ، فهناك فتيات ونساء يرغبنه ، لكنه ماضى فى رحلته قدمًا ، فهو لم يتوقف عن التفكير فى حبيبته لحظة ، وكم قضى الليل مسهدًا يتقلب فى الفراش من أجلها مما جعل أمه تتصور أن الأرق الذى أصاب ابنها هو الكوليرا ، ويكتشف الطبيب أن أعراض الحب أشبه بأعراض الكوليرا ، ومثلما أرسلت الزوجة عشرات الرسائل إلى زوجها الذى هجرها فى « وقائع موت معلن عنه » فإن أريثا يكتب لحبيبته مجموعة كبيرة من الخطابات ، وقد صدم الشاب كثيرًا حين رأى أن حبيبته تعيش حياة سعيدة مع زوجها ، كان ذلك سببًا لأن يجعله يحس بازدراء شديد لنفسه : « أحس أنه بائس وقبيح ووضيع وأنه ليس غير جدير بها فحسب ، بل وبأى امرأة أخرى فى العالم - وكان يمضى مذهولاً لا يعرف كيف سيتابع حياته ، ولكنه مع مضى الزمن ومساعدة أمه التى حاولت إحاطته بظروف أكثر موضوعية للإنطلاق فى الحياة فبدأ بأول حب فى الفراش مع أرملة تبعها بأخرى وأخرى ، وبعد أشهر كانت لديه علاقات غرامية عديدة ثم نجح فى عمله فى إحدى شركات الملاحة .

وحين بلغ أريثا الثالثة والسبعين - كما جاء فى مجلة الطليعة الأدبية يناير ١٩٨٨ - فإن أريثا أراد أن يضع اختياره الذاتى وهدف حياته الوحيد موضع التنفيذ ، ذلك الاختيار الذى لا يتشابه ، بل ويختلف مع كل الاختيارات الاجتماعية المطروقة ، فهو اختيار قادم من طرق سرية تمتد منذ دهر من السنين فى الأعماق

السحيقة للنفس وتمر بالقلب والضمير ، ولأجل ذلك جرب منهجًا مختلفًا ، « لقد كان عليه أن يعلم حبيبته العجوز الآن أن الحب حالة غير وسطية . وأن الحب هو الحب فى كل زمان ومكان ، ولكنه يشتد كثافة كلما كان أقرب إلى الموت » .

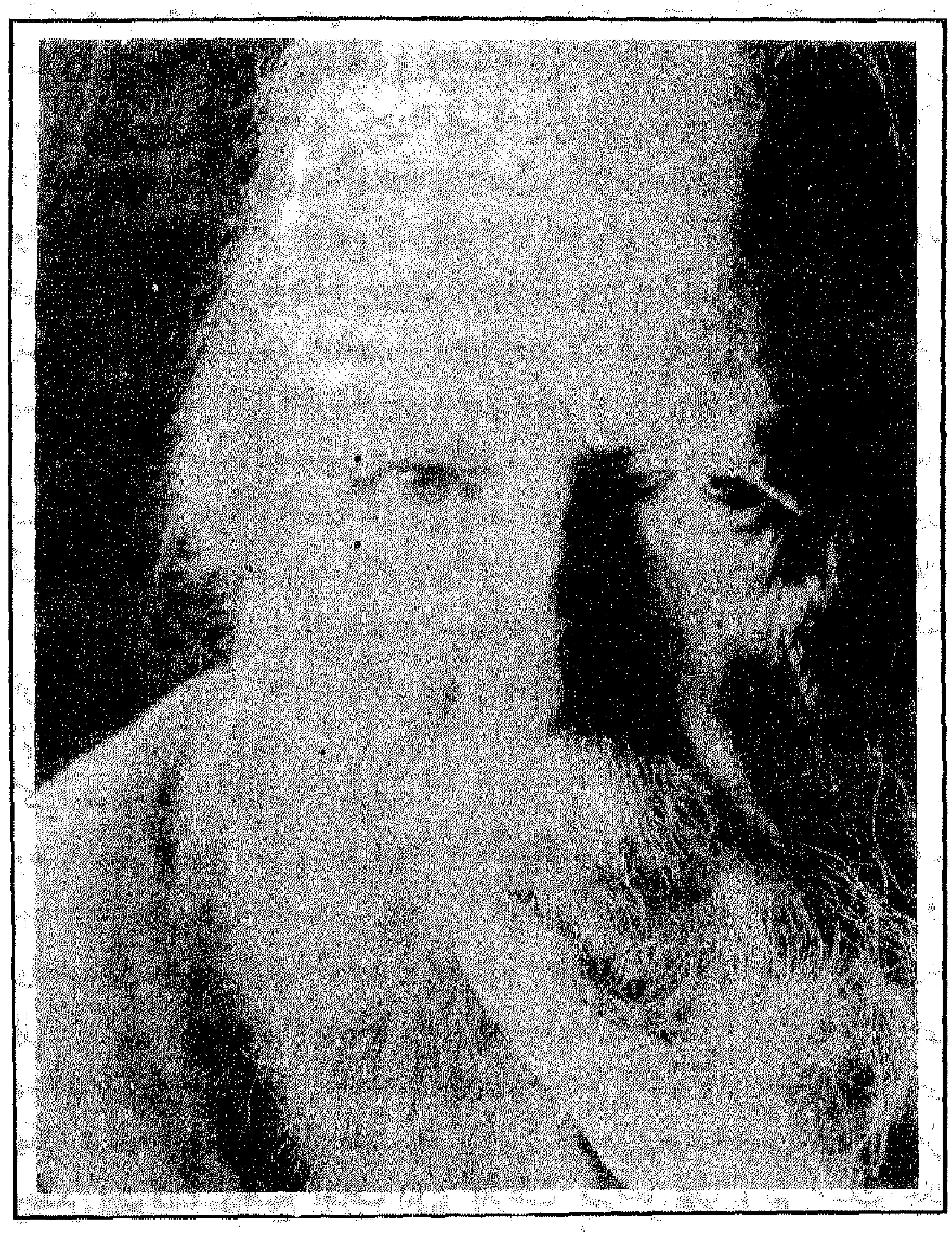
ومن التاريخ اختار ماركيث أن يقدم وقائع من حياة الزعيم سيمون بوليفار فى روايته « الجنرال فى متاهته » المنشورة عام ١٩٨٩ ، وقد اختار الكاتب أن تكون الوقائع فى الأيام الأخيرة من حياة الجنرال ، إنها أيام الأفول وليست أيام المجد ، ومن هنا اصطبغت الأحداث بالمأساوية المريرة التى لا تجعل البطل يبقى فى عنفوانه بل فى انهياره ، مما يدفعنا للرثاء له وليس الإعجاب به ، لقد مضى سيمون بوليفار فى طريقه إلى المنفى ، وليس معه إلا خادمه المطيع وعدد قليل من المخلصين له ، وامرأة مسنة فرضوها عليه دون رغبته لتعد له طعامه ، ثم أرجوحته التى ينام فيها ، وعدد من المقتنيات والهدايا وقطع النقود ، لقد خرج الرجل الذى حرر أمريكا اللاتينية من الأسبان خاوى الوفاض ، ليرتمى فى متاهة انقطع مساره فيها بموته بعد أن حلت بجسده أمراض عديدة .

وكما كتب على الصواف فى عدد يوليو ١٩٩٠ من مجلة «الشاهد» ، فإن توازى العمل التأريخى بالعمل الروائى كان من الطبيعى أن يدفع إلى تقصى حقائق أخرى ، يسهل التنازل عنها فى القص الروائى ، كما أنها لا يمكن أن تثير أدنى اهتمام لدى الباحثين أو المؤرخين ، وبالنسبة إلى ماركيث كان ضروريًا أن يبحث عمن يمكن أن يقدم له المساعدة فى « تقصى الليالى التى كان فيها القمر بدرًا خلال السنوات الثلاثين الأولى من القرن ، وما إذا كان بوليفار قد تلذذ فعلاً بأكل ثمار المانجو التى لم تكن أشجارها قد وصلت إلى أمريكا بعد ، وما إذا كانت الشخصيات الرئيسية الأخرى موجودة فى مكان ما فى ذلك اليوم بعينه » .

رغم أن اللغة الإنجليزية هى الأولى التى حصلت على جائزة نوبل من حيث عدد الأدباء الذين يكتبون بها وفازوا بالجائزة ، إلا أن جولدنج يعتبر الكاتب رقم٧ فى قائمة الأدباء البريطانيين الذين حصلوا على الجائزة ، وقد سبقه فى مجال الرواية كل من روديارد كبلنج وجالزورثى ، كما حصل عليها الشاعران ت . س أليوت وهيكس ، أما ونستون تشرشل فرغم أنه قدم روايات متواضعة . إلا أنه منح الجائزة كزعيم اجتاز أزمات عديدة مرت ببلاده ومنحت الجائزة له لامتيازه في الوصف التاريخى والجغرافى ، ولفصاحته الممتازة فى الدفاع عن القيم الإنسانية .

أما ويليام جولدنج فقد جاء فى حيثيات الجائزة أنه « يتعارض مع هؤلاء الذين يؤمنون أن السياسة أو النظم الأخرى هى التى خلقت الشر فى العالم . لكن الشر ينبع فى أعماق الإنسان نفسه وأنه موجود فى قلوب البشر منذ بدء الخليقة . حيث تكونت نظم الشر لتغيير كل شىء كى يكون للخير دوره فى تغيير العديد من الأشياء » .

وبالنظر إلى روايات جولدنج القليلة العدد ، نجد أن الكاتب يؤكد بالفعل على هذه المعانى فمنذ أولى رواياته « اله الذباب » وحتى آخرها « درع السفينة النارى » نجد الكاتب يؤكد على جانب واحد وهو العنف والشر المتأصلان داخل الإنسان ، وأنهما تسكنان داخلنا جميعًا حتى أصحاب الخير والأكثر نقاء ، وهو سرعان ما يظهر مع الإنسان حينما يتعرض لقوى قهر معينة سواء قام بصنعها ، أم صنعتها الظروف التى تحوطه ، ورغم أن الشر موجود بصورة واضحة لدى المجرمين والخارجين على القانون ، فإن جولدنج يختار نماذج بشرية تصدمنا إذا مارست هذا البشر ، فإذا كان الأطفال هم عنوان البراءة ، وإذا كان رجال الدين هم صانعو الهداية للبشر ، فإن الأطفال ورجال الخير حينما يتعرضون لضغوط ما فإنهم يتحولون إلى قوى عنيفة شرسة تنسال منها الدماء ، وتستخدم



ويليام جولدنج - ١٩٨٣

كافة أنواع العنف كى تظل باقية عنوانا على تآصل السوء داخلها . وقد بدا أطفال روايته الأولى « إله الذباب » واضحًا ، فما الذى دفع بهؤلاء التلاميذ الذين وجدوا أنفسهم داخل جزيرة معزولة إلى الصراع فيما بينهم بهذه الحدة ، هؤلاء الأطفال وجدوا أنفسهم هناك فوق الجزيرة ، الظلام يسود المكان فى الليل ، والرعب فى النهار ، لقد دفعتهم قوّى إلى هناك ، قيل انها إحدى وحدات الأسطول البريطانى ، إنهم فى مجتمع معزول عليهم أن يعيشوا إلى أن تتم لهم النجاة ، يقومون بتقسيم أنفسهم فريقين ، فريق يقوم بإشعال نيران مقدسة دائمة كى يمكن أن يحصلوا على النجدة حينما تمر سفن أو طائرات قريبة من المكان ، والفريق الآخر عليه أن يجول داخل الجزيرة يصطاد الخنازير ، ويأتى بالطعام لبقية المجموعة التى يتزعمها كل من رالف وجاك ، وعلى كل من المجموعتين أن تمتثل لأحكام الفريق ، لكن ، ولأن البشر دائمًا يملكون غرائزهم ، فإن البعض يبدأ فى الخروج على قانون المجموعة . ويبدأ الصراع فيرون شيئا جاثمًا فوق الجبل ، أشبه بوحش كاسر يثير الرعب والخوف بينما المفروض أن يثير لم شمل المجموعة ، يتصورونه وحشًا ، يفكرون أن عليهم أن يقدموا له قربانًا كى يعملوا على إرضائه ، ويروحون يصطادون خنزيرًا : « هنا سقط الخنزير وقد أجهده الإعياء ، هرع الصيادون نحوه ، وهدأت الثورة المرعبة من عالم لا نعلم عنه شيئا جعله فى حالة جنون فصرخ . وهو يقاوم بينما امتزج المكان بالعرق والضوضاء والدم ، وجر الرعب روجر نحو الحيوان المتكوم فأخذ ينخس بحربته إلى أن ظهر لحم الخنزير ، بينما وقف جاك فوق الخنزير يطعن الجزء الخلفى بسكينته ، ووجد روجر مكانًا لبدء الطعن ، ثم دفع حربته وأخرجها وهو ينحنى بكل ثقله على الحيوان ، وبدأت الحركة فى الدخول بوصة تلو البوصة داخل جسد الحيوان ، وأصبح الهتاف الملىء بالرعب صراخًا عاليا ، ثم أمسك جاك برقبة الحيوان وامتلأت يداه بدمائه المندفعة من أثر الذبح ، انهار الخنزير تحتها فارتميا بثقلهما فوقه ، وقد ملأتهم النشوة ، ومازالت الذبابات ترقص تمامًا لما يحدث وسط الغابة المقفرة » .

وبعد أن تم اصطياد الخنزير ، يقطعون رأسه ويضعونه فوق رأس حربة ، فيتجمع حوله الذباب الذى يعلو طنينه ويتحول إلى مصدر خوف بالنسبة للصغار الذين لا يزيد أعمارهم عن أربعة عشر عامًا ، فيزداد الصراع بين الأطفال ، وتنسال الدماء حارة ، يموت اثنان من الأطفال نتيجة لهذا التناحر الشديد ، وربما كان يمكن أن يموت أكثرهم ، أو لعلهم جميعًا لولا أن تجيء سفينة لإنقاذهم فى اللحظة المناسبة ، وعندما يقل الأطفال السفينة يجدون أنهم قد خسروا الكثير ، لقد فقدوا براءتهم التى قبعت هناك فوق الجبل ، فلم يكن هناك وحش كاسر فوق الجبل ، لكن هذا الوحش كان يسكن داخل هذه القلوب البريئة .

هذه وقائع رواية « إله الذباب » التى حصلت على جائزة نوبل وهى كما أشرنا ، الرواية الأولى للكاتب المولود فى مدينة سانت كولب مينور بكورنوال عام ١٩١١ ، وهى المدينة التى لا يزال يسكن فيها حتى الآن ، كان الأب مدرسًا ، درس ويليام جولدنج فى إحدى الكليات بجامعة أوكسفورد ، وحين جند فى البحرية البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية ، اشترك فى معركة نورماندى عام ١٩٤٤ ، ولا شك أن سنوات التجنيد الطويلة قد لعبت دورًا هامًا فى حياة الكاتب وأدبه مثلما لعبت فيما بعد مهنته كمدرس .

وجولدنج شأن الكثير من الكتاب البريطانيين ، كرس أعماله لتدور أحداثها فى البحر . فهو بذلك ينضم لأدباء أخلصوا للبحر فى المقام الأول مثل جوزيف كونراد ، والأمريكى هيرمان ملفيل كما أن الحرب صهرته مثل الكثير من الأدباء منهم أندريه مالرو ، وبعد أن انتهت الحرب بدأ جولدنج يمارس الكتابة ، وقدم روايته الأولى « إله الذباب » إلى واحد وعشرين ناشرًا رفضوها جميعًا ، وكان فى تلك الفترة قد عمل مدرسًا فى مدينة سالزوبرى فساعده هذا العمل على التعرف على عالم الصغار الذين قدمهم فى روايته « إله الذباب » المنشورة عام ١٩٥٤ ، ولاقت نجاحًا منقطع النظير مما دفع الكاتب أن يقدم فى العامين التاليين روايتين هما : « الورثة » و « كريس مارتن » ، ثم قدم روايته « السقوط الحر »

عام ١٩٥٩ ، ومن بين أعماله الأخرى « الهرم » ١٩٦٧ و« إله العقرب » ١٩٧٢ ، و « عتمة مرئية » عام ١٩٧٩ ، ثم « شعائر المرور » ١٩٨٠ ، وفى عام ١٩٨٤ نشر كتابه « هدف متحرك » ، وفى عام ١٩٨٦ نشر كتابًا عن رحلته إلى مصر تحت عنوان « يوميات مصرية » ، ثم جاء كتابه الأخير « درع السفينة النارى » .

فى روايته « كريس مارتن » نرى مارتن بحارًا يعيش لحظة موته ، وفى هذه اللحظة ينساب العديد من الأفكار داخل ذاكرته ، خليط بين الماضى وآمال المستقبل ، فالماضى به رجل وغد عاش حياته ، فوق أكتاف الآخرين ، يغش فى الامتحانات ، ويرتاد أسرة النساء ، ويغتصب القاصرات ، أما الغد فيتمثل فى أمله أن يبقى على قيد الحياة بضعة أيام أخرى ، يحقق فيها بعض ما يبتغيه ، ويؤكد جولدنج من جديد على قوى الشر الكامنة فى البشر ، وإذا كانت ظروف الجزيرة قد أخرجت الشر من قلوب الأطفال فى روايته الأولى ، فإن الشر المتأصل داخل كريس مارتن يظهر تجاه كل ما هو خالق ومخلوق ، بل وتجاه نفسه التى لم يلتفت إليها إلا فى تلك اللحظة التى يموت فيها .

وهناك فى روايته « عتمة مرئية » جوانب أخرى من الشر الكامن فى النفس الإنسانية ، فماتى طفل فى الرابعة عشر من عمره ، يمر بلحظة يقظة عقب إصابته بحريق جسيم ، إنه أيضًا يموت مثل كريس ، تتداعى إليه كل ذكريات الأمس ، وإذا كان البحار رجل حنكته السنون فإن ماتى تلميذ فى إحدى المدارس التى يمارس فيها الناظر هوايته الغريبة ، فالسيد بدجرى ينظر للتلاميذ كل حسب جماله فهو يقوم بتصنيفهم حسب وسامتهم ، وماتى هو أكثر الأطفال جمالاً ، لكن من الخارج فقط ، لقد تعلم أن يجتاز مرحلة الطفولة بسرعة غريبة ، فلم يعد يعيش براءتها وبساطتها .. فرغم أنه لا يكف عن قراءة الكتاب المقدس ، إلا أنه قد مارس العديد من المهن ، يتلذذ بالتلصص على إحدى النساء السيئات السلوك ، يضع كتاب المطالعة تحت إبطه ، ثم يهرب من الحسناوات وعليه أن يمارس أشياء عديدة مثل التمرينات الرياضية ، وأن يتصرف كالنبلاء .

وهناك أيضا أطفال آخرون فى نفس الرواية ، لكن الأكثر شرًّا هما التوأم طونى وصوفى ، فإذا كان ماتى قد هرب من أستراليا إلى بريطانيا ، فإن طونى يلجأ إلى كوبا ، وتقع أخته صوفى فى غرام أبيها ، وعندما تحبط مشاعرها تجد أن الجنس وسيلة للتنفيس عن مشاعرها المحيطة .

وتدور أحداث روايته « شعائر المرور » أيضًا فى عالم البحار ، وتدور الأحداث هنا مع بداية القرن التاسع عشر ، فوق سفينة متجهة هذه المرة من بريطانيا إلى أستراليا ، وفوق السفينة يوجد رجل غريب يدعى أدموند تالبوت ، ويشير الكاتب أحيانًا أنه قس قديم ، ومع ذلك فهو شاب فى مقتبل العمر أمامه المستقبل مفتوح ، يتعرض ركاب السفينة لدوار البحر الذى يجعلهم يتقيئون ، أصاب الدوار أولاً تالبوت الذى عليه أن يتعاطى الإكسالات التى يحتفظ بها ، عليه أن يعيش مستقلاً عن بقية الركاب ، مثل الرسام بوكلى الذى يصحب معه أسرته ، يتحدث تالبوت مع ابنة هذا الرسام ، ويخبرها أنه خجول يلاحقه سوء حظ ، أما السيد كوللى فلا يشعر بأى مودة تجاه ربان السفينة الذى أفسدته رياح البحار السبعة التى جابها ، على السفينة أن تمر بخط الاستواء ، وعندما يحدث ذلك ، على الركاب ممارسة طقوس خاصة تمليها عليهم الظروف ، يجد تالبوت نفسه منهارًا ومجبرًا أن يمارس تجربة شاذة مع أحد البحارة ، وعندما تحط السفينة أمام الشاطئ يرى الوجوه تختلف ، إنه يمر بمرحلة خلاص مضادة ، ويشعر أن الشر قد كمن داخله .

حاول جولدنج بعد حصوله على جائزة نوبل أن يقوم برحلة فوق مياه النيل ، وحول تجربته هذه قدم كتابه « يوميات مصرية » الذى كتب عنه الدكتور رمسيس عوض – جريدة الجمهورية ٣١ أكتوبر ١٩٨٥ –قائلاً : « ورغم تمرس جولدنج بالملاحة فإن درايته بها لم تعد عليه بالنفع فى الملاحة فى النيل ، ومن ثم فقد أسلم قيادة مركبه للريس شاذلى ، وبسبب عدم معرفته باللغة العربية فإنه اعتمد

اعتمادًا تامًا على مرافقة مترجمه علاء سويف فى التفاهم مع طاقم القارب الخمسة مع الأهالى بوجه عام » .

ويقول د . عوض إن « الريف المصرى – فى نظره – ليس قذرًا أو عفنًا ولكنه غير منظم أو مرتب ، والأخطر من هذا كله أن صورة الفلاح الذى يعيش فى فقر مدقع اختفت أو كادت تختفى من مصر إلى الآن ، فالفلاح الصعيدى الذى استضافه فى بيته يملك رغم فقره جهاز تليفزيون أبيض وأسود فى بيته ، وليس من تفسير لهذا فى نظره إلا أن يكون الفقر المدقع قد اختفى نهائيًا من الريف المصرى أو أن المصريين يخفون فقراءهم كما يخفى صاحب العاهة عاهته حتى لا تقع أنظار الأغراب والأجانب عليهم » .

ويقول الكاتب أيضًا إن جولدنج أحب النوبيين « لبشاشتهم ورضائهم بالحياة ، وقام بزيارة النوبيين المهجريين بسبب حفر بحيرة ناصر ، ورغم أنهم لم يجأروا أمامه بالشكوى ، فقد أحس بأنينهم الصامت ، وبأنهم غير سعداء فى موطنهم الجديد ، وبأن الشوق والحنين يملأ صدورهم للعودة إلى موطنهم الأصلى الذى اضطرتهم الظروف إلى تركه ، فضلاً عن أنهم يريدون الحفاظ على لغتهم النوبية وقوميتهم النوبية » .

يقول الناقد برنار جنينر فى مجلة لونوفيل أوبسرفاتور – ١٩ ديسمبر ١٩٩١ – ان روايته الأخيرة « درع السفينة النارى » بمثابة الجزء الثالث من ثلاثيته البحرية التى بدأها برواية « طقوس العبور » ثم « طلقة إنذار السفينة » ، وهنا نرى نفس الشخص أدموند تالبوت الذى قرر أن يترك وطنه إنجلترا إلى أستراليا فى بداية القرن الماضى ، فركب سفينة عليها أربعة وسبعون مدفعًا ، وكان رفاقه فوق السفينة بحارة وأبناء طبقة راقية ، ومغامرين وامرأتين جميلتين ، وأطفالاً ، وبعض الأشخاص ، وتستمر الرحلة عامًا بأكمله يعانون من أحداث بحرية ، وحالات اختفاء غامضة ، ويقول جولدنج : « لا أريد أن أقدم إعادة طبع للكوكب وأنا أكشف كل هؤلاء الأشخاص فوق ظهر السفينة ، لقد حاولت أن أضع

عملى من خلال امرأتين ، ووقائع فى الكواليس تسمح أن نتوغل داخل عالم تالبوت ، لقد خصص جولدنج قرابة ألف صفحة فى الروايات الثلاثة من أجل شخص واحد محاط بالغرقى والتعقيدات ، لكن تالبوت رجل يكتشف نفسه خلال هذه الرحلة .

وفى الحديث الذى أجرته جريدة لوفيجارو مع الكاتب فى ٢٥ نوفمبر ١٩٩١ ، أكد أنه لم يكن ينوى أن يكتب جزءا ثالثًا لهذه الرواية ، لكنه وجد تالبوت يستيقظ فى داخله كى يدفعه للكتابة مرة ثالثة عنه .

وفى نفس الحديث من الجريدة أكد جولدنج أن جائزة نوبل لم تغيره ، وكل ما فعلته بالنسبة له أن جعلت شهرته تزداد ، وذلك مثل الفيلم الذى أخرجه بيتر بروك عام ١٩٦٢ عن « إله الذباب » : « لقد كنت كاتبًا معروفًا فى عالم الأدب ، وربما أيضا فى عالم التعليم ، ولكن الفيلم وجائزة نوبل قد أذاعا اسمى أكثر ، ولم ألحظ أى تغييرات علىّ ، فعندما ينظر الناس إلىّ فى الشارع فإننى لا أبالى » .

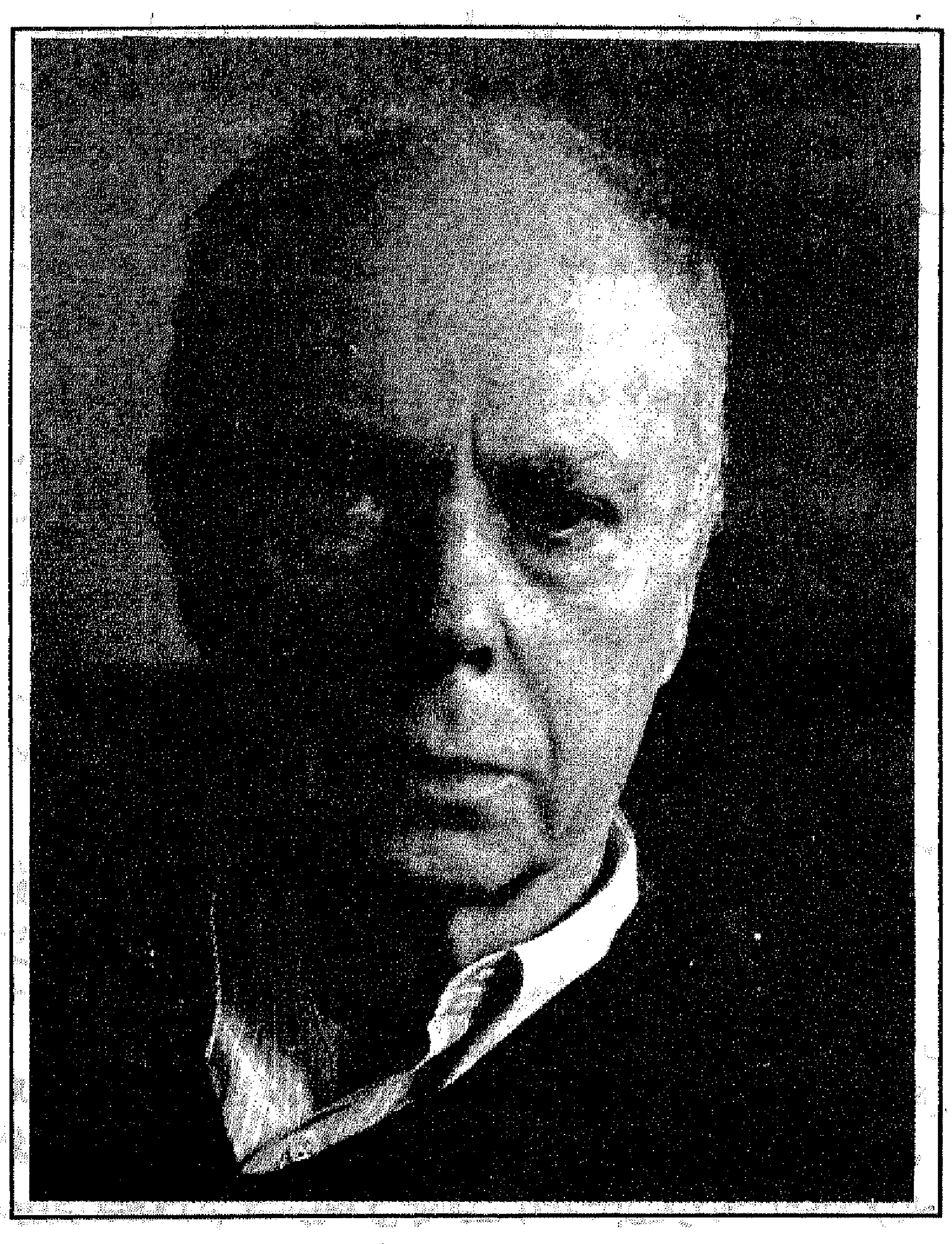
ويهمنا هنا أن نقتطف من كلمات جولدنج حسب الحديث المنشور فى مجلة « آفاق عربية » فى يوليو ١٩٨٧ ، حيث قال عن تصوره نحو العالم : « اعتقد أنه مرن بدرجة مقبولة ، إنى أميل إلى تقبل آخر التقليعات بكل شغف لأنها تشكل مصدر متعة لى ، اعتقد بأنه من الأرجح أننا نجد ثقوبًا سوداء هناك لأننا اكتشفناها هنا ، كما تعلم أننا حققنا أشياء معينة فى هذا القرن ، لم نتصور أن بمقدور البشر القيام بها والتى يتعذر وصفها ، وتلك تعتبر ثقوبًا سوداء بشكل من الأشكال ، وعليه فإن الشىء الثانى الذى نفعله هو اكتشاف مكانها فى الكون ، وبعبارة أخرى أتصور أن هناك اتجاهًا فى عقل الإنسان وطبيعته لجعل الكون يطابق صورته التى ينسجها عقله هو ، على أية حال ، هناك الشىء القليل جدًا الذى يستطيع أن يفعله بشأنه ، إنه هناك فى الخارج وهو ينظر إليه » .

كلود سيمون

عندما منحت أكاديمية أستكهولم جائزة نوبل عام ١٩٨٥ للكاتب الفرنسى كلود سيمون أعطت عدة مؤشرات لاتجاه الجائزة فى تلك الفترة ، فها هى الجائزة تعود إلى فرنسا مرة أخرى بعد خمسة وعشرين عامًا ، حيث نالها الشاعر سان جون بيرس (١٩٦٠) ، وباستثناء جان بول سارتر الذى رفضها عام ١٩٦٤ ، ورغم غياب الجائزة عن فرنسا طيلة ربع قرن بأكمله ، إلا أن فرنسا هى أسعد الدول حظًا مع جائزة نوبل ، حيث نالتها ثلاث عشرة مرة ، تليها الولايات المتحدة ، مع أن الجائزة قد منحت عام ١٩٨٥ لأديب نسته وسائل الإعلام قبل ذلك طويلاً وخاصة أنه لم يتوقف عن الكتابة الإبداعية ، وقد كانت مجلة « لوبوان » فى ١٤ أكتوبر ١٩٨٥ – أى قبل حصول سيمون على الجائزة بأيام ثلاثة ، قد أشارت أن نوبل قد تجاهلت الفرنسيين ، وأن هناك ثلاثة أدباء يستحقون الجائزة هم ميشيل تورنييه ، ومرجريت يورسنار ، وكلود سيمون .

وقد تبدو كل هذه النقاط مألوفة ، لكن النصر الحقيقى الذى ناله سيمون بهذه الجائزة هو الدليل الأكيد ، أن الرواية الجديدة أصبحت عملاً كلاسيكيًا يحصل على الجوائز ذات المنظور التقليدى ، وتنتهى أسطورة أن هذا النوع من الإبداع قصير العمر أو هو هذيانات فردية كان عليها أن تختفى بسرعة ، فالرواية الجديدة موجودة ، وتحصل على الجوائز التقليدية ، وتجد فرسانًا جددًا .

كلود سيمون إذن أحد أدباء الظل ، بمعنى أنه أكثر ابتعادًا عن وسائل الإعلام حتى حصوله على الجائزة ، اسمه الحقيقى هو أيوجين هنرى ، مولود فى العاشر من أكتوبر عام ١٩١٣ بمدينة تاناريف بمدغشقر ، أبوه أنطوان سيمون الذى كان فى تلك الفترة ضابطًا ، وفى عام ١٩٢٤ ، رحل الصغير إلى باريس ليدرس الأدب فى مدرسة ستانلاس ، ثم درس فى أوكسفورد وكمبردج كما درس أصول الفن التشكيلى على أيدى الفنان اندريه لوت ، وفى عام ١٩٣٢ قام برحلات



كلود سيمون - ١٩٨٥

عديدة فى أوروبا ، ثم التحق بالخدمة العسكرية عامى ١٩٣٤ و١٩٣٥ ، وعاود مرة أخرى الرحيل عبر الدول الأوروبية ، وفى عام ١٩٣٩ بدأ كتابة روايته الأولى « الغشاش » ، ثم انضم ثانية إلى القوات المسلحة ، وتم أسره لدى الألمان ، ولكنه تمكن من الهرب فى نوفمبر عام ١٩٤٠ ، وأثناء سنوات الحرب لم يكف سيمون عن كتابة روايته الأولى والتى نشرت عام ١٩٤٥ عقب نهاية الحرب . ثم بدأت حياته الأدبية .

لم يكتب سيمون طوال الخمسة والأربعين عامًا الأخيرة سوى الرواية فقط ، وكتابًا واحدًا عن الفن التشكيلى تحت عنوان « نساء » نشره عام ١٩٦٦ ، أما رواياته فعددها ثمان عشرة رواية منها « جاليفر » ١٩٥٢ ، و« قداس الربيع » ١٩٥٤ ، و « الريح » ١٩٥٧ ، ثم « العشب » ١٩٥٨ ، و « طريق الفلاندرا » ١٩٦٠ ، التى نال عنها جائزة نوبل ، و « الميدان » عام ١٩٦٢ ، و « أجسام موصلة للحرارة » ١٩٧١ ، و « درس الأشياء » ١٩٧٥ ، ثم « الدعوة » ١٩٨٧ ، و « الأكاسيا » ١٩٨٩ .

جاء فى حيثيات منح جائزة نوبل لسيمون أن الرواية الجديدة التى يمثلها الكاتب « شيء ما يعيش فينا ، وسواء شئنا أم أبينا ، سواء فهمناه أم لم نفهمه ، سواء آمنا به أم لم نؤمن » .

وكلود سيمون هو شيخ مدرسة الرواية الجديدة ، ففى النصف الأول من الخمسينات أصبحت هذه الروايات مدرسة أدبية بظهور جيل جديد يمثله كل من الأب روب جرييه وصموئيل بيكيت ، ومرجريت دوراس وميشيل بوتور وروبير بينجيه ، ثم الساموراته فى إيطاليا ، وانتقلت إلى الولايات المتحدة فرأيناها عند جويس كارول أوتس ، والرواية الجديدة ليست حالة فردية ، بل هى اتجاه أدبى جماعى جذب إليه الكثيرون من المعجبين من الأدباء والقراء على السواء . ولعل أبرز أبنائه فى التسعينات جان رووه وايف سيمون .

فى العدد رقم ٢٤٢٣ من مجلة « لونوفيل ليترير » المخصص عن « سقوط وارتفاع الرواية الجديدة » يقول جان ريكاردو : « الرواية الجديدة تستقبل دائمًا عملاء جددًا ، ويمكن أن نقول إن الفكرة التى جاءت بالرواية الجديدة هى فكرة ثقيلة لها العديد من المعجبين . يكفى أن نذكر ما كتبته الصحف منذ أكثر من اثنى عشر عامًا ، صحف مثل « آرت » و « الفيجارو ليترير » ، قالوا : إن الأمر لا يعدو أن يكون تقليعة ستختفى مثلما اختفت أشياء كثيرة . ومن الأفضل أن تنقشع ، وأن نلاحظ أن هذه الرؤى التقدمية والتنبؤية ليست سوى شيء آخر للرؤية ، لقد اختفت جريدة « آرت » ، وذهبت « لوفيجارو ليترير » لحال سبيلها بعد أن أصبحت صفحة ضمن صفحات الفيجارو .

« لا أقول هذا لأنهم أعلنوا موت الرواية الجديدة ، ولكن لأنهم قد ماتوا هم ، ويكفى أن سجلات الوفيات قد ماتت قبل أن يتصوروا أنهم دفنوها ، الأمر مستقر الآن ، ولنرو على الصحف الأخرى قائلين : إنه فى الواقع توجد أشياء جادة بما فيه الكفاية ويجب أن نعاملها يومًا باسلوب النظرية » .

ويختلف أدب كلود سيمون عن أبناء مدرسة الرواية الجديدة قليلاً ، فإذا كان العديد من اللاروائيين يميلون إلى الجملة التلغرافية القصيرة ، فإن سيمون يميل إلى الجملة — الفقرة المتراكمة الألفاظ التى لا تتصل بعلامات الفصل والتنقيط .

وما دمنا نقول « رواية جديدة » فإنه من الصعب أن نقول : إن رواية « العشب » مثلا تروى حكاية فتاة ، أو أن « طريق الفلاندرا » تناقش ، فهى روايات لا تعتمد على الحدوتة ، ولكنها انطباعات كاتب ، وترتيب رموز ، وعروض مشاعر ، فمن الواضح أن أبناء هذه المدرسة قد خرجوا من جعبة جيمس جويس فى خلق تنسيق روائى حول بناء كثير الصلابة قادر على إدارة قدرة

الأشخاص وتنظيم الزمن الذى يتحركون فيه ، فالزمن مرن . وتضيق حيزات الأماكن والأوقات ، ويصبح الرمز سيدًا وتمتزج الأسطورة بالواقع داخل نفس التعبير ، أو كما قال سيمون نفسه : « لا أستطيع أن أبدأ فى كتابة رواية إلا بعد أن أدرس ترتيبها طوال أشهر ، وإلا ابتداء من اللحظة التى أرى نفسى فيها صاحب مخطوطات ، وحيث تبدو بى الفعالية التعبيرية كافية بالنسبة لى ، هذه المنطقة التى تدعونى إلى الأصل وحين أتزود بهذه الأداة ، بهذه البوصلة ، أو بالأحرى ، هذه الخريطة الاحتياطية ، أبدأ ارتيادى لها ، لأن هذه الأدوات هى التى استعملها ، وبدونها لما جرؤت أن أسير حيث أريد أن أخترق الحاجز . (موسوعة أدباء فرنسا – بيير دى بويفار) .

وليس صحيحًا أن الرواية الجديدة بعيدة عن الإنسان ، فهى كما يقول كلود روا : الحياة بتيارها وتدفقاتها وتعقيدها ، فهناك دائما مظاهر الحياة فى روايات سيمون مثل الحرب العالمية التى تحدث عنها فى « طريق الفلاندرا » ، وهناك أيضا الحرب الأسبانية والثورة ، وقوى القهر والفوضوية والشيوعية والستالينية فى رواية « الميدان » .

ويقول كلود روا فى مجلة لونوفيل أوبسرفاتور – ٣ أكتوبر ١٩٨١ – ان سيمون : « يجرى ويعيد نسخ هذه القفة ، إنه يفرش كل هذا فوق مائدة ضخمة ، ويضع فى روايته عالم الفارس سيمون : برد الشتاء القارص فى عام ٣٩ – ١٩٤٠ ، تلك الحرب الغريبة ثم الإحساس باليأس الذى لا مفر منه ، إنه يدعو للجلوس أمامه هذه المهمة من الصور والذكريات والوثائق والإحلال ، بطل الرواية رجل « واقعى » هو جورج أورويل الذى ذهب ليحارب ضد فرانكو ، لقد أصابته الفاشية فى رقبته ، وانتهى الأمر بأن طاردوه كرجل تروتسكى ، وظل حتى وفاته يفكر فيما حدث له فى أسبانيا وهو يصرخ : « انتبهوا ، يمكن أن تخبىء الثورة عوامل تضادها ، الدولة

البوليسية ليست دولة اشتراكية » . ويقول « روا » إن كلود سيمون قد صنع جملة متراكمة تراكم شئون الحياة . هذه الجمل لا تنتهى أبدًا ، إنها متلاصقة لا تفترق ، كأنها كابوس تاريخى ، واعشاب لا نهاية لها ، ولكنه الصخب والعنف للإلياذة ، هذه الجمل تذكرنا بأننا نسينا هويتنا .

وإذا كان الناقد أندريه تشينيه قد قال إنه : على المفكرين الجدد أن يتجهوا نحو القديم ، فإن سيمون يرد عليه قائلاً : بل إننا من هذه الأشياء القديمة نصوغ رواياتنا الجديدة ، ويقول : لا جديد تحت الشمس ، فالناس يولدون ويعانون ويحبون ويقتلون بعضهم ويلقون لبعضهم بالكرات ، وذلك منذ أن خلقت الكرة ، « ومن هذه الجملة فإن سيمون يسعى مع زملائه إلى خلق كوادر جديدة للحياة بفهم مختلف » .

وبالفعل فإنه بالنظر إلى الجملة عند سيمون فإننا سنلاحظ أن التواصل يكاد يكون معدومًا للغاية والحوار نادرًا ، وتتراكم الكلمات والعبارات ثقيلة متراحمة كأنها متراكمة فوق بعضها ، وليست متتابعة كما هى العادة ، بل يشعر القارئ أن فصلاً كاملاً كأنه جملة واحدة ، يستخدم سيمون الهوامش والتفسيرات والتوضيحات فى حدود ضيقة للغاية ، كما يستخدم الرمز اللغوى باستخدام تعبيرات غير مألوفة ، بأن يصنع تشكيلة جديدة من تعبير متداول ، وهذا النوع يدفع الكاتب إلى الشطحات ثم العودة إلى الحدث الأساسى الذى يتكلم عنه مثلما فعل فى حديثه عن بطل روايته « وال » .. فى « طريق الفلاندرا » التى نقتبس بعضًا من سطورها من الترجمة العربية المنشورة فى دار المأمون عام ١٩٨٧ : ففى هذه الرواية ، إذا شئنا التعرف على حدوتة ، لقى النقيب دى ريكسال مصرعه بيد مظلى ألمانى فى عام ١٩٤٠ ، أراد جورج أحد أبناء عمه وهو من أفراد كتيبته نفسها أن يتقصى الحقيقة ، وبمساعدة بلوم السجين السابق فى معسكر الاعتقال استجوب إنجليزيا الذى كان مروض خيول فى إصطبل دى ريكسال ، وبعد الحرب أسفر البحث عن العثور على أرملة النقيب الشابة .

« لكنه لم يكن ينوى أن يتفلسف ولا أن يبذل جهدًا لكى يحاول أن يفكر بما لم يكن الفكر قادرًا على إدراكه أو تعلمه ، وذلك لأن المشكلة كانت تكمن فى مجرد محاولة تحرير ساقه مما كان فوقها ، ثم إنه قبل أن يطلب منه ما إذا كان يعرف الوقت بالضبط ، سأل نفسه عن الساعة قبل أن يباشر الرد عليه ، ولكن ما جدوى معرفة الوقت ، هذا ما قاله فى نفسه ، معتقدًا أن الوقت على أية حال لا يفيدهما بشيء لأنهما لن يخرجا من هذا القطار إلا بعد أن يكون قد قطع مسافة معينة ، وأن مسألة تنظيم سير القطار لم تكن مسألة وقت بالنسبة إليهما ، ولكن مسألة تنظيمية هى من اختصاص السكة الحديد لا أكثر ولا أقل من قيامه عند عودته بنقل صناديق فارغة أو مواد تالفة . أشياء تأتى فى زمن الحرب بعد كل الأوليات » . (ص ٧٠) .

وعن روايته « الريح » كتب إميل هنريو : « أُكد لى من جهات مختلفة أنه قد ظهر كتاب كبير للغاية « الريح » للسيد كلود سيمون . كاتب فذ ، قوى وعميق ، ينتمى إلى سياسة الأنفاس الطويلة وذلك من خلال جمله الطويلة التى يصوغها ، واقعى ، عنيد ، غزير الطاقة ، قوى ، غريب وشمولى ، السيد سيمون هو كل هذا ، ونتيجة لأسلوبه النشازى . فإننى لا أستطيع قراءة كتابه حتى النهاية رغم العديد من المحاولات ، بالنسبة لى فهو توغل ، مثلما قال جيمس جويس ، وهو أيضا مبدع على طريقة : « سنرى بعد مائة عام إن كنت مخدوعًا » ، وإلى القارئ أترك له الحكم وحده » .

أما الدكتور محمد إبراهيم الشوش فيقول فى « الحرس الوطنى » – ديسمبر ١٩٨٥ – ان الطريق الذى اختاره سيمون للتجديد ، يتمشى مع ميوله الشخصية وهواياته الفنية ، فقد جعل الرواية أشبه بلوحة تشكيلية ، فالملاحظة المرئية تمثل أهم قدراته الفنية ، وكل مداركه وتصوراته وذكرياته تتخذ إطارًا مرئيًا مجسدًا ، كما أن الصورة العامة للرواية شبيهة بلوحة فنية تتجسد فيها الحياة فى مجموعة

متشابكة من الصور والألوان ويلتقط الكاتب ، جزئياتها من كل جانب دون التزام بترتيب زمنى أو نمط تقليدى معين » .

ويهمنا أن نتكلم عن صورة الإنسان فى أدب سيمون . فالآخرون ، مثلاً ، يدعون أنهم يستمعون إليك بدافع الذوق ، بينما هم فى حقيقة الأمر مستغرقون داخل أنفسهم « بنفس الصوت المتناغم وابتسامة البائع الذى يعتذر لك عن إزعاجك فى استجوابك بدقة عن أصل لوحة ما ، وموضوعها وتاريخها وكيف ولماذا قام جدك بتعليقها فى ذلك المكان منذ خمسين عامًا فى حين تكون أنت الذى تمر أمامها منذ عام لم يخطر ببالك أن تنظر إليها » .

ففى الفصول الأولى من رواية « الريح » لا تستطيع أن تفهم ، إلا من خطوط ضيقة للغاية ، لماذا يجلس مونتيس ، الراوية ، فى مكتب الموثق ، فقد استدعاه الموثق من أجل محاورته حول ميراثه من أبيه الذى لم يلقه سوى مرة واحدة طيلة حياته ، هناك « حكاية » تتعلق بالميراث ، وبأشياء أخرى . من قصة مونتيس مع الخادمة ، ومع أشخاص يترددون على مكتب الموثق وأشخاص آخرين لهم علاقة بمسألة الميراث وبتفاصيل بالغة الدقة لكل هذه العوالم المتراكمة ، يتحدث كلود سيمون عن كائنات مليئة بالغموض ، كاشفًا عن عالم له اتساعه الخاص ، اتساع غير تقليدى قد يبدو لوهلة كم هو حاذق ، وقد يبدو أنه يمتد إلى مالا نهاية مثل لعبة الصناديق المتداخلة .

ورواية « الريح » أشبه بمحاولة لبعث الدماء الحية فى أشياء جامدة ، مثل صورة لو قمت بقلبها فسوف تكشف عن مناظير جديدة ، بعد أن تكون قد كفت عن جذب الأنظار ، وآنذاك سوف يشعر الناس أن عيونهم يمكن أن ترى الأشياء القديمة برؤى جديدة تمامًا .

فرجل مثل مونتيس يجد نفسه مهتما بمسألة الميراث ، عليه أن يتذكر أشياء كثيرة تتعلق بأبيه الذى لم يره سوى مرة واحدة ، وأن يجمع خطوطًا باهتة تتراكم فيما بينها مثل عبارات المؤلف حتى تتضح الصورة ، لذا فإن أكثر الفصول وضوحًا وسهولة فى هذه الرواية هو الفصل الأخير . حيث تتضح فيه الأشكال والعلاقات .

إذا كان جولدنج قد زار مصر عقب فوزه بجائزة نوبل وألف عنها كتابًا ، فإن سيمون قد زار الاتحاد السوفيتى بعد فوزه بجائزة نوبل ، وحول هذه الزيارة قدم فى عام ١٩٨٨ كتابًا بعنوان « الدعوة » ، كما تضمن الكتاب أيضا نص خطابه الذى ألقاه فى حفل توزيع جوائز نوبل عام ١٩٨٥ ، وفى رحلته إلى الاتحاد السوفيتى شاهد سيمون عروض فرقة البولشوى ، ومجوهرات الأسرة الحاكمة ، وتناول العشاء مع الأسقف : والتقى بالزعيم السابق جورباتشوف صاحب هذه الدعوة ، وكتب عنه قائلاً : « أعتقد أن المهم هو الرجل » . ومن المعروف أن سيمون قد نشر رواية بعد ذلك فى عام ١٩٨٩ ، يحمل عنوان « الأكاسيا » عن روسيا أيضًا ، ولكن من خلال محاكات الحرب ، ومن الصعب متابعة أحداث الرواية ، ولكن الكاتب برتران بوارو دلبيش كتب يقول : إن الرواية تدور أحداثها فى بداية الحرب العالمية الثانية ، والراوية هنا يتم القبض عليه من قبل قوات الاحتلال النازى ، ويقتادونه كالأرنب ، ولكنه لا يلبث أن يهرب ويتجه إلى بيت هوى ونزل عائلى ملىء بالنساء فى وسط فرنسا ، ووسط أحداث الرواية عن الحرب العالمية الثانية ، يجد القارئ نفسه يقرأ قصة أخرى عن الحرب العالمية الأولى ، فالجندى الذى تم أسره فى الحرب العالمية الثانية كان طفلاً يتيما فى أثناء الحرب العظمى ، كما أن هناك شخصًا آخر فى الرواية لا نعرف له اسما يناديه كل شخص بطريقة تختلف ، فالنساء تقول « سيادتك » ، وتقول واحدة منهن « رجلى » . أما البعض فيقول « سيادته » ، لقد مات هذا الرجل رميًا بالرصاص قريبًا من إحدى الأشجار ..



نجيب محفوظ - ١٩٨٨

*نجيب محفوظ

فى الصفحات السابقة تحدثنا عن الروائيين الذين حصلوا على جائزة نوبل باعتبارهم من خارج إطارنا ، نسعى إلى التعريف بهم للقارئ العربى ، ولكن كاتبنا نجيب محفوظ لا يمكن أن نتناوله بنفس المنظور كأن نقدمه بنفس الأسلوب ، فنجيب محفوظ كاتب من جلدنا ، ولا شك أننا نعرف عن جلودنا أكثر مما نعرف عن الآخرين ، وقد أعقب فوز محفوظ بالجائزة احتفالية ضخمة فى الوطن العربى ، حولت من جائزة نوبل المجهولة تمامًا لدى رجل الشارع المصرى نفسه إلى مناسبة للفرح والسعادة . واكتشف الناس أن الأدب الذى كان قد بدأ ينحسر بشكل واضح ، لظروف اعتقد البعض أنها اجتماعية واقتصادية يمكن أن يحقق لشخص منهم كل هذه الشهرة وايضًا المال ، فقد ترجم الكثيرون جائزة نوبل من خلال المبلغ التى أعلنت الصحف عن حصول نجيب محفوظ عليه من خلال منظور اقتصادى ، فلا شك أن حصول شخص على مثل هذا المبلغ بين ليلة وضحاها ، يعنى أن له أهمية عالمية ، وأن الأدب يمكن أن يربح نقودًا .

أما البعض الآخر فقد راح ينظر إلى نفسه كأن الدور قادم عليه ، فلا شك أن جائزة نوبل التى تجاهلت العرب ثمانية وثمانين عامًا يمكن أن تلتفت قريبًا أو بعيدًا إلى كتاب آخرين .

والذى يهمنا فى هذا المضمار ، هو أن فوز نجيب محفوظ يدخل ضمن إطار إزاحة الستار عن أدب ظل سنوات طويلة مهضوم الحق ، لا يلتفت إليه أحد على المستوى العالمى ، ويمكن أن نقول إن اسم نجيب محفوظ قبل الجائزة كان مغمورًا شأنه شأن أغلب الأدباء الذين فازوا بالجائزة فى نفس العقد ، ومنهم بالطبع كانيتى وسيفرت وكلود سيمون ومن بعده ثيلا .. وقد اعترف نجيب محفوظ بذلك فى الخطبة التى ألقيت نيابة عنه فى الاحتفال التقليدى الذى أقيم فى استكهولم فى العاشر من ديسمبر ١٩٨٨ :

« سادتي .. أخبرنى مندوب جريدة أجنبية فى القاهرة بأن فى لحظة إعلان اسمي مقرونًا بالجائزة ساد الصمت ، وتساءل كثيرون عمن أكون ، فاسمحوا لى أن أقدم لكم نفسى بالموضوعية التى تتيحها الطبيعة البشرية ، أنا ابن حضارتين تزوجتا فى عصر من عصور التاريخ زواجا موفقًا ، أولاهما عمرها سبعة آلاف سنة وهى الحضارة الفرعونية ، وثانيتهما عمرها ألف وأربعمائة سنة وهى الحضارة الإسلامية .

« قدر لى يا سادة أن أولد فى حضن هاتين الحضارتين ، وأن أرضع لبنهما ، وأتغذى على آدابهما وفنونهما ، ثم أرتويت من رحيق ثقافتكم الثرية الفاتنة ، ومن وحى ذلك كله – بالإضافة إلى شجونى الخاصة – بدت عنى كلمات أسعدها الحظ باستحقاق تقدير أكاديميتكم الموقرة ، فتوجت اجتهادى بجائزة نوبل الكبرى ، فالشكر أقدمه لهم باسمى وباسم البناة العظام من مؤسسى الحضارتين » .

وتقول مجلة صوت اسكندنافيا (أبريل ١٩٨٩) إن الكثيرين قد فوجئوا عند إعلان بعض أسماء الفائزين بجائزة نوبل للآداب تحديدًا ، ولا غرابة إذ أن فوجئ الكثيرون حين أعلن اسم نجيب محفوظ فائزًا ، بالرغم من صدور رواية « زقاق المدق » بالسويدية فى مطلع الثمانينات و« ثرثرة فوق النيل » عام ١٩٨٧ إضافة إلى الإعلان عن صدور ترجمات «ميرامار» و «حضرة المحترم» بقى اسمه غير معروف ، إلا من قلة من المتخصصين بشؤون العالم العربى من كتاب وصحفيين ومثقفين من الأوساط الجامعية .

ونجيب محفوظ المولود فى حى الجمالية فى ١١ ديسمبر ١٩١١ ، هو روائى فى المقام الأول ، وإلى جانب الرواية كتب مجموعات قصصية وبعض المسرحيات القصيرة ، ولكن شهرته العالمية قامت على رواياته ، كما كتب السيناريو السينمائى ، وقد بدأت علاقته بالكتابة وهو فى المدرسة الثانوية ، ولكنه لم يتمكن من نشر روايته الأولى « عبث الأقدار » إلا فى عام ١٩٣٤ فى « المجلة الجديدة » التى كان يرأس تحريرها سلامة موسى ، والذى منحه عددًا من النسخ مكافأة له بدلاً من النقود .

ومن المعروف أن محفوظ قد مر بأربعة مراحل إبداعية أساسية ، الأولى حين أصدر رواياته الأولى عن تاريخ مصر القديم وهى « عبث الأقدار » ١٩٣٩ ، ثم « رادوبيس » ١٩٤٣ ، و« كفاح طيبة » ثم راح يكتب عن الطبقات الشعبية التى ينتمى إليها ويعيش فيما بينها فى روايات حمل أغلبها أسماء أماكن فى أحياء مصر القديمة مثل « خان الخليلى » ١٩٤٥ و« زقاق المدق » ١٩٤٧ ، والثلاثية : « بين القصرين » ١٩٥٦ ، « قصر الشوق » ١٩٥٧ و« السكرية » ١٩٥٧ ، أما بقية الروايات المنشورة فى تلك المرحلة فهى ايضًا تدور فى نفس الأجواء مثل « القاهرة الجديدة » ١٩٤٦ ، و« بداية ونهاية » .

ويعتبر البعض أن « أولاد حارتنا » حالة إبداعية منفصلة من إبداع الكاتب ، تجمع بين الواقعية المباشرة والرؤية الفلسفية ، ثم جاءت مرحلة جديدة بدأت برواية « اللص والكلاب » عام ١٩٦١ ، وظهرت فيها روايات مثل « السمان والخريف » ١٩٦٢ ، و« الطريق »١٩٦٤ ، و« الشحاذ » ١٩٦٥ ، ثم « ثرثرة فوق النيل » ١٩٦٦ ، و« ميرامار » ١٩٦٧ ، و « المرايا » ١٩٧١ ، وفى هاتين الروايتين الأخيرتين بدا مدى اهتمام نجيب محفوظ بالشكل الروائى وأنه يجدد عمله ، وفى الأعمال التالية بدا مدى اهتمام الكاتب الكبير بإضافة الكثير من الصباغات الروائية الجديدة ، وخاصة فى « ملحمة الحرافيش » عام ١٩٧٧ التى تعتبر بمثابة إعادة صياغة متطورة للغاية من روايته « أولاد حارتنا » ، ثم تنوعت أشكال الإبداع التى قدمها محفوظ فى رواياته التالية لدرجة جعلت صياغة كل رواية تختلف تمامًا عن الأخرى ، بدا هذا فى « أمام العرش » و« رحلة ابن فطومة » و« صباح الورد » و« قشتمر » .

وحسب مجلة « اليوم السابع » – ٢٤ أكتوبر ١٩٨٨ – فإنه حتى منتصف الثمانينات ، كان بوسع الناظر فى مجمل إنتاجه أن يميز قسمين كبيرين : فى الأول فيهما يحاول تسجيل أحداث معاصرة وإبداء الرأى فيها ، وإن تنازل فى سبيل ذلك عن كثير مما يعرفه عن أحكام البناء وحبك التتابع وكتابة الصور شاعرية اللغة فى « عصر الحب » و« الباقى من الزمن ساعة » و« أمام العرش »

و« يوم قتل الزعيم »)، وهو فى القسم الثانى يصرف إحدى عينيه عن الواقع ليفتحها على عمل من أعمال التراث، ويروح يصب النبيذ القديم فى الأقداح الجديدة، تلك التى وضعت على عينه الأخرى، التابعة لتفاصيل الواقع وتحولاته (« ليالى ألف ليلة و« رحلة ابن فطومة » بوجه خاص).

« إن صياغة مختصرة لمجمل إبداعه حتى منتصف الثمانينات، يمكنك القول أنه ظل قادرًا على أن يأخذ عمله مأخذ الجد الكامل، ومن ثم وجب أن نأخذه نحن كذلك. يعنيه أول ما يعنيه سرعة التعبير عن هذا الواقع بوتيرة تقارب وتيرة تغيره وتحوله ».

ويتحدث محفوظ عن أبداع الكاتب - كما كتب د. غالى شكرى فى مجلة أنباء الأسبوع « قائلاً »: كلما كبر الإنسان يصبح الاختيار أصعب، فى الشباب لا تتأنى لأن العمر أمامنا، أما الآن فندقق فى الاختيار، والمسألة ليست كامنة فى شخصيات بعينها، وإنما فى ما تضمره هذه الشخصيات من دلالات، هل تناسب التجربة والإحساس والرؤية؟ هذا هو المعيار، فالكاتب يقابل أصنافًا لا حصر لها من البشر، عالما يبدو من الصعاليك، والصعلكة ليست طبقة اجتماعية، فقد تجد مثقفًا صعلوكًا وجاهلاً صعلوكًا، وقد تجد الفقير والغنى من الصعاليك، المومس وليس القواد، الحشاش وليس تاجر الحشيش، السجين السياسى وليس الجلاد، المتقاعد وليس المدير العام، الفتوة وليس الجبان، المهزوم وليس الوصولى .. إلى آخر هؤلاء الحرافيش أو الصعاليك كما تشاء ».

لاشك أن إيجابية حصول نجيب محفوظ على جائزة نوبل للآداب ذات بعدين. فمن ناحية تلقى الأكاديمية السويدية الضوء على أدب هام ومثير، لترفعه إلى مستوى الاهتمام الدولى، ومن ناحية ثانية فإن هذا الاختيار اعتراف بثقافة عريقة لا يعرف عنها معظم الغربيين إلا القليل.

كما جاء فى مجلة « صوت اسكندنافيا » السابق الإشارة إليها فإنه « لا نقاش فى أن محفوظ يتمتع بمنزلة مركزية فى الأدب العربى فى القرن العشرين، فهو

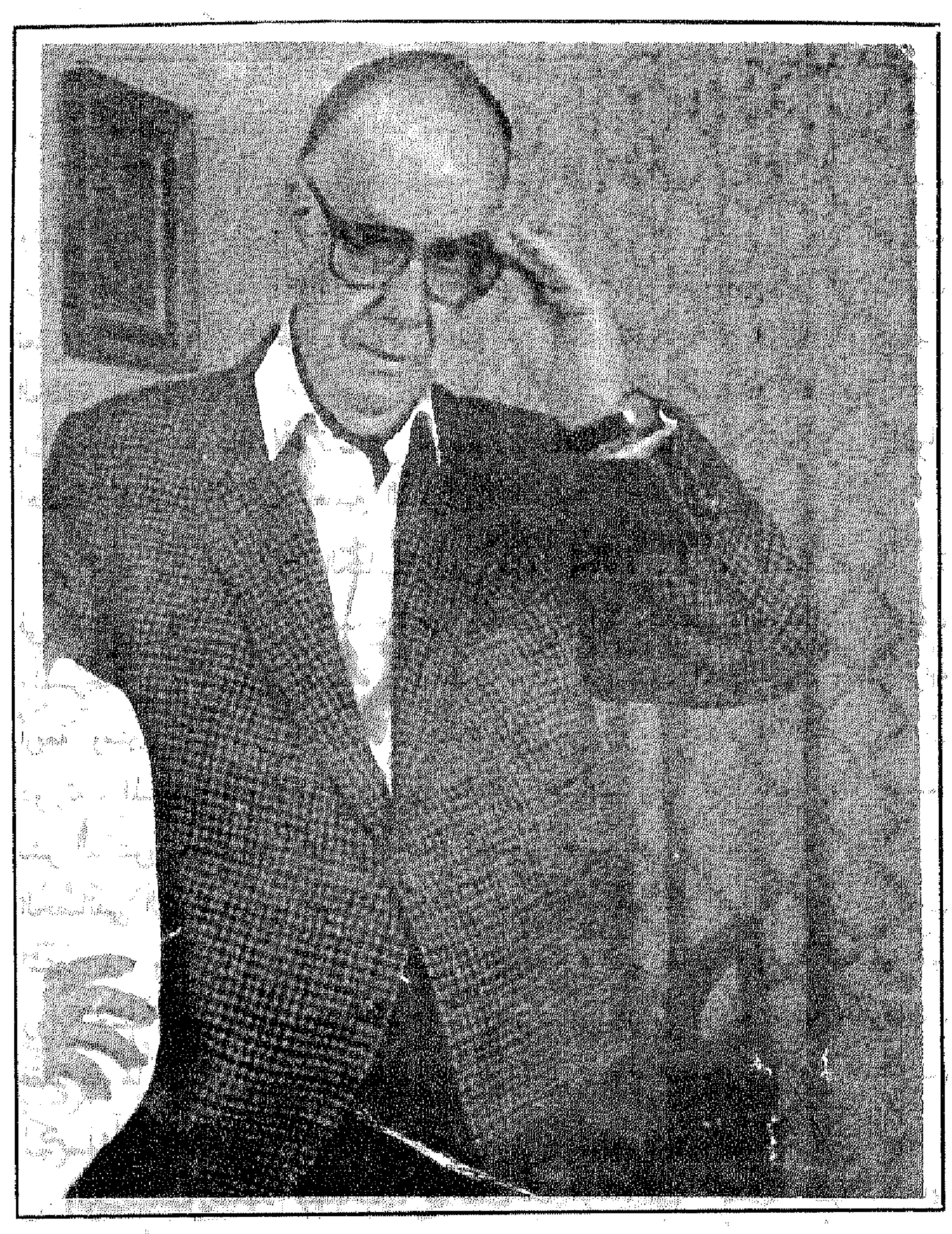
يعتبر الروائى العربى الأول على مر العصور ، ولكنه بالرغم من ذلك يبقى غير معروف بعيدًا عن العالم العربى بشكل ملفت للنظر ، فلم تترجم من مؤلفاته إلى اللغات الأوربية إلا القليل القليل . رغم أن كتب محفوظ لا تقتصر فى كونها دليلاً تاريخيًا اجتماعيًا عن مصر ، بل إنها تشكل مدخلاً هامًا إلى كنوز الثقافة العربية العريقة .

وإذا كانت هذه الآراء قد كتبت عن نجيب محفوظ عقب فوزه بجائزة نوبل ، فإن الأيام قد أكدت أن نوبل قد فعلت سحرها المطلوب ، حيث بدأت ترجمة رواياته بشكل أكثر اتساعًا وشمولاً إلى لغات أوربية عديدة ، فمن المعروف أن القارئ الغربى يهتم بأن يطالع الآداب التى تحصل على جوائز أدبية ، ومثلما حدث مع ماركيث حين كان فوزه سببًا للإطلاع على أدب أمريكا اللاتينية ، فإن دور النشر العالمية قد بدأت بنجيب محفوظ ، حيث كتب عنه أندريه فالته فى جريدة لوموند - أول نوفمبر ١٩٩١ - إنه حكاء معجزة جعل من أحياء القاهرة الشعبية أماكن عالمية . وأسطورة خالدة .

« إنه يعرف الغرائز جيدًا ، دون أن يحاول تضخيم الأشياء ، ويكشف مرآة السنين عبر الأحداث ، والأحلام ، والرومانسية ، والصراعات ، والمنقاشات اليومية ، يعرف كيف يعقد القصص البطولية ، ويرى الايماءات المقدمة .

وفى نفس المقال يقول الكاتب إن حى الجمالية فى القاهرة أصبح إطارًا محددًا لأعمال نجيب محفوظ وصنع من طبوغرافيته مادة روائية رائعة ، وجعله مزحوما بالبشر .

ونحن لن نقدم قصص محفوظ مثلما فعلنا فى قصص أدباء آخرين مجهولين بالنسبة لنا ، ولذا فإننا نترك للقارئ فرصة قراءة أعمال نجيب محفوظ فى نصوصها الأصلية ، وايضًا العودة إلى الكتب والمراجع الكثيرة التى كتبت عن كاتبنا الكبير طوال السنوات الأخيرة .



كاميلو خوسيه ثيلا – ١٩٨٩

تطلع الناس فى بلادنا عام ١٩٨٩ إلى اسم الكاتب الذى فاز بالجائزة باحثين عن إجابة للسؤال المطروح ، وماذا بعد نجيب محفوظ ؟ وكانت الإجابة صدمة . ليس لأن الكاتب الأسبانى رئيسًا لجمعية الصداقة الإسرائيلية الأسبانية فى مدريد ، وليس أيضًا لأنه كاتب مجهول ، ولكن لأنه أقصر قامة بكثير ، على المستوى الأدبى ، من نجيب محفوظ ، وعندما نشير هنا بكلمة « مجهول » فإننا بذلك تعنى على المستوى العالمى ، فشهرة نجيب محفوظ تطبق آفاق العالم العربى قبل الجائزة .. كما أن ثيلا معروف جيدًا فى بلاده .. لكنه لم يكن مقروءًا إلا فى إطار ضيق فى الدول الأوربية التى تحوطه ، وخاصة فرنسا ، باعتبارها أكثر الدول اهتمامًا بترجمة الآداب العالمية الأخرى .

وكاميلو ثيلا من أكثر الكتاب الذين فازوا بجائزة نوبل فى الثمانينات غزارة فى الانتاج ، كما أنه متنوع الإبداع ، فهو يكتب الرواية والشعر والدراسات الأدبية ، والمسرحية ، والقصص القصيرة ، كما كتب الكثير من أدب الرحلات ، ونشر قرابة أربعة وستين كتابًا ، ومع ذلك نال جائزة نوبل عن روايته الأولى « عائلة باسكوال دوارته » المنشورة عام ١٩٤٢ ، والتى جاء فى حيثيات فوزه عنها بالجائزة ، حسبما نشر الدكتور حامد أبو أحمد فى مجلة المصور عقب فوز الكاتب بالجائزة : « إن الخصائص التى يتميز بها الموقف الإبداعى عند ثيلا متضمنة كلها فى الكتاب الذى اشتهر به ، وهو رواية « عائلة باسكوال دوارته » ، التى تقول عنها الأكاديمية إنها رواية خشنة ، فظيعة فى بعض المشاهد ، وبالرغم من فرض الرقابة عليها وتحريمها ، فقد كان لها صدى غير مسبوق ، لدرجة أنها تعتبر ، بعد الكيخوته (دون كيشوت) أكثر رواية مقروءة فى الأدب الأسبانى » .

وثيلا كاتب متعدد الثقافات ، فلاشك أن مولده فى الحادى عشر من مايو عام ١٩١٦ ، فى قرية أيريا فلافيا بشمال أسبانيا من أب أسبانى وأم إنجليزية قد أعطياه تنوعا ثقافيا ملحوظًا ، ويقول د . حامد أبو أحمد فى سيرة حياة الكاتب : « وعندما كان عمره تسع سنوات انتقلت الأسرة إلى مدريد ، ومنذ أن كان

صغيرًا كانت ثقته بنفسه تسبب له الكثير من المشاكل ، ولهذا طرد من أربع مدارس ، ولكن أسرته كانت تشجعه ، وتساعده فى أن يمضى إلى الأمام ، وعندما حصل على الثانوية التحق بكلية الطب فى جامعة مدريد (كومبلنسى) ولكنه قطع دراسته بهذه الكلية عندما وجد ميلاً إلى الأدب ، وكانت الحرب الأهلية الأسبانية قد بدأت عام ١٩٣٩ ، فانقطع عن الدراسة طوال فترة الحرب » .

بدأ ثيلا حياته الأدبية بروايته الأولى « عائلة باسكوال دوراته » وذلك إبان الحرب الأهلية الأسبانية ، وأيضًا إبان الحرب العالمية الثانية ، ويقول الناقد خوان كويتو إن هذه الرواية قد شكلت لأبناء جيله رؤية غريبة ، فهى بمثابة ترجمة أسبانية لأعمال الفيلسوف الألمانى فردريك نيتشه ، بدت هذه الرواية أقرب إلى سيرتنا الذاتية نحن أبناء هذا الجيل » ، وقد أجمع النقاد أن هذه الرواية بمثابة حدث ثورى فى الأدب الأسبانى المعاصر ، فى عصر ملىء بالروحية ، وكما يقول الناقد كويتو : إنها المرة الأولى بعد الحرب التى نرى فيها رواية تحكى مثل هذه الأشياء . تقطع كل صلة بما هو قديم وذو وتيرة واحدة ، إنها حدث أدبى أخذ فى الحسبان كل التجارب والثقافات الإنسانية خاصة الأوربية فى عصر كل من البير كامى واندرية جيد » .

كان ثيلا فى تلك الآونة قد التحقق بكلية الحقوق بعد أن ترك كلية الطب ، وبعد نجاح روايته الأولى نشر رواية أخرى تحمل عنوان « خيمة الراحة » فى العام التالى ، والتى يقول الناقد الفرنسى رفائيل سوين فى مجلة الأكسبريس (١٠ نوفمبر ١٩٨٩) ، إن الكاتب إستلهمها من رواية « الجبل السحرى » لتوماس من وهى رواية تدور أحداثها فى مصحة علاجية ، ويعتبر النقاد أن روايته « خلية النحل » هى درة أخرى له ، وقد نشرت عام ١٩٥٢ .. ومنعت من الرقيب لأكثر من عشر سنوات ، وقد تحولت فى عام ١٩٧٩ إلى فيلم سينمائى أخرجه ماريو كاميس ، وهى تصف مدينة مدريد فى عام ١٩٤٢ ، حول مجموعة من الأشخاص يترددون على مقهى تحمل اسم « اللذيذة » ، وهذه المقهى مأوى للعديد من الناس الذين يأتون بحثا عن الدفء من البرد ، أو الهاربين من الوحدة ، ومن همومهم الاجتماعية ، وفى هذا المكان الذى يردونه كخلية نحل يتحول إلى ملجأ

للأحلام ، البعض من الجالسين هناك سعداء ، والبعض الآخر حزانى ويحملون همومهم ، لاشك أن المقهى هذه بمثابة الوطن المليء بالتناقضات ، والبيت الواحد الذى يؤمه ساكنوه ، وأبطال الرواية يصل عددهم إلى ستين شخصية بعضهم بالطبع يحمل افكارًا مناقضة للبعض الآخر ، ولاشك أن مثل هذه الشخصيات تحتاج لمتابعتها مفتاحًا خاصًا وضعه ثيلا فى مقدمة الطبعة الثانية من الرواية لفهم كل شخصية .

أما أشهر روايات الكاتب الأخرى فهناك : « السيد كلادويل يتحدث مع ابنه » ، و« لاكاتيرا » ١٩٥٥ ، ثم « سان كاميلو ١٩٣٦ » عام ١٩٦٩ ، و« مكتب الظلمات » ١٩٧٣ ، ثم « كريستوا ريزونا » عام ١٩٨٨ ، أما دواوينه الشعرية فهناك : « أغنيات القرية » عام ١٩٤٨ ، ثم « الدير والكلمة » عام ١٩٥٤ ، وفى الرحلات نشر مجموعة كبيرة من الكتب من أبرزها « رحلة إلى القرية » عام ١٩٤٨ ، و« الرحلة الأندلسية الأولى » ١٩٥٩ ، و « رحلة إلى الولايات المتحدة الأمريكية » عام ١٩٦٧ ، ومن أشهر مجموعاته القصصية : « هذه السحب التى تمضى » عام ١٩٤٥ ، و« قائمة اكتشافات » ١٩٥٣ و« قصص تقرأ بعد دخول الحمام » عام ١٩٧٤ ، كما دون مذكراته فى كتب من أشهرها « الأصدقاء القدامى » عام ١٩٦١ .

وعن روايته « عائلة باسكوال دوارته » ، يهمنا أن نقتطف ماكتبه د . أبو أحمد فى مجلة المصور : « تتحول الرواية منذ الجريمة الأولى التى إرتكبها باسكوال دوراته إلى مأساة (تراجيديا) حقيقة ، مأساة أخرى ، ونجد الكاتب فى هذه الرواية أيضًا يكسر النسق التقليدى للفن الروائى ، ولا نجد أنفسنا أمام نص واحد ، وإنما نحن أمام سلسلة من النصوص تصل بنا إلى خاتمة محددة فى كل كتابات ثيلا ، وهى ضرورة خلق تحولات للقضاء على الطابع الدوجما طيقى (القاعدى الصارم) ، الذى ألقى على تاريخ أسبانيا ظلالاً قوية من العنف واللا تسامح ، ولهذا فإن ثيلا يعتبر من الكتاب الأوربيين ذوى الاتجاهات الراديكالية ، الذين يعبرون فى كتاباتهم عن رؤية راديكالية وأخلاق راديكالية أيضًا .

وباسكوال دوراته هذا مجرم رغم أنفه ، ومع ذلك فهو يعيش مجموعة من الجرائم ، لدرجة تصل به أن يقتل أمه ، والرواية مكتوبة بشكل قابض للنفس ، والعبارات فيها قاتمة اللون ، خانقة تعكس ما بنفس باسكوال ، وقد نجحت هذه الرواية أن تصنع جيلاً من الشباب ، أطلقوا على أنفسهم اسم هذا الإنسان الضائع ، مما دفع الناقد خوان كويتو أن يكتب فى جريدة ليبراسيون (٢٠ أكتوبر ١٩٨٩) قائلاً : « فى وسط سنوات الخمسينات بدأنا نحن ابناء باسكوال دوراته فى التعرف على ابينا – يقصد ثيلا – وكنت مشغوفًا بشكل خاص بهذا الرجل رغم كل التضادات التى جاءت فى روايته « خلية النحل » ، رغم تجاهل الصحافة الأدبية له ، لقد كان يحمل فوق ظهره ظل الخطيئة التى يرتكبها أعضاء الأكاديمية الأسبانية ، فقد كان هناك شيء ما عليه أن يحدث .

« فى تلك الأيام كان علينا أن نفتش فى اللغة ، وأن نكافح سيرًا على الأقدام ضد الرقيب ، والسياسة من أجل المجتمع والأدب ، ضد مجتمع اعتاد أن يدير ظهره للفنون الأصيلة ، وبدءا من سنوات الستينات ، أصبحنا شاهدًا على وسوسة حقيقية للغة أكثر عمقا ترغب فى التمرد التعبيرى وأن تجدد روح النص » .

وعن روايته « مكتب الظلمات » كتب ثيلا فى المقدمة : إنها قطعة من شغاف قلبى » ، وهى رواية فيها الكثير من التعبيرات الحسية الجريئة ، وبطل الرواية رجل عدمى ومتشائم ، يقترب من الموت ويعيش فى قذارة ، « نحن نولد من المخلفات الآدمية والبول » ، ويردد فى مكان آخر فى شكل أبيات شعرية :

لا أرغب الحياة ولا الموت ، ولا السلام ولا الحرب ، ولا أعيش ولن أعيش من أجل جهلى ، لن أموت أكثر مما أنا ميت .

ويقول الناقد جاك تبيول فى جريدة « كانزان ليترير » : « اننا أمام رواية تمزج بين التاريخ اليونانى ، وتاريخ القديسيين الكاثوليك ، والفلسفة الشرقية ، والغربية ، والأساطير المعاصرة ، هنا تنخر الأشياء فى العظام فينزعها الألم الممزوج بالمتعة ويتولد الواقع العبثى للموت » .

ظلت نادين جورديمر تنتظر لأكثر من عشر سنوات حتى قفز اسمها إلى الفائزين بجائزة نوبل ، حيث ظهر اسمها كمرشحة فى قوائم النوبليين فى عام ١٩٧٩ لأول مرة ، وظل الاسم يتأرجح فى السنوات التالية فى القائمة دون أن يختفى ، ولذا فعندما حصلت على الجائزة لم يكن الأمر مستغربًا بالمرة ، وكل ما يمكن أن يفعله المرء حين سمع اسمها هو أن أطلق تنهيدة عميقة تعنى : « أخيرًا نادين جورديمر » .

هل حصلت نادين جورديمر على جائزة نوبل ككاتبة ذات مواقف سياسية ، أم على إبداعها بشكل عام ، لاشك أننا أمام كاتبة كرست من حياتها أكثر من ثلاثين عامًا للدفاع عن قضايا زنوج جنوب أفريقيا ، وظلت تعانى طويلاً كامرأة بيضاء من أسرة ثرية كما يحدث فى بلادها ، وخاصة فى المزرعة الضخمة التى تمتلكها أسرتها قريبًا من جوهانسبرج ، نحن أمام كاتبة بارزة فى جنوب أفريقيا من الأفريكانيين ، والأفريكانيون هم البيض فى جنوب القارة ، وذلك تمييزا لهم عن الزنوج أو الملونين ، وفى جنوب أفريقيا توجد مجموعة من الأدباء البيض حملوا مصائرهم فوق أعناقهم ، وراحوا يكتبون لمناهضة التفرقة العنصرية التى هى فى الأساس مكسبًا لهم ، ومن هؤلاء الأدباء هناك أندرية برينك ، وجيرمى كورتين وبريتن برتنباخ ، وج . م . كوتيزى ، ود . م . فيلونكه . وفيما قبل كانت هناك البريطانية دوريس ليسنج التى عاشت هناك بين عامى ١٩٢٤ و١٩٤٩ وكتبت أكثر من رواية لمناصرة قضايا الملونين .

ونادين جورديمر من مواليد مدينة سبرنجر عام ١٩٢٣ ، وهى سليلة إحدى الأسر الهولندية الثرية التى جاءت إلى جنوب افريقيا فى القرن الثامن عشر ، وقد لاصق الثراء الأسرة حتى الآن ، فهى تمتلك المزارع ، ومناجم الذهب ، ويعمل لديها الكثير من العمال الزنوج ، وكان يمكن لفتاة حسناء ، وثرية أن تعيش فى الرغد الذى توفره لها أسرتها لكنها كما تقول : لعن الله قلب الكاتب فهو دائم



نادين جورديمر - ١٩٩١

البحث عن الحق ، « فهذه الحياة الثرية بدت لها مزيفة ، فكيف يمكنها أن تنام فوق فراش وثير ، وتأكل أشهى الأطعمة بينما الآخرون محرومون من أقل أسباب الحياة ، لذا فمنذ طفولتها راحت تتطلع إلى التناقض البين بين ما يدور داخل جدران منزلها الفخم ، والحياة البائسة التى يحياها هؤلاء الزنوج ، لذا فبدلا من أن تصادق ابناء جنسها من البيض الذين يرفلون فى أفخم الثياب ، نزلت إلى الفلاحين الفقراء تعيش معهم ، وتلبس من ملابسهم ، وتأكل مثلما يأكلون وتكرس نفسها وحياتها من أجلهم .

وبمتابعة قوانين الفصل العنصرى فى جنوب أفريقيا لابد أن ندرك مدى ما تعرضت له من اضطهاد ، ففى جنوب أفريقيا ، وحسب إحصاءات عام ١٩٨٦ ، فإن سكان جنوب افريقيا يبلغون ٢٨,٤ مليون نسمة منهم ١٩,٦٦ مليون من السود و٦,٨٩ من البيض و٤,٩ من الملونين .

تقول نادين جورديمر : لم أع مسألة السود سوى وأنا فى سن المراهقة ،فقد كنت طفلة ، ولم أكن أرى الأمر غريبًا ، كانت لدينا مربية سوداء ، وكنا نحبها جميعًا ، كنا لطفاء مع الغرباء ، ولكن أمى كانت تحترم المسافات بيننا ، فلكل واحد مكانه ، ومع ذلك لم تكن تعلق بشىء عندما ترانى أتناول قدحًا من الشاى معهم ، وهكذا تربيت فى الابارتهايد وفى المدرسة والأتوبيس والمكتبة ، الخ ، ثم بدأت فى التطلع حولى ، أرى الأشياء مختلفة ، هذه المناجم حيث الناس يعملون ، هذه السبائك الذهبية التى أصبحت أكثر شىء هام فوق الأرض الآن ، وهؤلاء الزنوج الذين يأتون من كل أنحاء افريقيا ليعملوا فى المناجم . خاصة ابناء الزولو ، الذين كان نصيبهم الخوف من النزول تحت الأرض ، كنت أذهب لرؤية الناس فى زى الرحيل ، أراهم « أجانب » إلى أن فهمت ذات يوم ماذا يعنى أجنبى .

وقد أدركت الصغيرة أن عليها ألا تخالط السود ، وأن على الزنوج أن يعيشوا فى معازل بعيدًا عن البيض ، وألا يدخلوا حدائقهم أو متنزهاتهم أو مدارسهم أو حتى نفس المحلات التى يشترون منها ، ورغم أن نادين أحست أن عليها أن

تدافع عن الزنوج ، فإنها لم تبدأ حياتها الأدبية إلا وهى فى الخامسة والثلاثين من عمرها ، وحتى الآن وبعد قرابة ثلاثة وثلاثين عاما ، فإنها لم تقدم سوى تسع روايات وسبع مجموعات قصصية ومئات المقالات التى نشرتها فى الصحف دفاعًا عن قضايا السود ، ومن أهم رواياتها « عالم الغرباء » عام ١٩٥٨ ، و« شعب جولاى » عام ١٩٧٩ ، و« صاحب الحيازة » التى حصلت على جائزة بووكر عام ١٩٧٤ ثم « ابنة بيرجر » عام ١٩٨١ ، و« رسالة لابنى » عام ١٩٩٠ .

وقد حصلت نادين جورديمر على العديد من الجوائز الأدبية منها جائزة سميث التى تمنحها دول الكومنولث ، وجائزة برنجل التى حصلت عليها عام ١٩٦٩ .

وتجيء أهمية الكاتبة أنها كرست قلمها من أجل الدفاع عن الزنوج ، مؤمنة أن عليها أن تعمل على تحرير ٢٥ مليونًا من الزنوج فى جنوب أفريقيا ، فهى ترى أن الأثرياء حولها ليسوا سوى البيض ، بينما ممنوع على الزنجى أن يمارس ما يفعله البشر خارج حدود البلاد ، فعلية أن يترك منزله لفترة طويلة كى يعمل فى خدمة الأبيض ، فى المناجم والمزارع ، « كنا نرى الرجال فى الحوانيت ، فيبدون لنا كالأجانب ، وهم يضعون سوارات حول سيقانهم ، مثلما يفعل البيض مع الكلاب ، أما الصغار فليس عليهم أن يطرحوا الأسئلة على آبائهم ، ولكننى فيما بعد أدركت أن البيض هم الأجانب ، ون هذه ليست أرضهم » .

وقد وصل الأمر بالكاتبة أن تبرعت بقيمة جائزة نوبل (٣٩٠ ألف دولار) من أجل السود ، وكأنها بذلك تؤكد أن قلبها وقلمها لم يكونا فقط مع الزنوج ، بل ايضا وجدانها . وأهم حدث فى حياتها .

ومن المهم الإشارة إلى أن هناك أبعادًا سياسية واضحة واجتماعية لفوز الكاتبة ، ورغم ذلك فإن نادين جورديمر لم تمارس السياسة بشكل مباشر ، وإن كانت أحداث رواياتها مليئة برجال السياسة والمناهضين لنظام التفرقة العنصرية ، لذا كم حاولت أن تنقلب على بنود قوانين المطبوعات فى جنوب أفريقيا بأن تبتعد وتقترب من السياسة والممنوعات بدرجة تجعل إبداعها يصل إلى الناس ،

أما محاضراتها ومقالاتها فكانت أشد سخونة ، فهى ترى فى هذه المحاضرات أن السلطات السياسية تعانى من تناقضات ، فهى قد تسمح بنشر رواية ، وبعد ساعات من صدورها فى الأسواق تروح تصادر النسخ ثم تعتقل الكاتب ، وتصدر أمرًا بأن يلزم بيته عددًا من السنين ، وترى نادين جورديمر أن تعسف السلطات والقوانين كان من مصلحة الكاتب والكتاب ، فما إن يصدر كتاب جديد حتى ينفد فى ساعات ولا تستطيع السلطات أن تفعل شيئًا إزاء هذا الأمر .

ومن المعروف أن هناك سبلاً عديدة لنقل الكتب الممنوعة وتداولها بين الأيدى وقد تسربت أعمال الكاتبة ، وأقرانها ، إلى خارج البلاد وسرعان ما ترجمت إلى لغات عديدة .

فى أعمال نادين جورديمر هناك غالبًا امرأة تمر بمرحلة تحول ، فهى فى البداية تبدو أقل وعيًا ، أو أكثر سلبية لما يحدث حولها ، وما تلبث أن تتغير فتصبح ثورية متمردة ، تعى ما يحدث عن غبن فى هذا العالم ، فتصبح واحدة منه ، ومثل هذه المرأة موجودة فى رواية « عالم الغرباء » وتدعى أنا للووف ، وهى روزا بيرجر فى رواية « ابنة بيرجر » . ثم مورين سمالز فى رواية « شعب جولاى »، وفى كل امرأة من هؤلاء النساء جزء ، إن لم يكن كل ، من نادين جورديمر .

ومن الأهمية أن تكون المرأة بيضاء ، لأنه من الطبيعى فى ظل الظروف الاجتماعية أن يدافع الزنجى عن حقه ضد الأبيض ، أما الذى يسترعى الانتباه فهو أن يتحول البيض لمناصرة السود ، فآنا لووف فى « عالم الغرباء » تعيش فى مجتمع مغلق ، حتى إذا فتحت عينيها ذات يوم على ما يدور حولها فوجئت أن هناك ظلمًا بينا لم تكن تدرى عنه شيئًا بالمرة ، لذا فهى تقرر الرحيل إلى حدود البلاد كى تعيش هناك على هامش هذا الظلم الاجتماعى المتمثل فى قوانين التعسف العنصرية التى تبدو أشد ما يكون فى المدن الكبرى مثل جوهانسبرج .

لقد اختارت المرأة أن تذهب إلى منطقة نائية ، قاسية ، يعانى سكانها من شظف العيش ، ففى المدينة التى جاءت منها كان هم أغلب النساء من حولها

هو الحديث عن المساحيق والأزياء الجديدة والعطور التى سرعان ما تتبخر فى الجو ، والثرثرة الجوفاء . كان هذا الجو الثرى يبدو لامعًا وبراقًا للكثيرات من النساء . لكن « آنا » سرعان ما تكتشف زيفه ومدى ما يتسم به من هشاشة ، فهو أجوف لا أصالة فيه .

لذا اختارت « آنا » أن تنفى نفسها فى مكان بعيد بشكل اختيارى ، وهناك قريبًا من الحدود تلتقى برجل أبيض مثلها ، جاء أيضا من جوهانسبرج لمعرفة أسرار هذا المكان ، إنه يدعى « طولبى » ، وفى السادسة والعشرين من عمره ، جاء من قبل دار النشر التى يعمل بها ليعرف المزيد ، إنه إنسان اقرب إلى أورفيوس ، ما يجد أرضًا يهبط عليها ويستريح فوق أديمها ، ولذا فسرعان ما يجد ضالته فى « آنا » ، ويتعرف الاثنان على رجل أسود يدعى ستيفن سيتوليه جاء إلى هذا المكان لأنه لا يجد لنفسه المأوى المناسب ، ورغم ما يتسم به من ذكاء وحيوية ، إلا أنه يبدو غريبًا بهذه الملابس البالية التى يرتديها والتى لا تتناسب مع توقده .

وسرعان ما يتحول الرجل والمرأة ، يقول طولبى للفتاة انه جاء من مدينة واسعة يهتم فيها الرجال بحضور مباريات الجولف فى ملابسهم الأنيقة ، ولا يعرفون المعاناة التى يعيشها شخص مثل ستيفن ، ترك اسرته ، وجاء إلى الحدود بحثًا عما يقتاته ويرسل جزءا مما يكسبه إلى أبنائه ، ولكن هذا الفتات الذى يحصل عليه لا يجيء بسهولة فثمنه دائمًا هو الهوان .

يتلذذ الاثنان بمراقبة الرجل ، ويتعلمان منه الكثير ، ويتحدث أحدهما إلى الآخر أن مكانهما ليس الخلاص قريبًا من الحدود ، فهما بذلك أشبه بالنعامة التى تضع رأسها فى الرمال ، لذا يقرر أن العودة إلى جوهانسبرج . يقول لها : الله فى الكنيسة ، والعدالة فى المحكمة ، وكل أشكال الوجود وجدت لها حلاً منطقيًا .

ويعود الاثنان بالفعل إلى « معسكر الملائكة » . إنه المكان الذى يطلقه البيض على المناطق التى يسكنون فيها ، لكن ترى هل الملائكة بيض اللون ؟ وهل هناك ملائكة يتركون بشرًا يعانون من الجوع حولهم بمثل ما يحدث فى جنوب افريقيا ؟

أما رواية « ابنة بيرجر » فإن البطلة هنا هى روزا ، ابنة زعيم سياسى تم القبض عليه وإيداعه السجن وهناك مات ، هى إذن مثل ابنة أى زعيم مات ، قد تنظر لأبيها فى البداية على أساس أنه أب رقيق ، ورحيم ، فكل أب يحب أبناءه بنفس القدر ، وكل ابنة تنظر لأبيها على أساس أنه أفضل الرجال دون الاهتمام بمكانته الاجتماعية أو بدوره السياسى ، وروزا فتاة بيضاء أيضا ، فى عمر الزهور ، مجرد مراهقة صغيرة ، وأبوها جراح كبير يحظى باحترام الجميع ، إى أن السلطات تكتشف أن له دورًا فى مناهضة التفرقة العنصرية ، فهو يعالج الزنوج مجانًا ويناصرهم ، لذا يتم القبض عليه ويتم إيداعه السجن ، وبعد عدة أسابيع يجىء نبأ وفاته .

وبيرجر فى منظور الناس رجل تقدمى يؤمن بالعدالة الاجتماعية ، لذا أعلن حربه ضد التفرقة العنصرية ، وعقب وفاة ليونيل بيرجر فى السجن تجد ابنته نفسها فى موقف لا تحسد عليه ، فهى تختلف كثيرًا عنه ، وتؤمن بافكار غير أفكاره ، فهى تعيش حياة رغدة ، والفتيات مثلها يتحدثن عن أشياء تبدو لها جميلة ، لكن بعد وفاة الأب تتغير الأمور ، فالناس ينظرون إليها على أنها ظل ابيها وأنه يقف أمامها دائمًا مما يفقدها هويتها ، ورغم ذلك فإنها تعلن أنها مختلفة كثيرًا عن أبيها ، فهى لم تكن يومًا مناضلة سياسية ، ولا تحب أن تخرج من عالمها الوردى إلى السياسة ، ولا تنشد البطولة ، فهى ليست مصنوعة من أجلها ، وإذا سألها أحد عن أبيها ومنجزاته تتمتم فى حسرة : وماذا كسب ، لقد مات »

كل ما تحلم به روزا بيرجر ، أن تعيش تجربة عاطفية رقيقة مثل تلك التى عاشها أبوها مع أمها فى أول حياتهما : وسرعان ما تقع روزا فى حب شاب

وسيم ، لكنها تكتشف أنه كان صديقًا لأبيها يؤمن بأفكاره ، وعليها أن تقوم بممارسة اللعبة الحذرة كخطيبة لشاب مناضل ثورى ، مالبثت السلطات أن قبضت عليه وحبسته مثلما فعلت مع الأب ليونيل ، وحثا عن وسيلة للتخلص من هذا التناقض الذى يجثم على صدرها ، تكتب مجموعة من الرسائل لصديقها كونراد تحدثه فيها ، أنها تود أن تكون ، وأن عليها أن تبحث عن حريتها الذاتية بعيدًا عن سيطرة شبح أبيها ، لذا تقرر السفر إلى أوروبا .

وكى تحصل روزا على جواز سفر تقوم بتقديم تعهد بعدم مقابلة أى من الشخصيات السياسية أثناء سفرها ، وفى لندن تلتقى بزميل طفولتها « بعسى » وهو زنجى يناضل ضد التفرقة العنصرية ، ويكافح ضد تعسف السلطات البيضاء ، يحدثها أن آلاف الزنوج ماتوا دفاعًا عن القضية ، ولأنها ابنة الدكتور بيرجر ، فعليها أن تكون « شاهدًا » على أبيها ، يخبرها أنها لا تعرف قيمة ابيها الحقيقية وأنها بهذه السلبية إنما تبخسه حقه وقيمته التى لا يضاهيها شىء سوى الاستمرار فى المناداة بأفكاره ، ويطلب منها أن تكتب كتابًا عن أبيها ، فلا أحد يمكنه أن يفعل ذلك بنفس المستوى الذى يمكنها به ، كما يطلب منها أن تقوم بكتابة قصة حياته لإنتاجها فى فيلم تليفزيونى .

وشيئًا فشيئًا ، تتحول روزا بيرجر إلى امرأة أخرى ، تبدأ فى فهم حقيقة الأشياء ، ولذا فعندما عادت إلى جنوب أفريقيا تكون قد أصبحت شخصية جديدة ، تنظر إلى أبيها نظرة جديدة وتختار أن تصبح بالفعل « ابنة بيرجر » . فتكون امتدادًا له . تستكمل مسيرته . وترى جريدة « كانزان ليترير » ٧ نوفمبر ١٩٨٠ ، إن اختيار اسم روزا مقصود تمامًا ، فإن حياة ابنة بيرجر قريبة من تلك التى عاشتها المفاضلة الألمانية روزا لوكسمبورج .

أما روايتها « شعب جولاى » فتدور حول أسرة بيضاء تتكون من زوجين وثلاث أبناء يهربون من ثورة الزنوج ، ويقودهم فى رحلة الهروب التى تبلغ ٦٠٠ كيلو متر إلى مدينة جولاى ، دليل أسود ، وفى الرحلة يشاهدن فظائع

الثورة ، وفظائع البيض ضد السود من أجل إخماد ثورتهم ، وعندما يصلون إلى جولاى – وتعنى يوليو – لايجدونها قد تغيرت كثيرًا كما كان يزعم البيض بل هى مليئة بمظاهر التفرقة العنصرية .

وهذه الرواية ، تنتمى إلى أدب الخيال السياسى ، فأحداثها تدور فى المستقبل ، حيث تتصور الكاتبة ثورة الزنوج الأخيرة من أجل التحرير ، فالثورة شديدة الاشتعال ، والمدن تحترق ، والمطارات مغلقة ، ولم يعد هناك طريق للهروب والإفلات . الزوجان هما بامورد وموربن سمالز ، هى من أسرة نزحت أيضًا من جوهانسبرج ، أما الدليل الأسود فهو يعمل فى خدمتهم منذ خمسة عشر عامًا ، وفى الرحلة تبدو مدى الحاجة إلى الإقامة فى مسكن ، أو طعام نظيف ومياه نقية ، ولأن جولاى يسكنها بعض من أقاربهم فإنهم اختاروا التوجه إليها ، وعبر الإرهاق وحاجتهم إلى الراحة ، ورغبتهم فى الوصول ، يتحول الخادم إلى سيد الرحلة ، كلمته هى السائدة والنافذة ، ويدور صراع جديد بين الطرفين ، فالأب بامفورد لا يريد أن تنقلب الأمور وتتغير الموازين ، فرغم أن الخادم يقوم بمهمته على أحسن وجه ، مثل إعداد الشاى فى الصباح ، وتجهيز أماكن النوم فى المساء ، إلا أن سلوكه العام يؤكد أنه السيد ، حتى عندما نزل الوفد إلى قرية صغيرة يسكنها الزنوج ، تحس الزوجة مورين أنها لا يمكنها أن تواكب مهارة النساء من الزنوج فى الأعمال اليومية .

وعبر الإذاعة تجىء الأنباء عن انتصار ثورة الزنوج الذين يستولوا على ممتلكات البيض ، وبالطبع فإنهم استولوا على بيتهم فى جوهانسبرج : إنهم يطلقون الرصاص فى الشوارع وأصبح الخطر يحوط أطفالهم ، ومن الضرورى الدفاع عنهم لحمايتهم باسم العدل الذى ينادى به الرجل الأبيض فى مجتمع غير قابل للتصديق .

وهكذا ، يتأكد للأسرة البيضاء أن أمن الرجل الأبيض قد أصبح شيئًا من الماضى ، وأن الثورة قد غيرت وجه الحياة فى جنوب أفريقيا .

تقول نادين جورديمر فى حديث نشرته مجلة « مارى كلير » الفرنسية – مايو ١٩٨٧ – عن الظروف التى يعيشها الكاتب فى مجتمع جنوب أفريقيا : « نحن نعيش فى ظروف أشبه بتلك التى انحسر فيها الاستعمار ، حين كان المفكرون والمؤلفـون يناهضون سياسة حكوماتهم ، ورغم ذلك فإنهم إبان لحظـات الخطر يدافعون عنه ، نحن نحب بلادنا ، لكنها ليست بلادنا وحدنا ، فنحن فيها أقل عددًا » .

وفى نفس المجلة تقول ردًّا على سؤال حول إمكانية الحوار مع السلطة باسلوب آخر غير العنف : إنه موجود هناك منذ زمن طويل ، ولم يتوقف عن التضخم ، لقد بدأ فى عام ١٩٦٠ فى شاربفيل ، وانفجر داخل سويتو عام ١٩٧٦ ، وأصبح أشد قوة منذ عام ١٩٨٤ ، حين أعلن الدستور الجديد ، وعند متابعة هذه التواريخ سنلاحظ جيدًا على من تقع المسئولية الحقيقية للعنف : الحكومة .

هذا هو عالم سبعة من الروائيين الذين فازوا بجائزة نوبل ، وكما رأينا ، فإنهم يمثلون ثقافات مختلفة لكن الموضوع الغالب فى هذه الإبداعات هو الإنسان .



قائمة بأسماء الأدباء الذين فازوا بجائزة نوبل
١٩٠١ - ١٩٩٢

١٩٠١ : **سولى برودوم** – شاعر فرنسى (١٦ مارس ١٨٣٩ –٧ ديسمبر ١٩٠٧) .

١٩٠٢ : **تيودور مومسين** – مؤرخ ألمانى (٣٠ نوفمبر ١٨١٧ –١ نوفمبر ١٩٠٣) عن كتاب « تاريخ روما » .

١٩٠٣ : **بورنست بيرن بجورنسن** – روائى نرويجى (٨ ديسمبر ١٨٣٢ –٢٦ أبريل ١٩١٠) .

١٩٠٤ : **فريدرى ميسترال** – شاعر فرنسى (٨ سبتمبر ١٨٣٠ –٢٤ مارس ١٩١٤) .
خوسيه ايشيجاراى – مسرحى أسبانى (١٩ أبريل ١٨٣٢ – ٤ سبتمبر ١٩١٦) .

١٩٠٥ : **هنريك سينكيفتش** – روائى بولندى (٤ مايو ١٨٤٦ –١٥ نوفمبر ١٩١٦) عن رواية « كوفاديس » .

١٩٠٦ : **جيوسى كاردوتشى** – ناقد إيطالى (٢٧ يوليو ١٨٢٥ –١٦ فبراير ١٩٠٧) .

١٩٠٧ : **روديارد كيبلنج** – روائى بريطانى (٣٠ ديسمبر ١٩٦٥ – ١٨ يناير ١٩٣٦) . عن رواية « الرجل الذى يود أن يكون ملكا » .

١٩٠٨ : **رودلف أيوكين** – فيلسوف ألمانى (٥ يناير ١٩٤٦ –١٥ سبتمبر ١٩٢٦) .

١٩٠٩ : **سلمى لاجيرلوف** – روائية سويدية (٢٠ نوفمبر ١٨٥٦ – ١٦ مارس ١٩٤٠) . عن رواية « مدينة القدس » .

١٩١٠ : **بول هيس** – روائى ألمانى (١٥ مارس ١٨٣٠ –٢ أبريل ١٩١٤) .

١٩١١ : **موريس ميترلنك** – روائى بلجيكى (٢٩ أغسطس ١٨٦٢ – ٦ مايو ١٩٤٩) .

١٩١٢ : **جيرهارت هاويتمان** – روائى ألمانى (١٥ نوفمبر ١٨٦٢ – ٨ يونيه ١٩٤٦) .

١٩١٣ : **ربندرانات طاغور** : شاعر هندى (٦ مايو ١٨٦١ –٧ أغسطس ١٩٤١) .

١٩١٤ : حجبت الجائزة بسبب الحرب العالمية الأولى .

١٩١٥ : **رومان رولان** – روائي فرنسي (٢٦ يناير ١٨٦٦ –٣٠ ديسمبر ١٩٤٤) . عن رواية « جان كريستوف » .

١٩١٦ : **فرزفون هيدينستام** – روائي سويدى (٦ يوليو ١٨٥٩ – ٢٠ مايو ١٩٤٠) .

١٩١٧ : **كارل جيلليرات** – روائي دانماركي (٢ يوليو ١٨٥٧ –١٣ أكتوبر ١٩١٩) .
هنريك بونتوبيدان – روائي دانماركي (٢٤ يوليو ١٨٥٧ – ٢١ أغسطس ١٩٤٣) .

١٩١٨ : حجبت الجائزة بسبب الحرب العالمية الأولى .

١٩١٩ : **كارل سبيتيلر** – روائي سويسرى (٢٤ أبريل ١٨٤٥ –٢٨ ديسمبر ١٩٢٤) عن كتاب « الربيع الأوليمبى » .

١٩٢٠ : **كنوت هامسون** – روائي نرويجي (٤ أغسطس ١٨٥٩ –١٩ فبراير ١٩٥٢) عن رواية « نحو الغربة » .

١٩٢١ : **أنا تول فرانس** : روائي فرنسي (١٦ أبريل ١٨٤٤ –١٣ أكتوبر ١٩٢٤) . عن رواية « الزنبقة الحمراء » .

١٩٢٢ : **خاسنتو بينافنته** – روائي أسباني (١٢ أغسطس ١٨٦٦ – ١٤ يوليو ١٩٥٤) .

١٩٢٣ : **وليام بطلرييتس** – شاعر أيرلندى (١٣ يونيه ١٨٦٥ –٢٨ يناير ١٩٣٩) .

١٩٢٤ : **فادسيلاف ريمونت** – روائي بولندى (٧ مايو ١٨٦٦ –٥ ديسمبر ١٩٢٥) عن رواية « القرويون » .

١٩٢٥ : **جورج برناردشو** – روائي ومسرحي بريطاني (٢٦ يوليو ١٨٥٦ –٢ نوفمبر ١٩٥٠) رفض الجائزة .

١٩٢٦ : **جراتسيا ديليدا** – روائية إيطالية (٢٧ سبتمبر ١٨٧٥ – ١٠ أغسطس ١٩٣٦) . عن رواية « شكل الطبيعة المشرق المتشائم » .

١٩٢٧ : **هنرى برجسون** – فيلسوف فرنسي (١٨ أكتوبر ١٨٥٩ –٤ يناير ١٩٤١) .

١٩٢٨ : **سيجريد أنسست** – روائية نرويجية (٢ مايو ١٨٨٢ –١٠ يونيه ١٩٤٠) . عن رواية « جيني » .

١٩٢٩ : **توماس منّ** – روائي ألماني (٦ يونيه ١٨٧٥ –١٢ أغسطس ١٩٥٥) عن رواية « ال بد نبروك ».

١٩٣٠ : **سنكلير لويس** – روائي أمريكي (٧ فبراير ١٨٥٥ –١٠ يناير ١٩٥١) عن روايته « بابيت » .

١٩٣١ : **أريك أكسيل كارلفيلت** – روائي سويدي (٢٠ يوليو ١٨٦٤ –١٨ أبريل ١٩٣١) .

١٩٣٢ : **جون جالزورثي** – روائي مسرحي بريطاني (١٤ أغسطس ١٨٦٧ –٣١ يناير ١٩٣٣) عن رواية « ملحمة آل فورسايث » .

١٩٣٣ : **إيفان بونين** – روائي وشاعر سوفيتي (٢٢ أكتوبر ١٨٧٠ –٨ نوفمبر ١٩٥٣) .

١٩٣٤ : **لويجي بيرانديللو** – روائي ومسرحي إيطالي (٢٨ يونية ١٨٦٧ –١٠ ديسمبر ١٩٣٦) عن روايته « المرحوم ماتيا باسكال » .

١٩٣٥ : حجبت الجائزة بسبب غير معروف .

١٩٣٦ : **يوجين أونيل** – مسرحي أمريكي (١٦ أكتوبر ١٨٨٨ –٢٧ نوفمبر ١٩٥٦) .

١٩٣٧ : **روچيه مارتن دى جارد** – روائي فرنسي (٢٣ مارس ١٨٨١ –٢٢ أغسطس ١٩٥٨) عن رواية « آل تيبو » .

١٩٣٨ : **بيرل بك** – روائية أمريكية (٢٣ يونيه ١٨٨٢ –٦ مارس ١٩٧٣) . عن رواية « الأرض الطيبة » .

١٩٣٩ : **فرانزاميل سيلانيا** – روائي فنلندي (١٦ سبتمبر ١٨٨٨ –٣ يونيه ١٩٦٤) .

١٩٤٠ – ١٩٤٣ : حجبت الجائزة بسبب الحرب العالمية الثانية .

١٩٤٤ : **يوهان فينهام جنس** : روائي دانماركي (٢٠ يناير ١٨٧٣ –٢٥ نوفمبر ١٩٥٠) .

١٩٤٥ : **جابريللا ميسترال** – شاعرة تشيكية (٧ أبريل ١٨٨٩ – ١٠ يناير ١٩٥٧) . عن ديوان « بأس » .

١٩٤٦ : **هيرمان هيسه** – روائي ألماني (٢ يوليو ١٨٧٧ –٢٠ أغسطس ١٩٦٢) عن رواية « لعبة الكريات الزجاجات » .

١٩٤٧ : **أندريه جيد** – روائي فرنسي (١٢ نوفمبر ١٨٦٩ –١٦ فبراير ١٩٥١) . عن رواية « المزيفون » .

١٩٤٨ : **ت .س . أليوت** – شاعر بريطاني (٢ سبتمبر ١٨٨٨ –٥ يناير ١٩٦٥) عن ديوان « الأرض الخراب » .

١٩٤٩ : **ويليام فوكنر** – روائي أمريكي (٢٥ سبتمبر ١٨٩٠ –٦ يوليو ١٩٦١) عن رواية « الصخب والعنف » .

١٩٥٠ : **برتراند راسل** – فيلسوف بريطاني (١٨ مايو ١٨٧٢ –٤ يناير ١٩٧٠) .

١٩٥١ : **ارفاييان لاجركويست** – روائي سويدى (٢٣ مايو ١٨٩١ – ١١ يوليو ١٩٧٤) .

١٩٥٢ : **فرانسوا مورياك** – روائي فرنسي (١٠ أكتوبر ١٨٨٥ –١ سبتمبر ١٩٧٥) . عن رواية « عقدة الأفعى » .

١٩٥٣ : **ونستون تشرشل** – روائي سياسي بريطاني (٣٠ نوفمبر ١٨٧٤ –٢٤ يناير ١٩٦٥) .

١٩٥٤ : **أرنست هيمنجواى** – روائي أمريكي (٢١ يوليو ١٨٩٩ –٢ يوليو ١٩٦١) عن روايته « العجوز والبحر » .

١٩٥٥ : **هالدور كجيلجان لاكسنس** – أيسلندى (٢٣ أبريل ١٩٠٢ –) . عن رواية « أمواج كشمير الكبرى » .

١٩٥٦ : **خوان رامون خيمينث** – شاعر أسباني (٢٣ ديسمبر ١٨٨١ – ٢٩ مايو ١٩٥٨) عن كتابه « أنا وحمارى » .

١٩٥٧ : **البير كامى** – روائي فرنسي (٧ نوفمبر ١٩١٣ –٤ يناير ١٩٦٠) عن رواية « الغريب » .

١٩٥٨ : **بوريس باسترناك** – شاعر سوفيتي (٢٠ فبراير ١٨٩٠ –٣٠ مايو ١٩٦٠) عن رواية « دكتور زيفاجو » (رفضت) .

١٩٥٩ : **سالفاتور كاز يمودورس** – إيطالي (٢٠ أغسطس ١٩٠١ –١٤ يونيه ١٩٦٨) .

١٩٦٠ : **سان جون بيرس** – شاعر فرنسي (٣١ مايو ١٨٨٧ – ١٩٧٥) .

١٩٦١ : **ايفواندريتش** – روائي يوغسلافي (١٠ أكتوبر ١٨٩٢ – ١٣ مارس ١٩٧٥) عن رواية « جسر على نهر درينا » .

١٩٦٢ : **جون شتاينبك** – روائي أمريكي (٢٧ فبراير ١٩٠٢ –٢٠ ديسمبر ١٩٦٨) عن رواية « أعناب الغضب » .

١٩٦٣ : **جيورجوس سيفيرس** – شاعر يوناني (٢٩ فبراير ١٩٠٠ –٢٠ مارس ١٩٧١) .

١٩٦٤ : **جان بول سارتر** – روائى وفيلسوف فرنسى (٢١ يونيه ١٩٠٥ –٢٠ أبريل ١٩٨٠) رفضت .

١٩٦٥ : **ميخائيل شولوخوف** – روائى سوفيتى (٢٤ مايو ١٩٠٥ – ١٩٨٤) عن رواية « نهر الدون الهادى » .

١٩٦٦ : **صموئيل يوسف عجنون** – روائى إسرائيلى (١٧ يوليو ١٨٨٨ –١٨ فبراير ١٩٧٠) .

ونيللى ساخس : روائية ألمانية (١٠ ديسمبر ١٨٩١ – ١٢ مايو ١٩٧٠) . عن رواية « فى بيت الميت » .

١٩٦٧ : **ميجيل أنخيل أستورياس** – روائى جواتيمالى (١٠ أكتوبر ١٨٩٩ –٩ يونيه ١٩٧٤) عن رواية « الرئيس » .

١٩٦٨ : **ياسونارى كاوباتا** – روائى يابانى (١١ يونيه ١٨٩٩ – ١٦ أبريل ١٩٧٢) . عن رواية الحالمات النائمات » .

١٩٦٩ : **صموئيل بيكيت** – روائى مسرحى أيرلندى (١٣ أبريل ١٩٠٦ –٢٢ ديسمبر ١٩٨٩) .

١٩٧٠ : **الكسندر سولينتسين** – روائى سوفيتى منشق (١١ فبراير ١٩١٨ –) عن رواية « أرخبيل الكولاج » .

١٩٧١ : **بابلو نيرودا** – شاعر تشيلى (١٢ يوليو ١٩٠٤ –٢٣ نوفمبر ١٩٧٣) .

١٩٧٢ : **هاينريش بُلْ** – روائى ألمانى (١١ ديسمبر ١٩١٧ –١١ يوليو ١٩٨٥) .

١٩٧٣ : **باتريك وايت** – روائى استرالى (٢٨ مايو ١٩١٢ –٧ ديسمبر ١٩٩١) .

١٩٧٤ : **ايفند جونسون** : سويدى (١٩٠٠ – ١٩٧٦) .

هارى ماريتسون : سويدى (١٩٠٤ – ١٩٧٨) .

١٩٧٥ : **أوجينومونتالى** : روائى إيطالى (٦ يناير ١٨٩٦ –٦ نوفمبر ١٩٨١) .

١٩٧٦ : **صول بيللو** – روائى أمريكى (١٠ يونيه ١٩١٥ –) . عن رواية مغامرات أوجى مارش » .

١٩٧٧ : **فيسنته الكسندر** – شاعر أسبانى (١٨٩٩ –١٩٨٥) . عن ديوان أشعار .

١٩٧٨ : **إسحاق باسفنتش سنجر** – روائى أمريكىٰ (١٤ يوليو ١٩٠٤ – ١ أغسطس ١٩٩١) . عن رواية « شوشا » .

١٩٧٩ : **أورسيوس إليتس** – شاعر يونانى (١٩١٢ –) . عن ديوان « شجرة الضوء » .

١٩٨٠ : **شيزلاف ميلوش** – شاعر بولندى يعيش فى أمريكا (٢ نوفمبر ١٩١١) .

١٩٨١ : **إلياس كانيتى** – روائى بلغارى بريطانى (٥ يوليو ١٩٠٥ –) . عن رواية « الاعدام حرقا » .

١٩٨٢ : **جابرييل جارثيا ماركيث** – روائى كولومبى (١٩٢٨ –) عن رواية « مائة عام من العزلة » .

١٩٨٣ : **ويليام جولدنج** – روائى بريطانى (١٤ أكتوبر ١٩١١ –) عن رواية « إله الذباب » .

١٩٨٤ : **ياروسلاف سيفيرت** – شاعر تشيكى (٢٣ سبتمبر ١٩٠١ – ١٩٨٩) .

١٩٨٥ : **كلود سيمون** – روائى فرنسى (١٠ أكتوبر ١٩١٣ –) عن رواية « طريق الفلاندرا » .

١٩٨٦ : **وول سونيكا** – شاعر ومسرحى نيجيرى (١٣ يوليو ١٩٣٤ –) عن ديوان « مكوك فى السرداب » .

١٩٨٧ : **يوسف برودسكى** – شاعر سوفيتى يعيش فى أمريكا (٤ مايو ١٩٤٠ –) . عن ديوان « أشعار جديدة لاركستنا » .

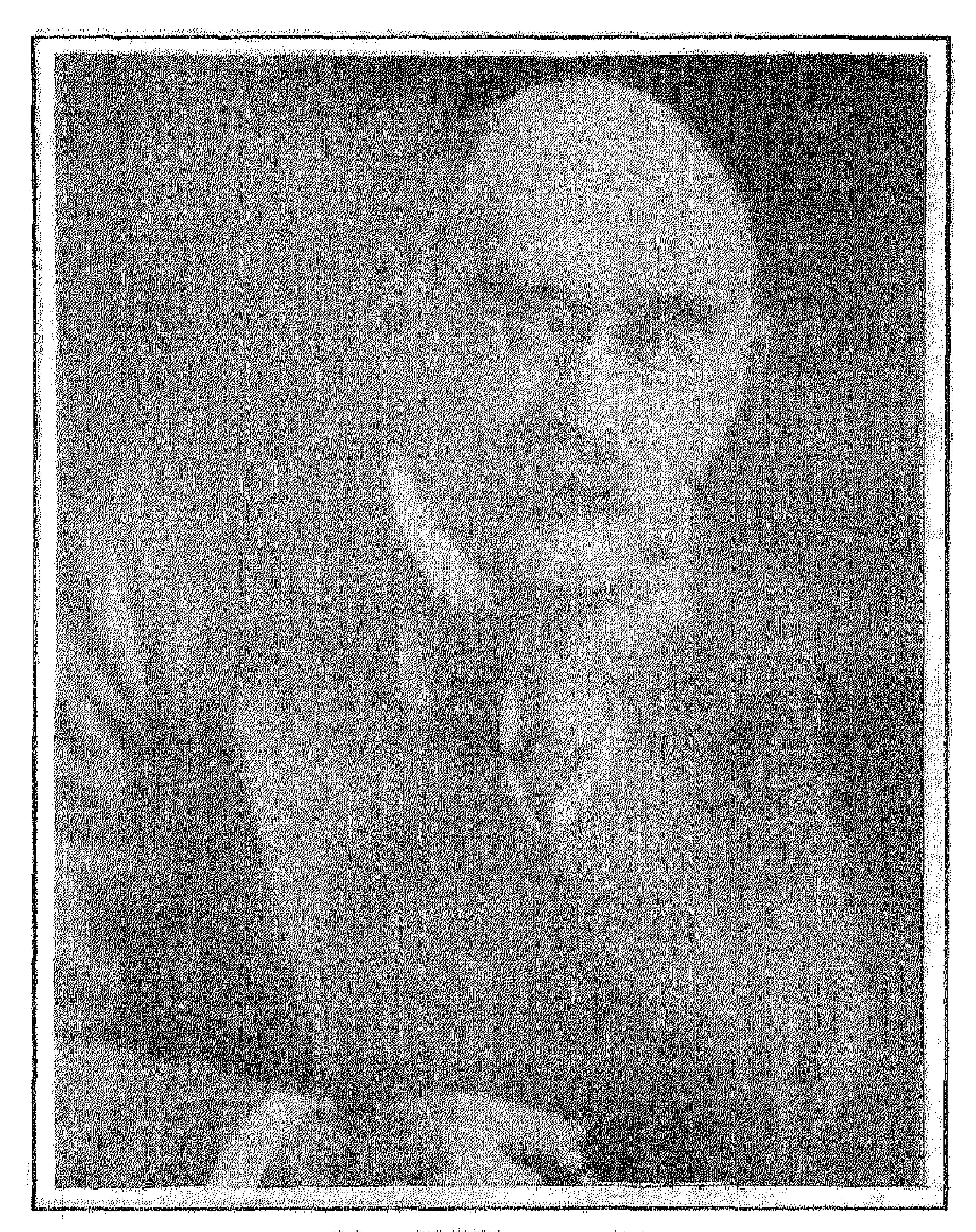
١٩٨٨ : **نجيب محفوظ** – روائى مصرى (١١ ديسمبر ١٩١١ –) عن رواية « أولاد حارتنا » .

١٩٨٩ : **كاميلو خوسيه ثيلا** – روائى أسبانى (١١ مايو ١٩١٦ –) عن رواية « عائلة باساكوال دوراته » .

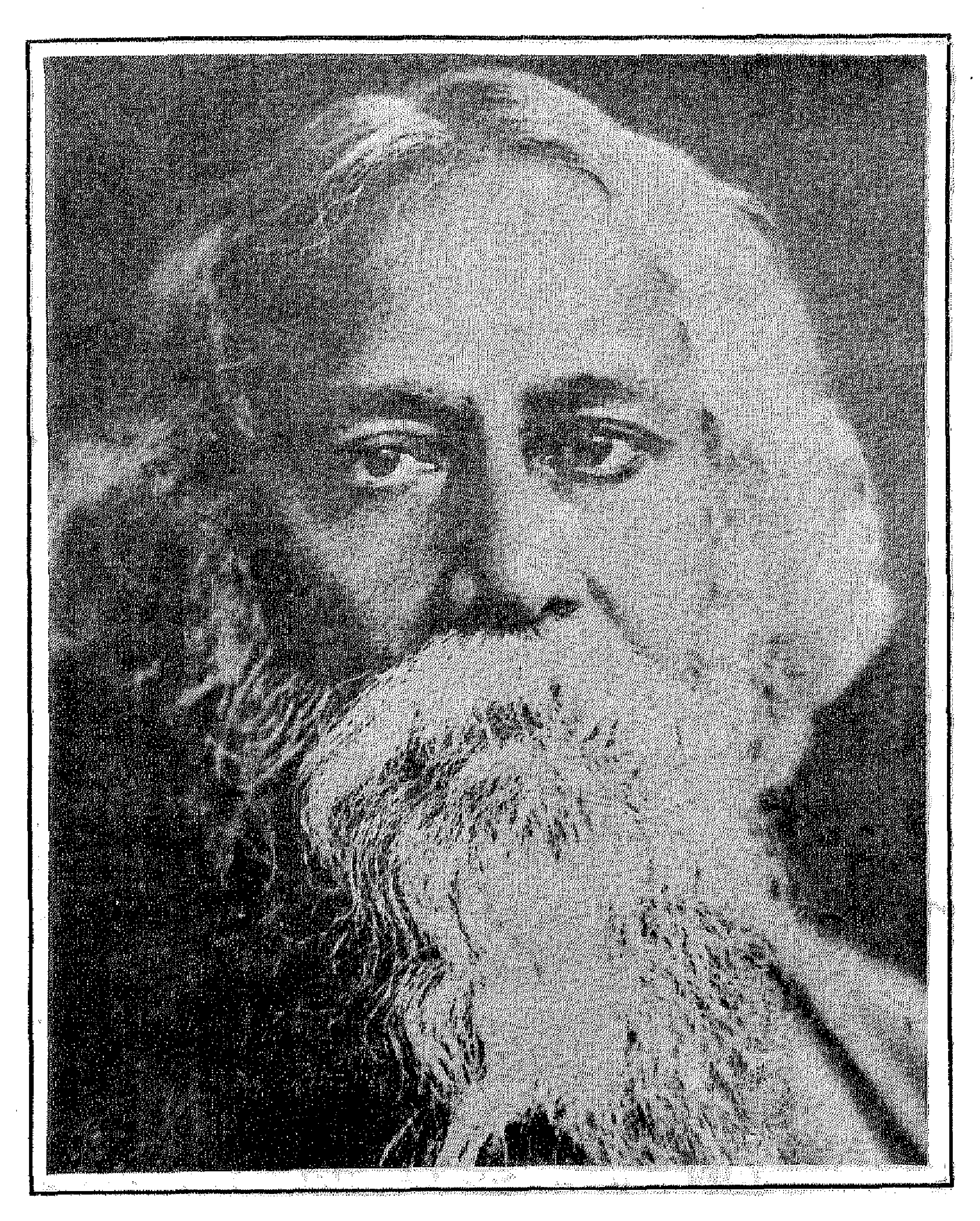
١٩٩٠ : **أوكتافيو باث** – شاعر مكسيكى (١٩١٤ –) . عن ديوان « متاهة العزلة » .

١٩٩١ : **نادين جورديمر** – رواية من جنوب أفريقيا (١٩٢٣ –) . عن رواية « ابنة بيرجر »

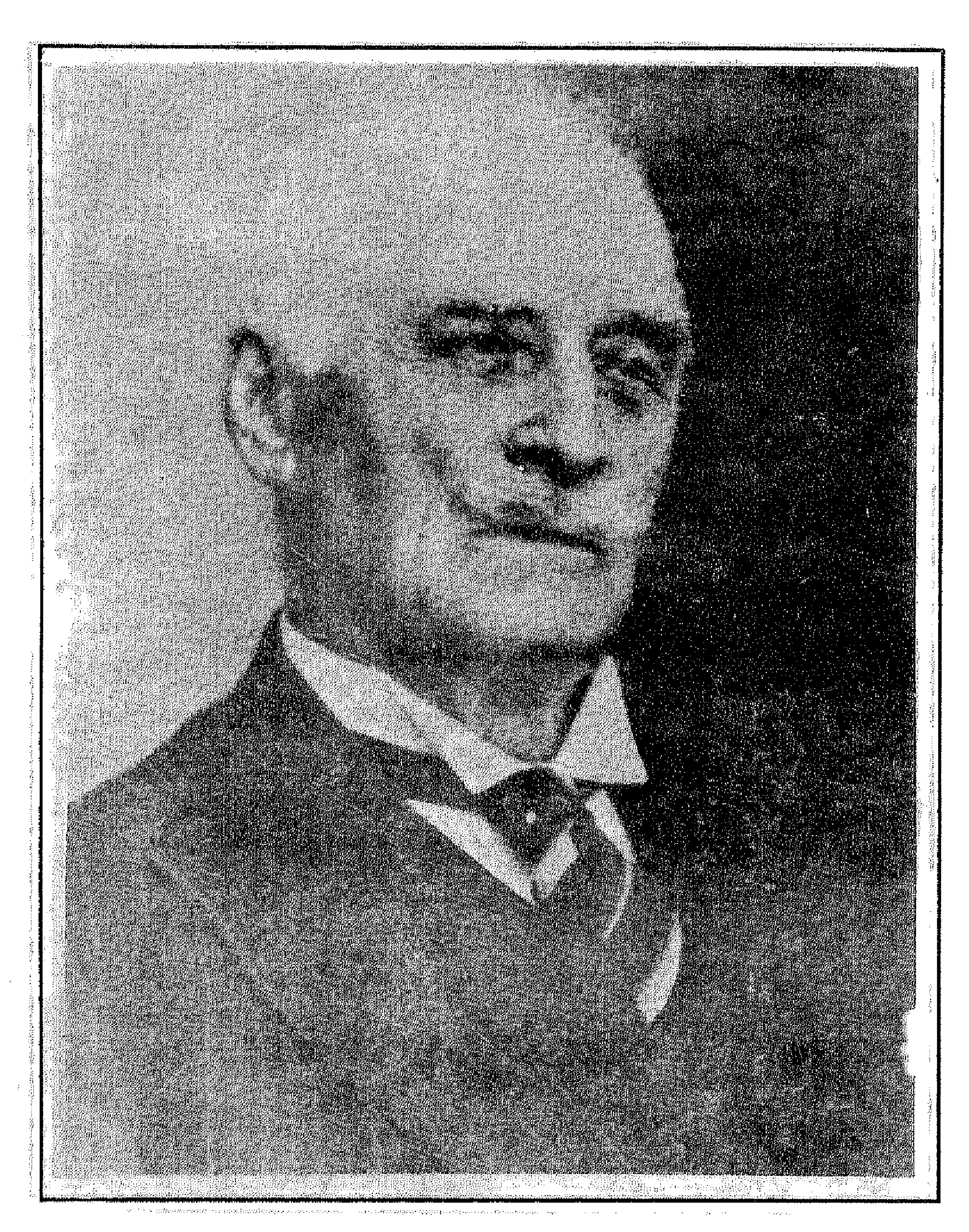
١٩٩٢ : **ديريك والكوت** – شاعر من ترينداد (٢٣ يناير ١٩٣٠ –) عن مسرحية شعرية « أوميروس » .



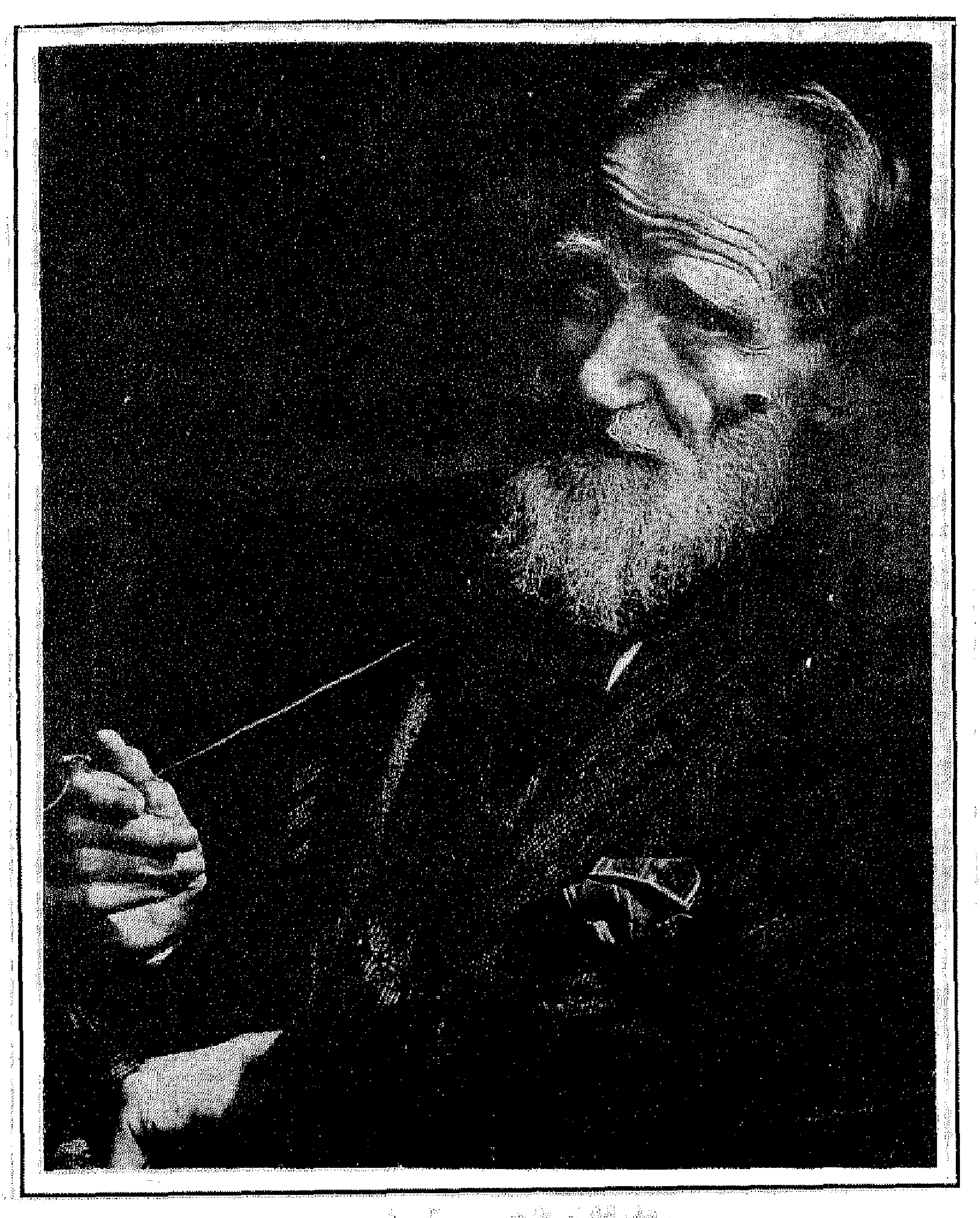
روديارد كيلنج — ١٩٠٧



ربندرانات طاغور – ١٩١٣



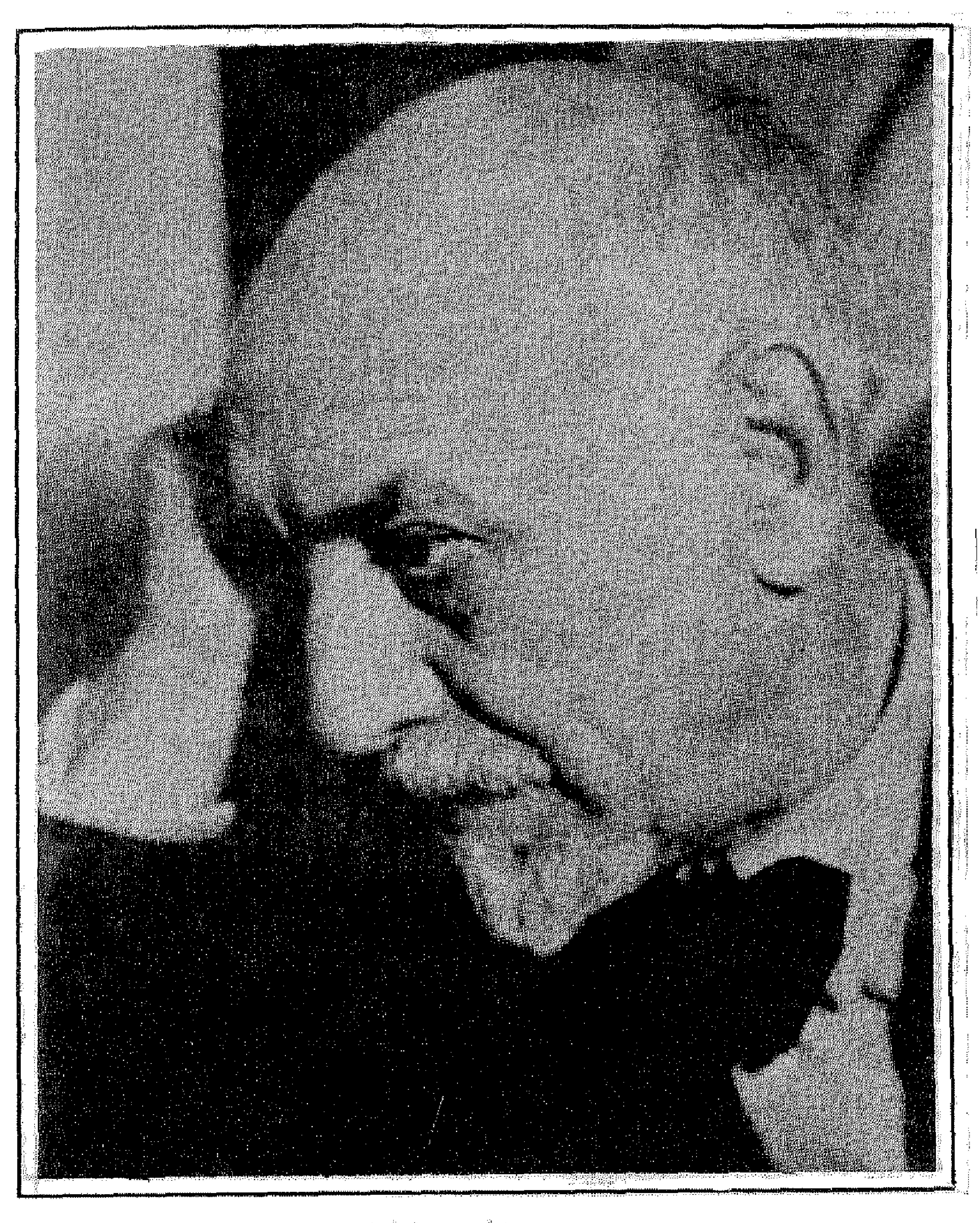
کنوت هامسون - ۱۹۲۰



جورج برناردشو - ١٩٢٥



توماس من — ١٩٢٩



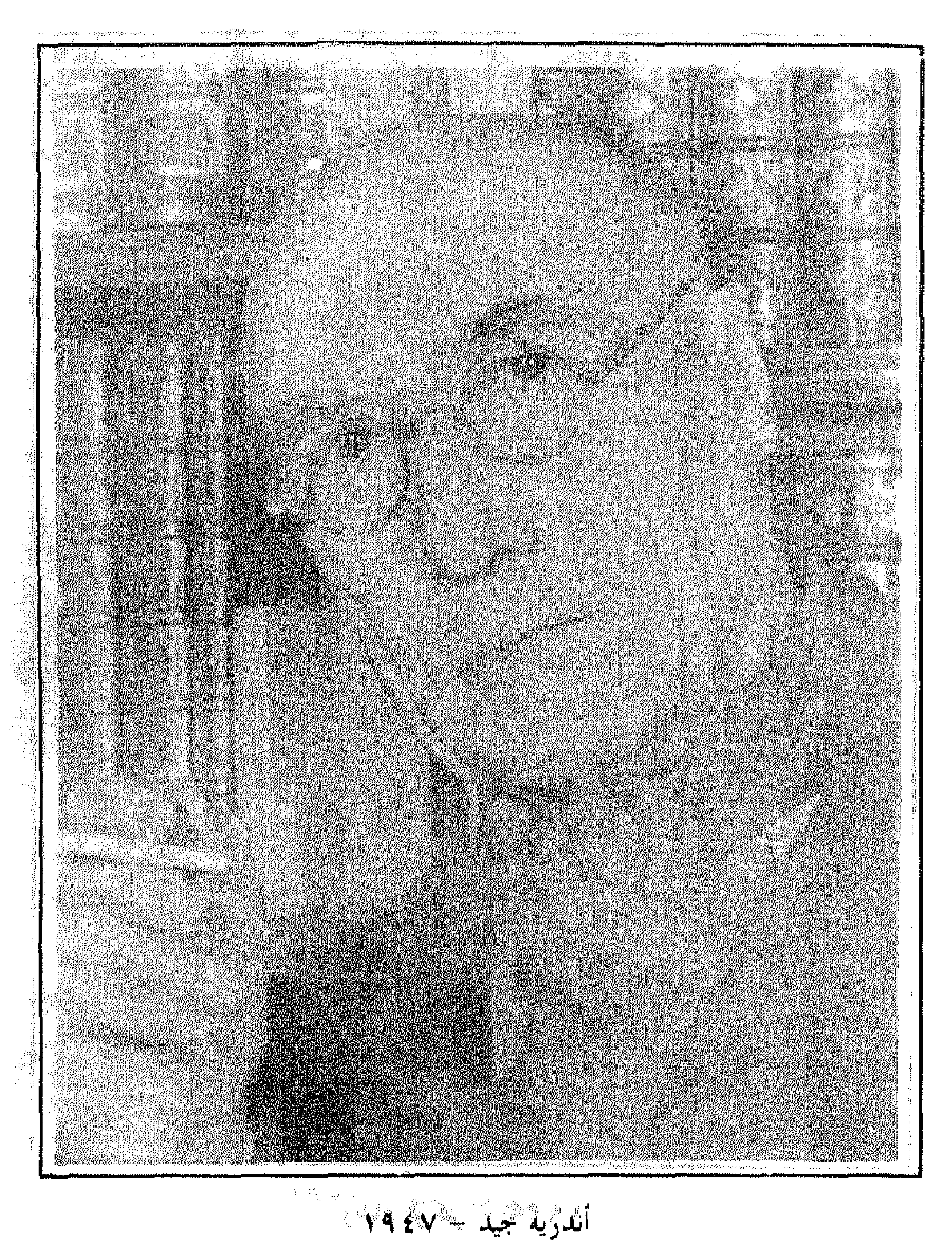
لويجي بيرانديللو - ١٩٣٤



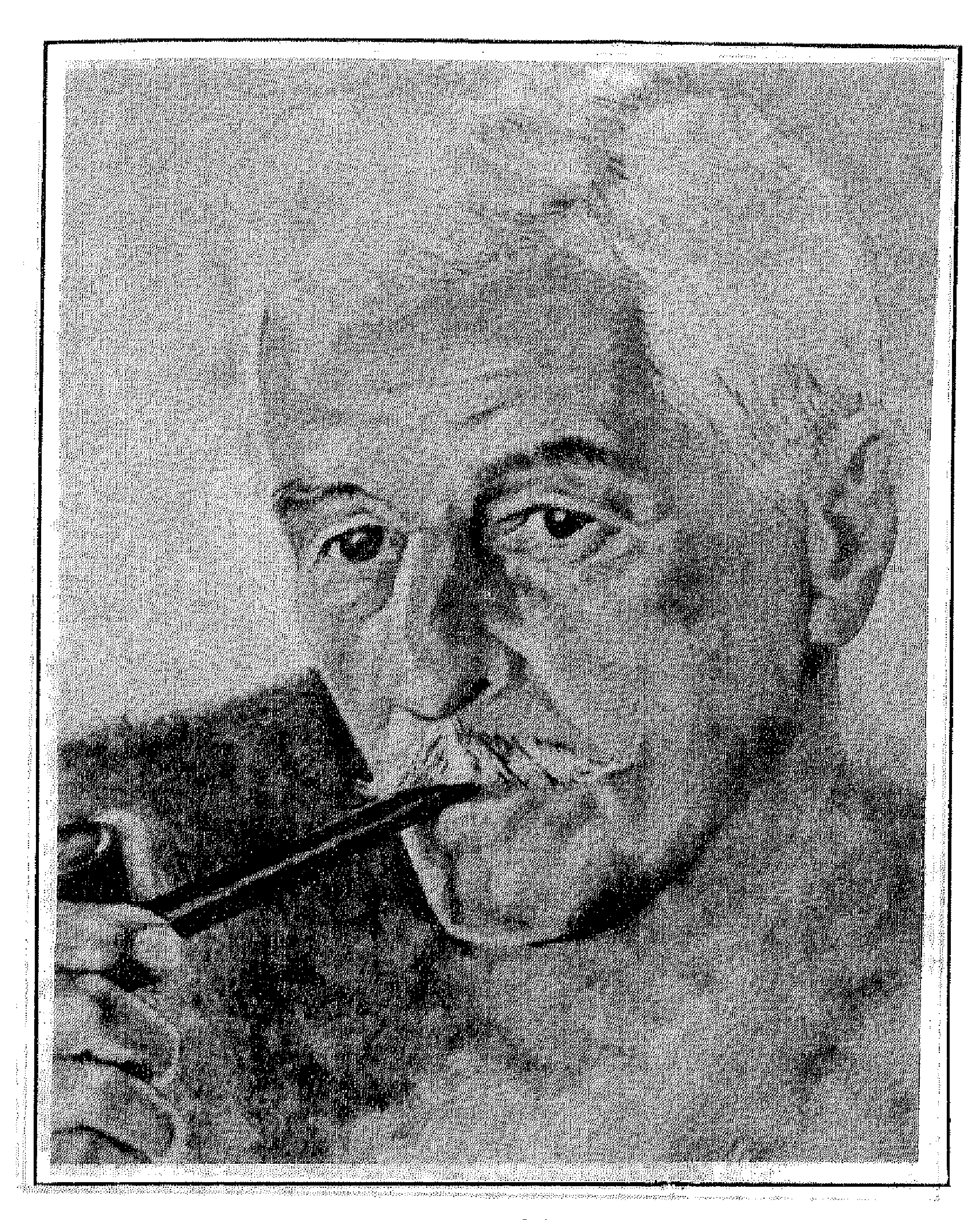
بيرل بك – ١٩٣٨



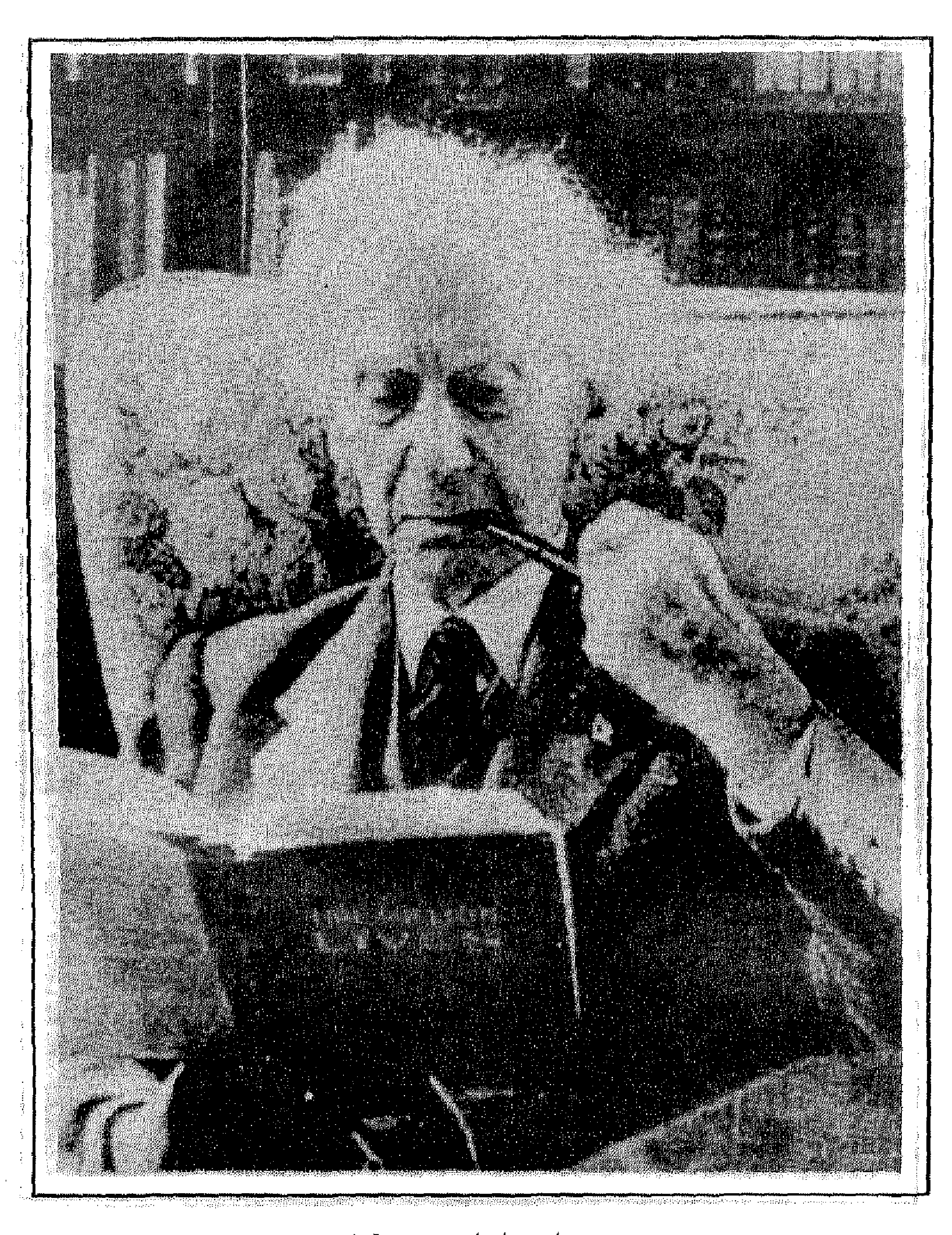
هيرمان هيسه ـ ١٩٤٦



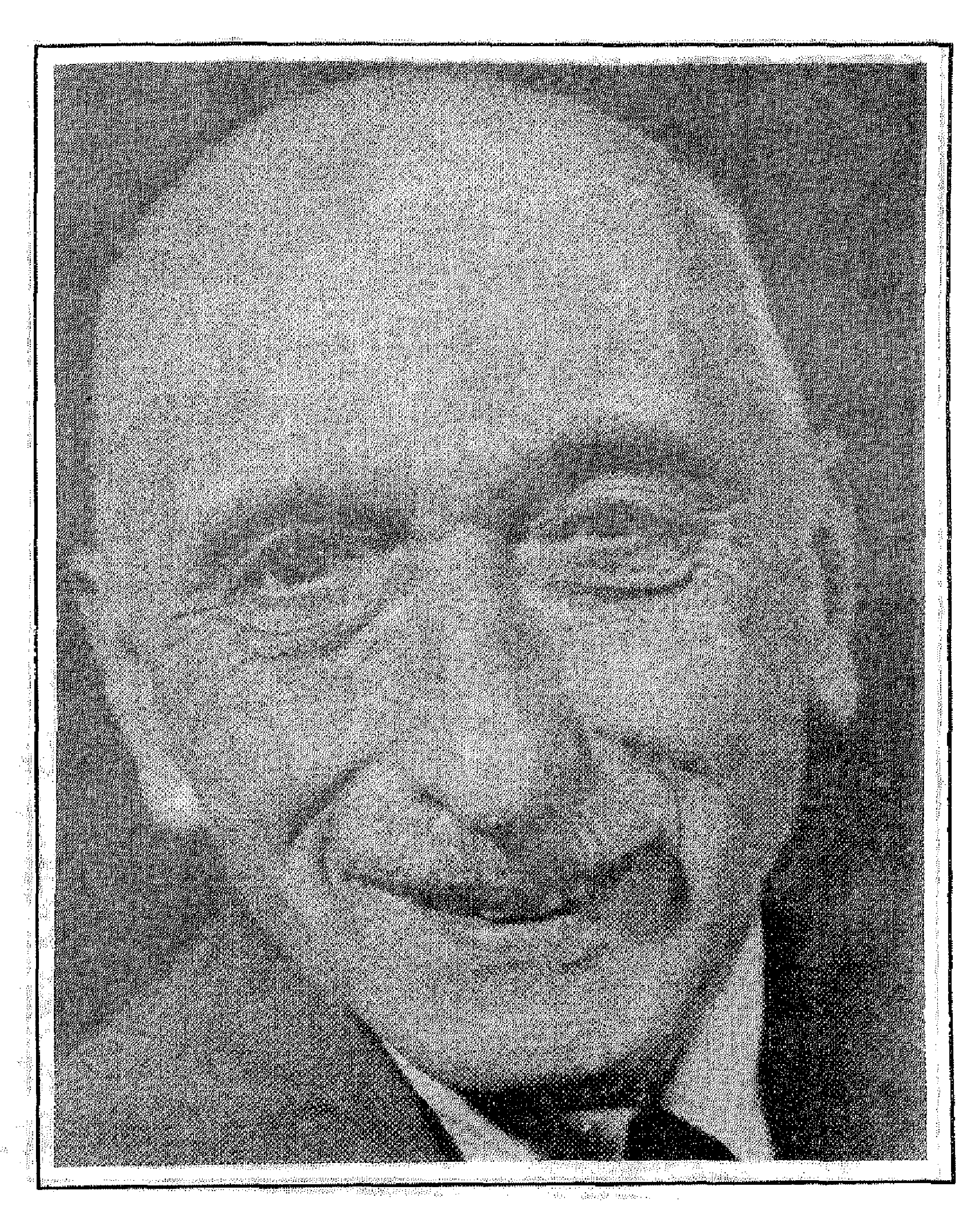
أندريه جيد - ١٩٤٧



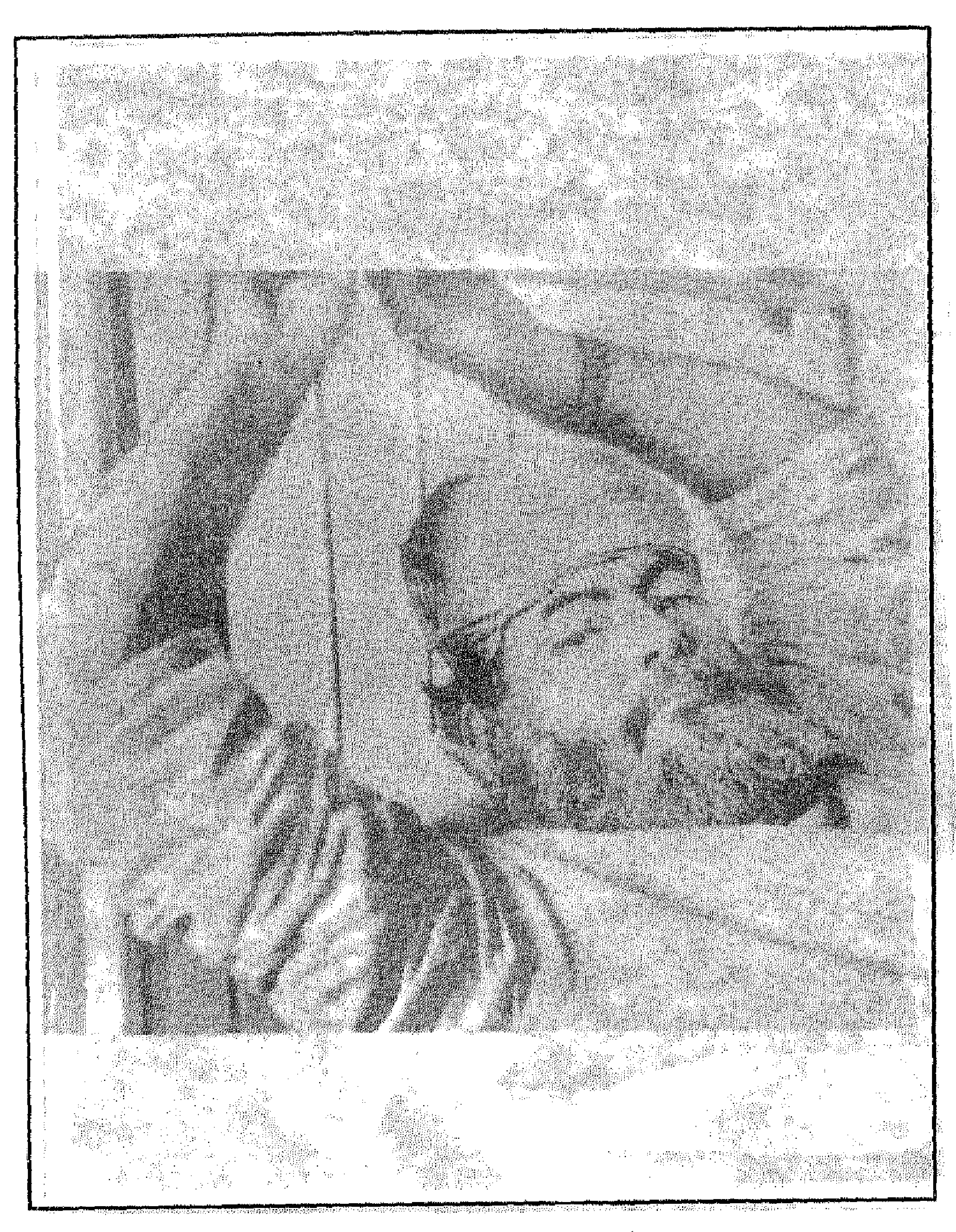
ويليام فوكنر – ١٩٤٩



برتراند راسل — ۱۹۵۰



فرانسوا مورياك - ١٩٥٢



أرنست هيمنجواي - ١٩٥٤



البير كامي — ١٩٥٧



بوريس باسترناك ١٩٥٨



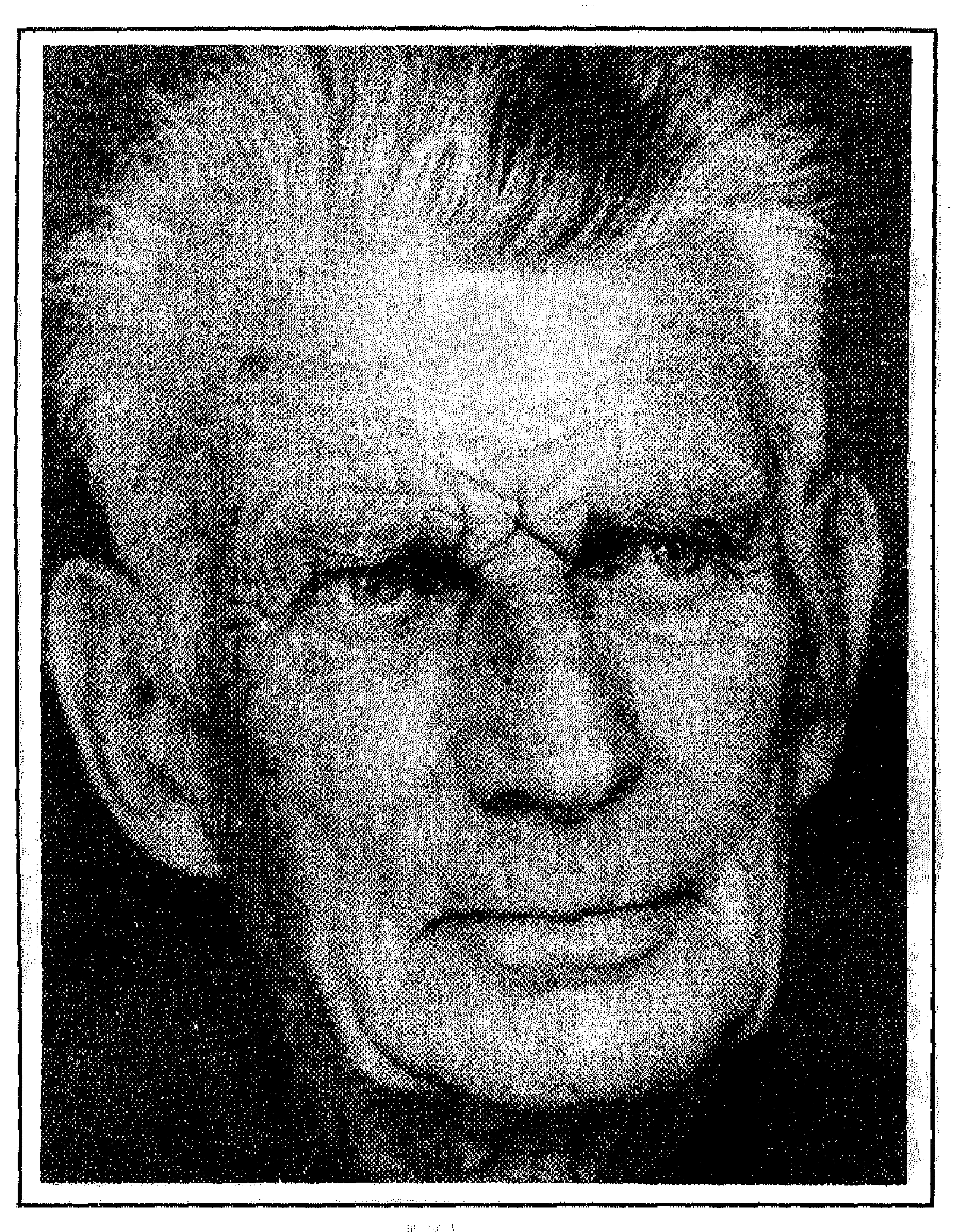
جون شتاينبك - ١٩٦٢



جان بول سارتر – ١٩٦٤



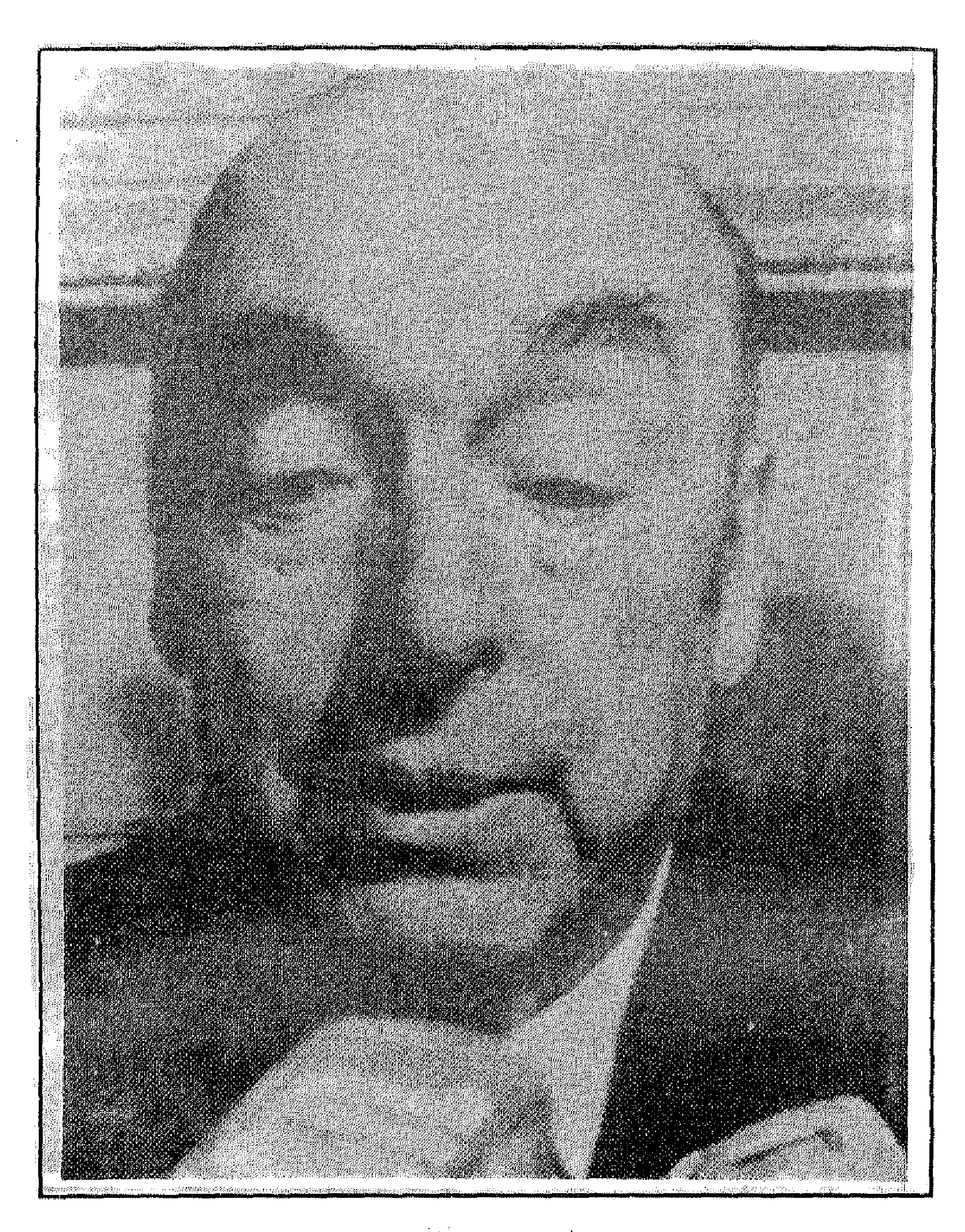
یاسوناری کاواباتا - ۱۹۶۸



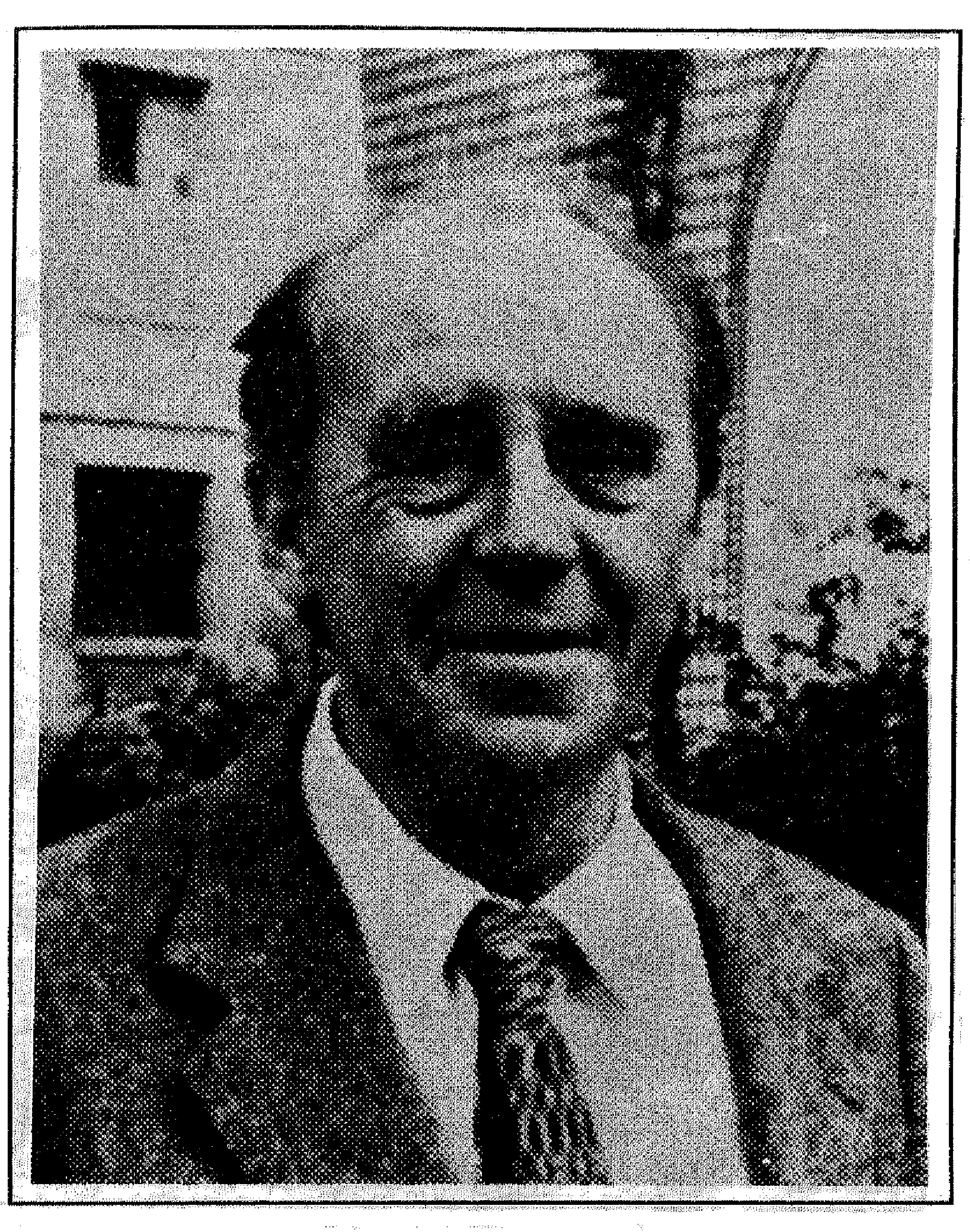
صموئيل بيكيت - ١٩٦٩



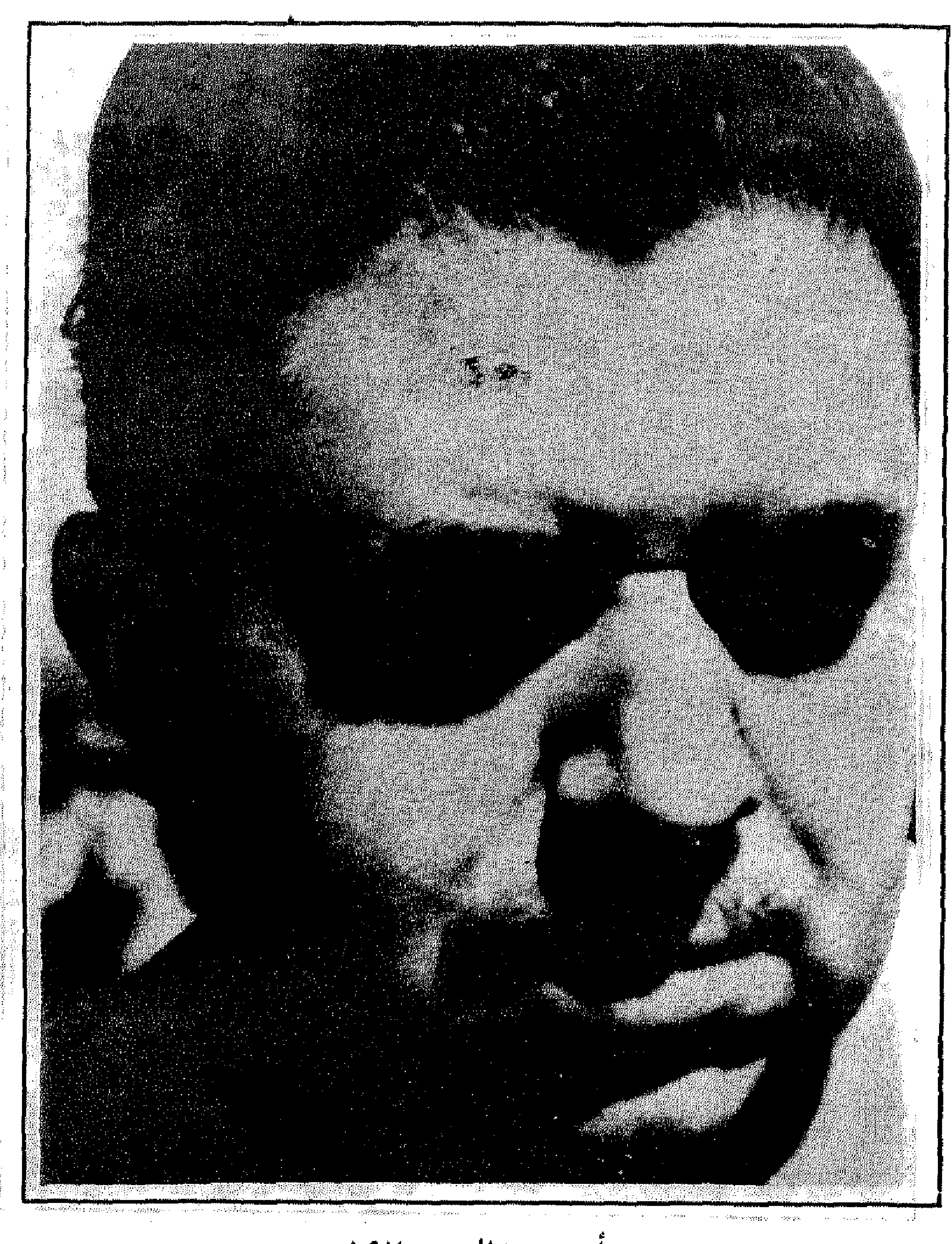
الكسندر سولينتسين - ١٩٧٠



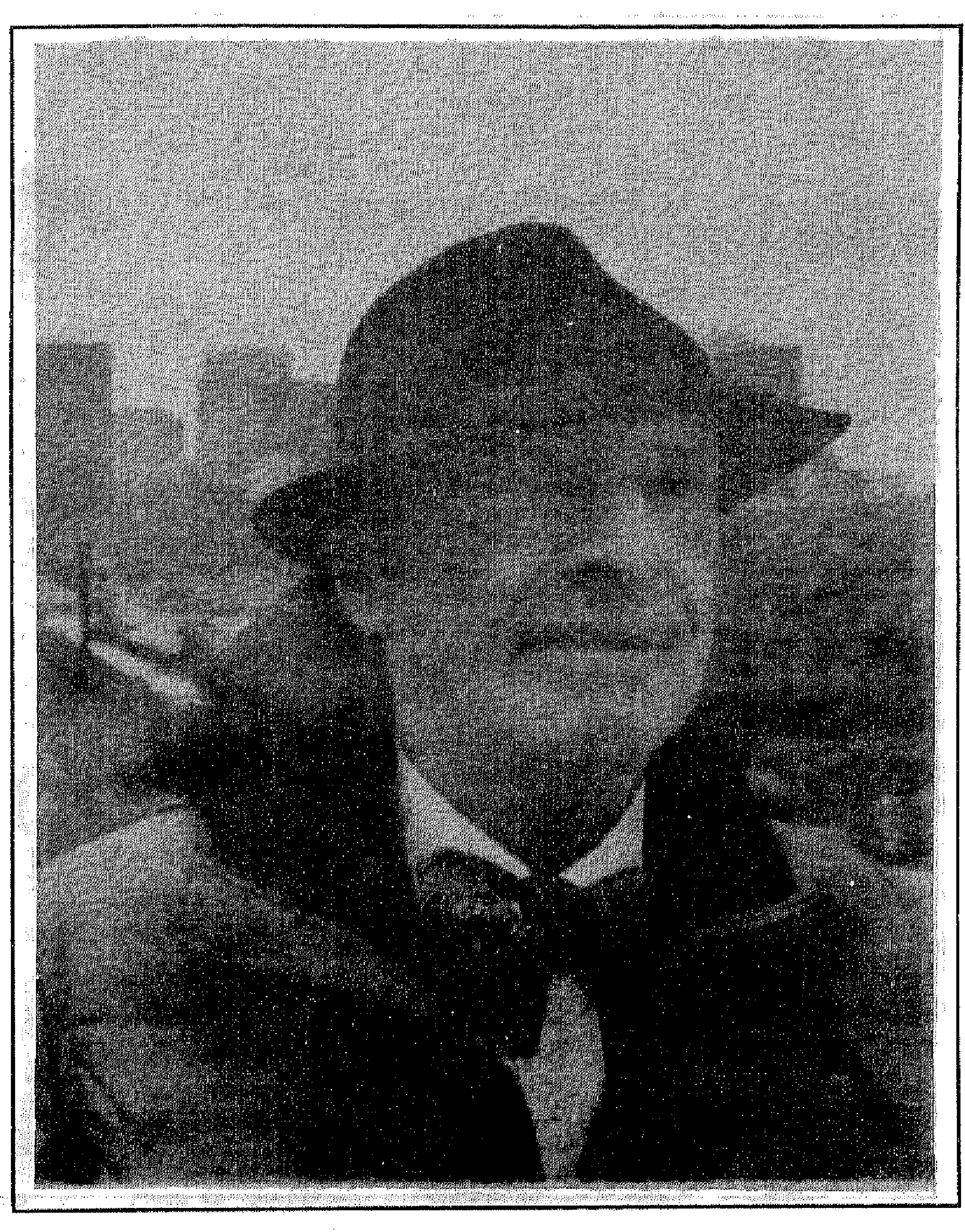
بابلو نيرودا - ١٩٧١



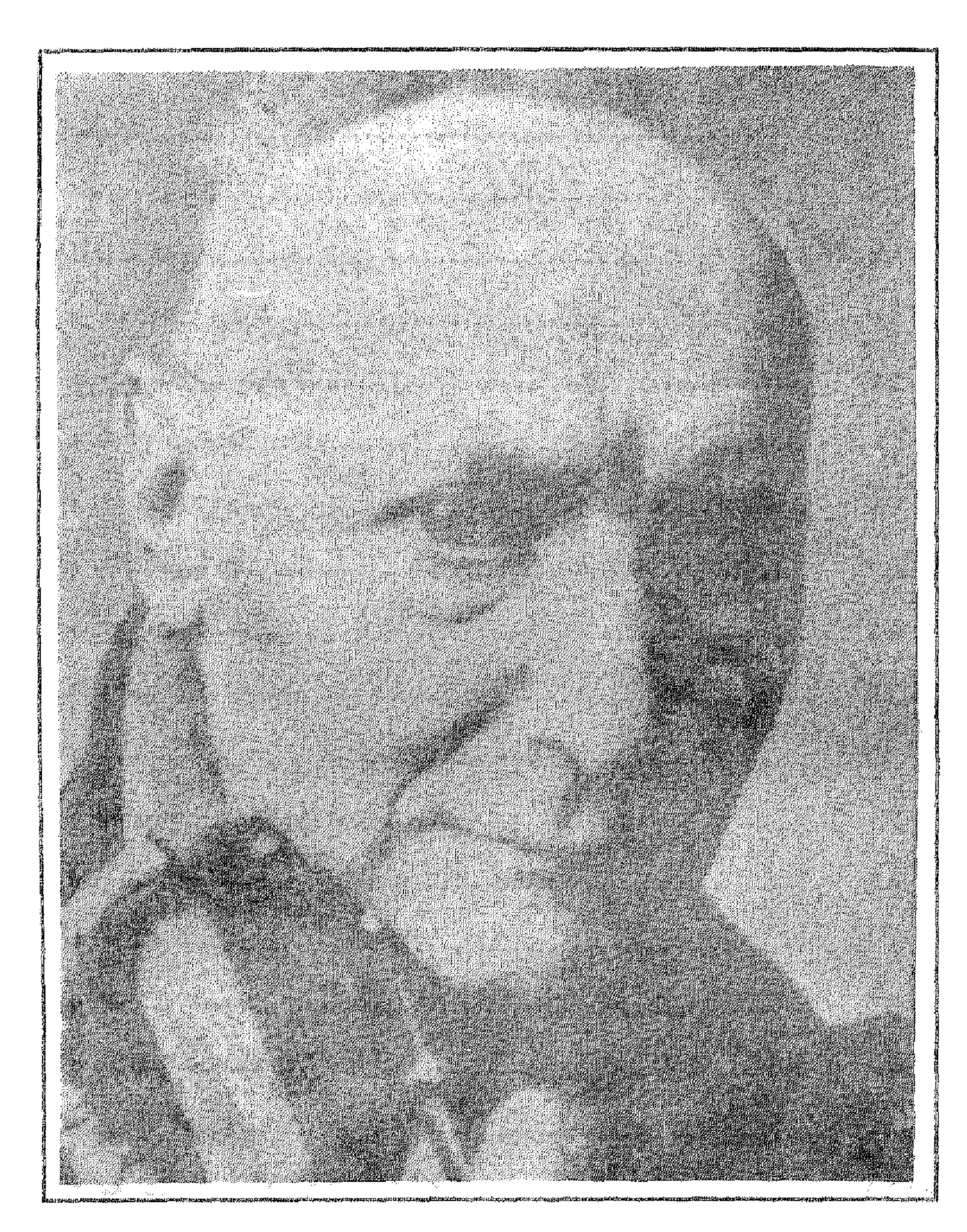
هاينريش بُلْ - ١٩٧٢



أوجينو مونتالى - ١٩٧٥



صول بيللو - ١٩٧٦



إسحاق باسفتش سنجر - ١٩٧٨

فهرس

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٢٩٩١
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4001 – X	ISBN

١ / ٩٢ / ٣٠٠
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

ما هى الأسرار وراء جائزة نوبل ..
وماذا تعرف عن تجاوزات اللجنة
والاعتبارات الخاصة التى لم تُعلن
بعد والاعتبارات السياسية التى تُلقى
ظلالا من الشك والتى أدت إلى
رفض بعض الأدباء لها وكيف قضى
نجيب محفوظ ليلة حصوله على
الجائزة ؟؟!!

كتاب ملىء بالأسرار والحكايات
المثيرة .

